

الشيخ محمد الغزالي
منهجه وقضاياه الكبرى

تأليف

أ.د. محمد أبوزيد الفقى
الطبعة الثالثة

2017

“مَقَدِّمَةٌ”

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين
سيدنا محمد بن عبد الله النبي الهادي الأمين، اللهم صلى عليه وعلى آله
واصحابه، ومن نهج نهجه وسلك طريقهم الى يوم البعث العظيم.

وبعد

فقد كان الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله تعالى من أبرز الدعاة
الى الله تعالى فى العصر الحديث. فقد كان فريدا فى جهاده وفكره، ولا
أغالى إن قلت: إن كل عالم فى مجال الدعوة الإسلامية، يوصف
بالاستنارة، قد نهل من نبع الدعوة عند الشيخ، ورشف من فكره، وقد
طال عمر الشيخ، وكثر عمله وتعددت مؤلفاته، ومواقفه فى الدعوة
الإسلامية.

وحينما طفقت أجمع المادة العلمية لهذا الكتاب أخذتلى الرهبة،
فكيف لى أنا من الذين يشرفون بالانتساب إلى مدرسته فى الدعوة، أن
أجمع فكره، وأقيم منهجه، وأضعه فى ميزان الإسلام الحنيف، وقد تغلبت
على هذه المشاعر الوجدانية بسبب رغبتى فى تقديم مناهج الشيخ فى
صورته العلمية الدعوية لأن الشيخ يرحمه الله تعالى -انشغل بالجهاد فى
الدعوة وكثرة الترحال لهذا الغرض، عن تنظيم كتبه، والفصل بين الموضوعات
فى هذه الكتب، وأدى هذا الى كثرة التكرار، وطمس معالم المنهج البحثى للشيخ،

وأصبحت الفائدة التي يحصل عليها القارئ من كتب الشيخ تتوقف على جهده وصبره في متابعة الفكرة الواحدة في عدة مؤلفات للشيخ، ولما كان الدعاة في حاجة الى معرفة منهاج الشيخ، بطريقة

واضحة كي، يقتدوا به على بصيره في دعوتهم حاولت تجلية هذا المناهج، وتحديد معالمه على النحو التالي:-

1- لجأت لأسلوب الجمع النسقي: حيث قمت بتحديد القضايا الكبرى التي

اهتم بها الشيخ، وجمعت كل ماسجله في كتبه عن كل قضية، ووضعت ذلك في نسق واحد، ثم عقيت بعد كل قضية بمتابعة تهدف الى مقابلة فكره بما جاء في الكتاب والسنة، وفهم العلماء لهما، ثم بيان منهاج الشيخ.

2- حاولت الوصول الى المنهج الذي على أساسه تصدى الشيخ لكل قضية

في مؤلفاته، واتضح لي - بعد لأي - أن الشيخ رحمة الله تعالى قد ركز في تناوله لكل قضايا على منهج فريد في مجال البحث فقد كان يدرس كل قضية من خلال بعدها المكاني والزمني، والمحلي، والعالمى وهذه الأبعاد الأربعة كونت تميز الشيخ عن غيره في مجال البحوث الدعوية، لان الباحثين في الأزهر الشريف وفي غيره يسجلون رسائلهم العلمية على أساس بحث الموضوع المسجل من زاوية واحدة، أو زاويتين على الأكثر، اما الشيخ يرحمه الله تعالى فقد كان يبحث قضيته التي يتصدى لها من أبعادها الأربعة، ويمكن فهم هذا المنهاج وتجليته إذا ماتابع الباحث قضية واحدة عند الغزالي في كل

مؤلفاته. وسوف يجد بعد البحث أن التكرار- المظنون – فى مؤلفات الشيخ، ليس تكراراً بغرض التكرار، أو بسبب النسيان، وانما كل تكرار لقضية ما، هو إضافة لبعد من أبعادها.

3- أخذت من تراث الشيخ أربع قضايا رئيسية، وطبقت هذا المنهج – النسقى

—

عليها فأتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً، وتتجلى فيها منهاج الأبعاد الأربعة عند الغزالي-

وهذه القضايا هى:

- الاستعمار الأجنبى عند المسلمين.

- الاقتصاد عند المسلمين.

- قضية المرأة.

- قضية موقفه من السنة النبوية الشريفة.

هذه هى القضايا التى اهتم بها الشيخ وأوقف عليها جزءا كبيرا من وقته ومؤلفاته وهذا لايعنى انه لم يتصدى لقضايا أخرى، بل ناقش كل القضايا التى تهم المسلمين وقد أخذت هذه القضايا لكثرة حديثه عنها ولتحقق منهاجه- دراسة الأبعاد الأربعة لكل قضية منها.

إن مثلى ومثل الشيخ محمد الغزالي كمثّل سباح صغير يسبح فى محيط كبير. ليبحت عن

لآلئه وصدفاته فإن عثر على مبتغاة فقد فاز، وإن خرج من غير شئ فقد نجا وإن أدركه الغرق، فحسبه شرفا انه سبح إلى حين فى هذا المحيط العظيم.

د. محمد محمد أبى زيد الفقى

الباب الأول

قضية الإستعمار فى بلاد المسلمين

(الباب الأول)

قضية الاستعمار فى بلاد المسلمين

قضية القضايا عند الشيخ – يرحمه الله تعالى – قضية احتلال بلاد المسلمين والسيطرة عليها من الغرب، وقد خص الشيخ هذه القضية بكثير من البحث والدراسة، والحديث عنها فى معظم كتبه، وكان الشيخ حس يقظ تجاه هذه القضية، وكان يعى أبعاد الصراع بين المسلمين وأعدائهم من نقطة البداية فى يثرب الى بداية النهاية فى القدس فى فلسطين المحتلة، وكان يعتبر هذا الصراع صراعاً حياً متجدداً

متمحوراً حول مستقبل الإسلام والمسلمين.

وقد عالج الشيخ قضية الاستعمار من زوايا متعددة: أحقاد وأطماع الاستعمار فى بلاد المسلمين والسيطرة الاقتصادية على المسلمين وعلى مصادر ثرواتهم، والقضاء على الإسلام من ناحية العقيدة عن طريق التبشير والاستشراق، وهيكلة الدين وإعادة صياغته عن طريق بعض الحكام العملاء ومن يدور فى فلكهم، من اعوان الاستعمار ومعتنقى فكره، ومنتهى أسلوبه فى الحياة.

وقد تصدى الشيخ لهذه القضايا بالقوة، حاملاً روحه على كفه واضعاً عنقه تحت السيف إذا جد المسير، مبرهنأ على حيوية الدعوة اذا تصدى لها داعية أصيل، ولانستطيع أن نقدر الأثر الذى أحدثه الشيخ فى مواجهة الاستعمار، إلا إذا تخيلنا وجود الاستعمار بمكره ودهائه من غير داعية مخلص يكشف هذا المكر ويعرى ذلك الدهاء.

لو حدث هذا لوجد الاستعمار بلاد المسلمين لقمه سهله يأكلها أنى شاء ومتى شاء.

ولكن الشيخ ومن على شاكلته من الدعاة المخلصين قد صعبوا مهمة الاستعمار فى بلاد المسلمين إن لم يكونوا هم حجر الزاوية فى القضاء عليه وعلى الصفحات التالية تتضح جهود الشيخ فى مقاومة الاستعمار.

الفصل الأول

(ماهية الاستعمار)

ذلك بقوله: إن الصليبية التي تهيمن على الأوروبيين والأمريكيين شئ آخر يغير

عيسى أشد المغيرة، وإن كان جمهور القساوسة والرهبان يمارى فى هذه الحقيقة لأنه ينسج صلتة بعيسى بن مريم على النحو التالى يوائم الصليبية المحدثه الجامحة، ثم ينسب هذا الدين المحرف الى عيسى نفسه.. وعيسى برئ من هذه الشرور، أن الله تعالى يقول فى رسالة عيسى: (وآتيناہ الانجيل فيه هدى زنور ومصداقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)¹

وتلك كلها معان فقدت أوضاع منبعها فى الصليبية التي تعرف الآن، والتي يزعم انها النصرانية الأولى.

ولهذه الصليبية الغالبة خواص لابد من كشفها:

أ- أنها أنسجمت مع طبائع الغربيين الذين اعتنقوها وأرخت العنان لما يكمن فيها(الطبائع)من قسوة.

ب- أنها نقضت الإحساس بمعنى الجريمة وعقابها السيئة، وذلك أن نظرية الفداء وماتضمنته من أن عيسى قتل كفارة لخطايا بنى آدم، جعلت الألوف المؤلفة من مصدقيها يستهينون بالأنام المحظورة، ويقدمون عليها وهم آملون أن تحمل عنهم، وهذه العقيدة كانت سبب مصائب كثيرة حلت بالامم المهزومة.

ج- أن الصليبية كانت تعاني مايسميه علماء النفس(عقدة الضعة)فهى تعرف مجافاتها للعقل وبعدها الساحق عن منطقہ السليم.

¹ المائدة: 46.

ومن ثم فهي تستعير عن الهدوء في عرض نفسها، والجدال بالتى هي أحسن، بغضب ظاهر على الأديان والمذاهب الأخرى، كأن عاطفة الحنق على المخالفين، سوف تضى عليها حقاً فاتها من ضعف الدليل وانهيار الحجة. وهذا يفسر سياسة البطش الشنيع التى أتبعها الصليبية ضد غيرها، بل التى أتبعها ضد الإسلام خاصة. وقد التقت الطبيعتان، طبيعة الغربيين الهمجية وطبيعة الصليبية هذه، التقتا فى العزرو الاستعمارى الأخير للأقطار الإسلامية..

وبعد أن يتحدث الشيخ عن الظلم الفادح الذى وقع على المسلمين فى الجزائر من الفرنسيين يقول: مطلوب من المسلمين(فى الجزائر أيام الاحتلال)أن يكفروا بدينهم.. ان النفس ليست سواء بازاء الضغط الذى يعرض لها، وكم يختلف رد الفعل للعمل الواحد.. وجماهير المسلمين تحت ضغط الاستعمار الصليبي العاتى، تفاوتت معادتهم فى تلقى أوصابه، وتحمل فتنه، منهم من زادت البأساء قوة يقين، فنفخ الاضطهاد فى روحه، كما تنفخ الرياح فى الجمر المتقد، لاتزيده لا لهيباً وأولئك والحمد لله كثير.. ومنهم من أصابه الوهن، وأخذت شكيمته تنتشر تحت اللطمات التى تناولته من كل جهة.. ومنهم من رأى الابتعاد عن الإسلام إن ظاهراً وأن باطناً، يحسب أن هذا الابتعاد يخفف البلاء النازل به..“ولم ينفعهم ذلك“

يقول ممثل فرنسا فى الجزائر فى المسجد الذى تحول إلى كنيسة: أما العرب فلن يكونوا ملكاً الى فرنسا الا اذا اصبحوا مسيحيين جميعاً.. أى أنهم إذا تنصروا فسوف يسمح لهم أن يبقوا فى الجزائر رقيقاً لفرنسا.. إن الفرنسيين قد يفضلون على العرب اذا تنصروا بأن يجعلوهم ملكاً لهم وهذا شرف عظيم، وهذا هو منطق الصليبية والصليبيين، هو منطقها فى كل مكان.¹

طبيعة الغدر والفتك

يقول الشيخ: هذه الفضائع المروعة ليست فى الصليبية الغربية سجية محدثة، إن القوم يسировن على المنهج الذى سلكه أبائهم من قبل فالخلف والسلف على

¹ الشيخ محمد الغزالى: الاستعمار أحقاد وأطماع ص 21 وما بعدها

اختلاف الأمكنة والأزمنة تحركهم طبائع واحدة، وتحدهم غاية واحدة، أنهم مع خصومهم لا يعرفون للحرب أدباً، ولا للرحمة موقعاً، إلا إذا تكافأت القوى وخافوا الثأر العاجل، فهم عندئذ يعاملون العدو بحذر، اتقاء للعقوبة لا اتقاء لله تعالى، أما إذا أمنوا الثأر، فلن يتوقع منهم إلا بطش الجبابة، هل استخدام القنبلة الذرية يومئذ إلى ذرة امن الحس الانسانى؟ أن هذه القنبلة تنزل فتحصد الرجال المقاتلين، ثم تحصد معهم الشيوخ الفانيين، وجماهير النسوة والأطفال ممن لاشأن لهم بالحرب ابداء، ثم قطعان البقر والغنم والدواجن التى تعيش لسوء حظها مع هؤلاء، بل الحشرات وأنواع النباتات، أنها تجتث الحياة اجتثاثا حيث تنزل بلعنتها الماحقة ومع هذا الشر المستطير فإن الأمريكان أنزلوه بمدنيتين يابانيتين فى الحرب الأخيرة، وهو نوع من القتال لم يعرفه أدب الحروب من بدء الخليقة، ولولا أن سر الذرة فضح، وعرفه الآخرون

لاستخدام هذا التفوق فى قهر الناس، وتغليب الهوى،(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض).¹

إن وحشية الفرنسيين فى الجزائر لاتزيد ولا تنقص عن وحشية غيرهم فى شتى المستعمرات، وخاصة التى يعيش فيها المسلمون وهى تجديد للأساليب القديمة التى أتبعها آباؤهم فى إبادة الأجناس، واستئصال المخالفين فى الرأى والعقيدة.

وهل محى الإسلام من الأندلس محوا إلا بالحديد والنار، وما سجله التاريخ لمحاكم التفتيش من همجية وعار؟ هل حدث مثل ذلك أو بعضه أو شئ منه فى تاريخنا.

الطبيعة الوحشية الداخلية:

ثم يتحدى الشيخ وحشيتهم مع بعض فيقول:(محاكم التفتيش التى قامت فى بلاد عديدة من أوربا، مثل أسبانيا وإيطاليا وفرنسا والبرتغال وألمانيا.. وإصدار أحكام منها: الإماتة حرقاً فى احتفالات عامة يحضرها الملوك والوراء والأعيان والدفن بالحياة بوضع المحكوم عليهم فى مقابر، تترك فيها فتحات صغيرة

¹ البقرة: 251.

ليراهم الناس منها وهم يذنون من الموت رويدا رويدا،.. فان كان المحكوم عليه امرأة، عريت

وشدت الى مقبرة وتركت ليلا ونهارا حتى تموت أو تجن.

ومن الأساليب أيضا:

= استعمال السياط فى الاقضية.

= التعليق فى السقف وربط كل يد وكل قدم الى حبل يشدها فى اتجاه مضاد.

= غرز المسامير الرؤس.

= سل اللسان من الحلق بالآت خاصة.

= تهشيم بأجهزة معينة.

وضع الإقدام فى أحذية حديدية عرضت للنار حتى حميت واحمرت.

= الكى فى أى مكان الجسد.

= استعمال أحذية ذات مسامير داخلية حادة.

= مشانق تشنق المتهم نصف شـنق.

= تسديد حربتين الى عيني المتهم تنفذ ان من مؤخرة الجمجمة:

= توجيه حرية الى القلب، وأخرى الى المعدة او الأمعاء.

= كى الجسم وكسر عظامه بالآت خاصة.

= سلق مواضع من الجسم او سلخها بوضع إسفنج مغموس فى ماء مغلى عليها.

= تعريض الرؤوس لمطارق ثقيلة ساحقة.

= صب الماء فى الجوف من الفم اثناء الوخز بالدبابيس فى الاعصاب والشرابين.

= وضع الة على فم المذنب حتى لا يخرج انينة، فإذا اغمى عليه انعش بشراب معين، ثم أعيد إلى التعذيب من جديد، وإذا مات فى أثناء التعذيب ألقى به بين المعذبين الآخرين زيادة فى ايلامهم وإرهابهم

هل صنع انسان فى الشرق مثل هذا؟ ان الانسان لم ينحط فى الشرق قط، كما انحط فى الغرب فى أزمنة مختلفة، وفى دورات متعددة من التاريخ، ولا علا فيه جانبه الحيوانى المفترس، كما علا فى ربوع الغرب واستبد وسيطر.¹

الهجوم علي الإسلام:

يقول الشيخ: الواقع ان الحملة الصليبية علي أرض الإسلام فى هذه الأيام النحسات استخدمت أسلحة جديدة، وحقت أهدافنا رهيبة واستغلت أسوأ استغلال الفوضى الثقافية والاجتماعية التى تسود عالمنا الإسلامى لقد اختبأت وراء الشعار القومى لتفتك بالإسلام²

الأهداف الحاقدة:

يقول الشيخ والأعداء إذا شنوا غارة على بلد ما، فهم ينزلون به سائحين عابرين ولا زائرين متفرجين، وإنما ينزلون به مستبشرين ببيضته، وكاسرين شوكته فان كانوا طلاب مغانم استنزفوا خيريه ولم يدعوا لأهله إلا الفتات، وان كانت لهم أغراض دينية أو اجتماعية أوضاعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة، وتغير ملامحها وكما ينقل النهر من مجري الى مجري آخر، تنتقل الأمة رويدا رويدا من مجراها الفعلى الأول إلى مجري آخر يرسمه خصومها ويدفعونها اليه دفعا.

والاستعمار الغربى الذى هاجم العالم الإسلامى من بضعة قرون كان مزدوج الهدف، فهو طامع فى خيرات لشرق الكثيرة، يراها ميراثا لاصحاب له، وهو فى الوقت نفسه مثقل بضغائن قديمة يكره الإسلام كراهية شديدة ويضيق بكل من ينتمى إليه، ويشدد ضيقه بالعرب خاصة، فهم قوم محمد وحملة رسالته، وماتزال

¹ المصدر السابق ص 32.

² الشيخ محمد الغزالى: جهاد الدعوة ص 111 دار الصحوة 1987م

لغتهم مستودع كتابه وسنته، فلما وافته الفرصة وضع يده على أقطارهم شرع يضرب الإسلام بقوة ومكر، ومضى دون هوادة يجهز على قلوله الثقافية الخائرة بعدما دحر جيوشه العسكرية فى مواطن كثيرة.¹

***اليهودية تستفيد من عداا الصليبية والمادية للإسلام:**

يقول الشيخ إن الأمانى – عند اليهود – التى دفنت فى تراب الذل نحو ثلاثين قرنا، انتفضت بالحيا بغة، وجرت معها عداا الصليبية لرسالة التوحيد، وعداء المادية لرسالات السماء، ولوحى الله تعالى جملة وتفصيلا، ثم هجمت على العرب المنقسمين على أنفسهم، الزائغين عن رسالتهم، واستطاعت أن تكسو وجوههم بالقار، أو أن تملأ ديارهم بالعار، تلك حال اليهود ومن والاها.²

***الصليبية والإسلام فى العصر الحاضر:**

وعن خطورة الصليبية على الإسلام فى العصر الحاضر يقول الشيخ:

(أما الصليبية فقد قررت الإجهاز على هذا الدين والخلص منه بأى ثمن وقد مضت القرون وهى تحاول ونحن نقاوم ولا نستعرض الآن الماضى وإنما ننظر فى حاضرنا الدامى، ومايتربص بنا من أحداث جسام، فالعالم الصليبي الآن راجح الكفة، بالغ القوة، تسود أرجاؤه حضارة بشرية متفوقة فى ميادين الصناعة، بعيدة السبق فى إستغلال التقدم العلمى لخدمة مآربها المادية والمعنوية.. وصادف ذلك كله أن الأمة الإسلامية كانت تتلوى مكانها من علل فادحة برحت بها وعطلت حراكها، ومن ثم أخذت تتلقى الضربات من كل ناحية.. والذى يدعو للغرابة أن الضربات لاتفتقر، والكميان لايسقط، ترى كم سيبقى؟ إن العداا ماضون فى الهجوم، وقد أصابهم فى الأيام الأخيرة لون من الهوس لأنه خيل إليهم أن الدين الضحية غالب آلامه وعاودته العافية ولذلك فإن العدوان زاد.. ولايزال الدين الجلد صامدا بل بدا كأنه يتأهب لأمرها..

***مصادر الحقد على الإسلام:**

¹ الشيخ محمد الغزالى الغزو الثقافى يمتد فى فراغنا ص 44 دار الشرق 1985م

² الشيخ محمد الغزالى: حصاد الغرور ص 19 ط مكتبة وهبة 1987م

إن انسلاخ المرء عن ماضيه صعب مهما ارتفع مستواه الثقافى والعالم الصليبي ضائق بالإسلام منذ ظهر، وقد اشتبك معه فى حروب طويلة، اشتركت فيها حروب أوربا جمعاء وترادفت حملاتها حيناً من الدهر، وإذا كانت هذه الحروب لم تقض على الإسلام. فإن مخالفتها الدامية رسبت فى نفوس الصليبيين، والتصقت بأفئدتهم، وأمست ذكريات متعمقة فى السرائر.. ورؤساء الكنيسة يسرهم بين فترة وأخرى أن يصبوا الزيت على النار لتزداد اشتعالاً، ولاتدع مكاناً لتراحم أو سماح... بل إن أولئك الرؤساء تدخلوا فى صياغة التاريخ ودفع العلاقات الدولية فى مجار رسموها بعناية حتى لاتتاح فرصة يلتقط الإسلام فيها أنفاسه، ومنطق الصليبية هنا يصرخ بالثأر، وينادى بالموت على عكس منطق النصرانية القديمة القائم على العفو والرحمة.

*كراهية اليهود للإسلام:

وكراهية اليهود للإسلام معروفة، فهم يرون مغتصبين للنبوّة التى كانت حكرًا فى بنى اسرائيل كما يرونهم المطاردين الأوائل لليهود الحجاز ووارثي أملاكهم، وقد وجد هذا الضغن متنفسه عندما تمهدت ميادين العمل لليهود فى العالم الصليبي.. فتلاقى الحقد اليهودى على الحقد الصليبي فى تشويه سمعة الإسلام، وتحريف قضاياه كلها.

*اليقظة:

إن كل ساعة تمر دون يقظة منا ندفع ثمنها باهظاً، وتتحقق لخصومنا الانتصارات رخيصة، وما أظن العالم – فى عصرها هذا -أمتن حقوقاً ولا ازدرى قضايا مثل ما فعل فى حقوقنا وقضايانا، وخطته الموضوعية ألا تقوم لنا قائمة.¹

يقول وزير المستعمرات البريطانية عن سياسة بريطانيا فى الدول الإسلامية: إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الامبراطورية من تحذوه وتحاربه.. وليست انجلترا وحدها هى التى تلتزم بذلك، بل فرنسا أيضاً. ومن دواعى فرحنا أن الخلافات الإسلامية زالت، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة، إن سياساتنا تهدف دائماً وأبداً إلى منع

¹ الوزير "اورمسي غو" فى رسالته الحكومة البريطانية 1938/1/9

الوحدة الإسلامية، أو التضامن الإسلامى ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك. أن خطة العالم الصليبي تدولتها أجناس شتى وفى هذه الأيام انتقلت من قارة الى قارة، بيد أن الخطة هي هي، ومن ورائها حقد رهيب، وتربص عنيد، والشئ الذى يدعو للأسف أن الفريسة غافلة، لاتعرف مايبيت لها ولا ماتكاد به – يدبر لها فى النهار نحن المسلمين نجنى العلقم من أقوام لايعرفون فى معاملتنا إلا الفتك والاستئصال، فإذا لم يباشروه بأيديهم، أعانوا من يباشر ذلك من اليهود والوثنيين والملاحدة ووضعوا فى أيديهم السلاح وأشاروا عليهم بالرأى.

علينا أن نعتمد على الله تعالى، ونياس من طهارة هذه النفوس، فإن صدقنا الله صدقنا¹. (والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا).²

***تنوع أدوات الحرب ضد الإسلام**

يقول الشيخ عن أدوات الحرب المختلفة ضد الإسلام:(ولا بأس من كل وسائل البطش والفتك حتى يمكن الخلاص من هذا الدين، والمتشبهين به وشرعت الأمة اليتيمة المهزومة تجابه حرب الاستئصال وحرب الخيانة، واشترك فى ضربها الشيوعيون والصليبيون والوثنيون واليهود، و الذين يغتالون فى المنافى والسجون، أكثر من الذين يغتالون فى البيوت والشوارع، والحرب تبدأ لتندلع، وقد مر أكثر من قرن على هذا البلاء الموصول، ومع هذا كله فقد أبى المسلمون نسيان ربهم ونبيهم، ولا تزال بين الأنقاض والآلام جماعات غفيرة تعلن بقاءها على الإسلام، واستمساكها بكتابه وسنته ولغته وقيمه.. إن المدافعين لم يستكينوا ولكن المهاجمين مصرون على الحدث العظيم، وماضون فى طريق العدوان كأى وحش مفترس لايوقفه إلا العجز أو الموت)³.

تنوع عناوين الحروب ضد الإسلام:

¹ الشيخ محمد الغزالي: هموم داعية ص 91 ومابعدھا ط دار الاعتصام 1983م

² سورة النساء: 45.

³ الشيخ محمد الغزالي: هموم داعية ص 100.

يقول الشيخ: (أما الصليبية فإن مقاومتها للإسلام ظلت متقدمة النار خلال القرون التي عاشها، منذ ظهر إلى الآن، أربعة عشر قرناً والخصام لاتفتقر حدته، ولاتنقص شدته، أخذ هذا القتال عنوان الحرب مع الروم، ثم أخذ عنوان الحروب الصليبية، ثم أخذ عنوان الحرب بين الأتراك وأوربا، ثم أخذ عنوان الاستعمار العالمي).

واختفت العناوين وبقيت الحقائق في الكشوف الجغرافية، التي قادتها المصادقات الى الأمريكيتين من ناحية، وقادت إلى الهند وشرق آسيا عن طريق رأس الرجاء الصالح من ناحية أخرى. ثم جاء العصر الأخير ومعه الغزو الثقافي والتيارات الدولية المختلفة، والتفاف الكنيسة حول الإسلام، تريد أن توجه إليه الضربة القاتلة.. أربعة عشر قرناً تساقطت حولنا نحل شتى وبقيت الصليبية وحدها تحاول إخماد أنفاسنا.. والدول الاستعمارية هي التي صنعت ولاتزال تصنع إسرائيل إن الجحر الذي نلدغ منه لم يتغير

والعدو الذي قاتلنا أيام الرسول في (مؤتة)¹ هو الذي يقاتلنا الآن،

وقد أمسى لا يخفى ضغائنه ولا أغراضه استهانة بنا.²

*حرب الإبادة

يقول الشيخ: أن حرب الإبادة قد وضعت خطتها لإفناء الجنس العربي، ولال بنى إسرائيل مكانه، والحقيقة أن الإسلام بالنسبة للعرب ليس فقط البداية العليا لعباد الله تعالى، ولكنه طريق النجاة العاصم من الغرق بالنسبة إلى هؤلاء العرب والخيط الباقي ليظلوا على قيد الحياة، أن أرادوا الحياة.³

*اختلاف طريق الإبادة

يقول الشيخ: (استغل الغرب تفوقه السياسي والعسكري وسقوط أغلب الأقطار الإسلامية في قبضته ليمحو من النفوس والأذهان كل إغزار لهذا الدين، أو إحياء

¹ دارت الحرب فيها بين المسلمين والروم وبعض العرب المشركين وكانت في السنة الثامنة للهجرة

² ابن كثير: البداية والنهاية 632/4.

³ الشيخ محمد الغزالي: الطريق من هنا ص 97 دار البشير 1987

لتعاليمه، ورسم خطة شاملة واعية للقضاء عليه نظرياً وعملياً، واجتثاث جذوره، عنواناً وموضوعاً، وتوهين روابطه فى الأفراد والجماعات، وأثارة فوضى عامة فى كيانه العادى والأدبى تنتهى - حتماً - بزواله وان أستغرق زمناً طويلاً أو قصيراً.

واختلفت دول الغرب فى طرائق اجهازها على الإسلام، فمنها المتعجل الذى يريد ذبحه بالسكين والقضاء على أهله بالسرعة التى تقرب الغاية المنشودة، ومنها المتأنى الذى يذبح بغير سكين، ويقتل من غير أن يسفك الدماء، ويلجأ الى العنف فى الفترات التى تستعص فيها الضحية ولايبقى التكشير عن الناب بد.¹

***علاقة التدين بمقاومة الاستعمار:**

يقول الشيخ: اندفعت الصليبية الغربية فى غل دفين وتوحش مربع، اندفاع العواصف المدمرة، ورجفت شتى بلاد الإسلام من عنف الولايات التى

إنزالها بها أولئك الغزاة السفهاء، وانتصبت مصر أمام هذا الروع، وظللت

مائتى عام تقاوم حتى ارتد خاسئاً ذليلاً. إن التدين هو مفتاح الشخصية المصرية، فإذا وجدت هذه النفس الطيبة متنفسها العميق فى الإسلام من حيث أنه عقيدة وسياجها المتين من حيث أنه نظام. وإذا وجد الإسلام من هذه الأمة الطيبة أفئدة تهوى إليه، وتنفذ تعاليمه وتحقق أهدافه، فانتظر نهضة ناجحة ومستقبلاً مشرق وخيراً غزيراً، لا لمصر وحدها ولا للعروبة وحدها، ولكن للعالم أجمع... والمستعمرين للشرق الإسلامى يعرفون هذه الحقيقة، ولايتوجسون شراً من شي توجسهم من قيام حركة إسلامية تصل ما انقطع من تاريخنا، وتتصل اتصالاً مباشراً بفطرتنا وميولنا وترشحنا للقيام بواجبنا العتيد... ومن ثم ركز الانجليز والفرنسيون، وغيرهم من كهنة السياسة، وزبانية الاستعمار ركزوا قواهم فى فصل الدين عن الدولة، وإبعاد الإسلام عن ميادين التشريع والتنفيذ... ولاننسى جهود الاستعمار الداخلى- أعوان الاستعمار- فهى تعمل دائبة على إفساد معنى التدين، وخلق جيل يأكل بالإسلام ويعين عليه، ويصرف عواطف الشعب المؤمن

¹ الشيخ محمد الغزالى: حصاد الغور ص 49

الى مجال الخرافة والبدعة والجهل، وكما تضيع مياه النيل هباء في أعماق البحر الأبيض، لا يستفاد منها في إخصاب ولا إثمار، تضيع مشاعر الإيمان المستكن في قلوب العامة والخاصة¹

***الشر المتربص:**

يقول الشيخ أن ألف مليون مسلم بدءوا القرن الخامس عشر من تاريخهم في ظروف عاصفة، اعداؤهم يعانون حيناً، ويواريون أحياناً بنيتهم، أنهم يريدون القضاء عليه، وقد رسموا الخطط وبدءوا التنفيذ والليالي الحبالى تتمخض عن أحداث كئيبة فأطرافنا تنتقص يوماً بعد يوم، بل صميمنا مهدد بالضياح والاستعمار الثقافى ملح فى محو شرائعنا وشرائعنا، يعينه كتاب مرتدون او ساسة مبغضون لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أن كل مسلك يجعل المجتمع الإسلامى أضعف من نظيره الشيوعى أو اليهودى أو الصليبي بعد خيانة أو ارتداد، كل تفريط مدنى أو عسكرى فى خدمة الإسلام فهو عصيان.

رسالة توجب على معتنقيها أن يجعلوا مجتمعهم أجدر بالحياة، واقدّر على النجاح.² حاول المستعمرون بكل وسائل البطش، فتنة المصريين عن دينهم، رسالة الدم غزيراً فى المدائن والقرى، ومع ذلك كله تكسرت أمواج القوة أمام صلابة المعتقد، وبقي المصريون على دينهم الذى ارتضوا به.³

***الحقد والقتل:**

يقول الشيخ: أن كراهيتهم – الصليبيين – للإسلام ترضح من معين لايفيض، وجمهرتهم تود لو خسف بنا وخلت الأرض منا، هؤلاء الصليبيون، ماإن تمكنوا قديماً من دخول بيت المقدس حتى ذبحوا سبعين ألف مسلم، وحديثاً أحتموا بالجيش

¹ الشيخ محمد الغزالى: من هنا نعلم ص 10، 11 ط دار الكتب الحديثة بدون ط 5

² الشيخ محمد الغزالى: مشكلات فى الطريق الحياة الإسلامية ص14، ص15 ط دار البشير 1989.

³ الشيخ محمد الغزالى: نظرة على واقعنا الإسلامى ص5 دار ثابت 1983

اليهودى وقتلوا بأفحش الأساليب أربعة ألف مسلم فى مخيمات الفلسطينيين بصبراً وشاتيلاً ولم تتحرر الجزائر من ارجاسهم الا بعد ان ضحت بمليون ونصف مليون شهيد كى تستعيد المساجد التى حولها الفرنسيون الى كنائس، وتستنقذ جيلاً من البشر سرقت عقائده ومعالمه جهرة، واغتيالاً، لقد أشتراك المستعمرون الفرنسيون ورجال الجيش والشرطة فى قتل قريب من أربعة آلاف مسلم، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فى مدينة(سطف) ثم جاء دور اليهود ليبيدوا شعباً، وينشئوا على أنقاضه دولة لهم تحت سمع المؤسسات العالمية وبصرها، وبين موافقتها ومعاونتها.¹

الصليبية خطر على الروحانية فى العالم:

يقول الشيخ: ولو أن المسيحية بقيت كما بدأت- لاريب فيها ولاذخيل عليها-

لما أمكنها أن تقوم بالوظيفة التى ندبت أنفسهم لها وظيفه توجيه العالم أجمع وإرشاده، وذلك لانها ديانة محلية موقوتة بزمان ومكان.. ولو استعرضنا أدوار الصراع بين المسيحية واتجاهات البشرية الخاطئة أو الصائبة، لوجدنا أن تصرف المسيحية أضر بالأديان، أكثر مما أضر بهذه الاتجاهات... إننا حريصون على أن يأخذ الإسلام نصيبه الكامل فى عرض حقائقه وبيان مناهجه... وإن كنا نذكر- فى معرض السخط والاشمئزاز- أن الصليبية الغربية تأبى ذلك كل الأباء، وتوحى إلى أوليائها من الحكام فى الشرق الإسلامى، أن يقفوا بالمرصاد، لكل دعوة من هذا القبيل... ومن الظلم القبيح للمسلمين، بل من الإساءة البالغة لهذا العالم المسكين، أن يحرم من وجود أمة تحترم كتاب ربها وسنة نبيها، وتحتكم إليهما فيما يعرض لها من أحداث وشئون، وتعتبر التدين شرفاً لا عاراً، والإيمان بالله واليوم الآخر جداً لا لغواً، أن أوربا تأبى علينا ذلك، ونحن نأبى إلا ذلك، وسنرى مايكون والسلطة القائمة.. ولكن الحاجة ماسة إلى عمل منظم قوى، يخضع سياسة الحكم وسياسة المال لتعاليم الدين، خضوعاً لافكاك لها منه مهما اختلف الأوطان، وتناولت العصور.²

¹ الشيخ محمد الغزالى: سر تأخر العرب والمسلمين ص60 ط دار الريان 1987

² الشيخ محمد الغزالى: الإسلام المقترى عليه ص30 ومابعدھا ط مكتبة وهبة

الصليبية تتربص بالإسلام:

يقول الشيخ / أن كل عمل لتوهين قوى الإسلام وإضعاف العلاقة به، وجعل الأمة مضطربة فى الأخذ من الكتاب والسنة يتملكنى شعور بأن هذا العمل خيانة عظمى، ومشاركة لأعداء كثيرين يلتفون حولنا ويتربصون بنا، إن قارب النجاة الوحيد وسط طوفان من البلايا التى تهب على العالم الإسلامى من يمين، ويسار، هو الإسلام...

هناك خمس جهات تقاتل الإسلام الآن:

الجهة الأولى: ~~جهة الفاتيكان أو الكاثوليك~~.. أن الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى أو عزوا إلى عميل لهم هو مصطفى كمال أتاتورك فرمى بالخلافة التركية فى البحر.. كانت رمزاً وكانت تمثل أبوة روحية وثقافية للمسلمين.. ولقد روا بالخلافة الإسلامية فى البحر.

الجهة الثانية: جهة العالم البروتستانتى.. وهذه الجهة من وراء مجئ اليهود

الى فلسطين، البروتستانت هم الكثرة الكاثرة انجلترا والكثرة العظمى فى

الولايات المتحدة الأمريكية، واثر هؤلاء فى قيام اسرائيل معروف.

الجهة الثالثة: هى الجهة اليهودية: ان عدد اليهود فى العالم ستة عشر مليوناً، ولهم قدرات علمية ومالية ودعائية وفنية، تجعلها يصنعون الاعاجيب.

الجهة الرابعة: هى الجهة الشيوعية: وهى جهة ورثت الأملاك التى كسبتها روسيا القيصرية، وهى - الاملاك - نصف العالم الإسلامى الشرقى، والعرب فى غفلة.(كأنهم يبلعون حشيشا او بنجا).

الجهة الخامسة: هى الجهة. جهة عباد الصنم، وعباد الصنم لهم قتلى من المسلمين كل سنه بالمئات والألوف فى الهند وفى أيام التقسيم الى باكستان وهند قتل نحو مليون مسلم.¹

¹ الشيخ محمد الغزالي: محاضرات فى إصلاح الفرد والمجتمع: وإعداد قطب عبد الحميد ص 43 وما بعدها ط دار البشير 1989م.

الصليبيون يكرهون الخير اذا جاء عن طريق الإسلام:

يقول الشيخ: ان المسيحيين لا يريدون ان يأخذوا حكما إسلاميا، يدفعهم الى تحريم الخمر مع انهم يعرفون أن أخطار الطريق أغلبها من السكارى، حوادث الإجرام والحوادث الأخلاقية أغلبها من السكارى، فساد الآلات فى المصانع أغلبها من السكارى هم يريدون تحريم الخمر، ولكنهم يكرهون ان يأخذوا حكما من الإسلام، وتعدد الزوجات: كانوا يتمنون لو ابيح هذا عندهم، لكن كرههم للإسلام جعلهم - ف اوربا - يرفضون هذا. وهى تعرض المسيحية على زنوج افريقيا.. وتتغاضى الان عن الجيل القائم بحيث انها تستدرجهم للمسيحية ثم تبدأ تعليمهم المسيحية الكاملة.¹

لا قانون لعلاقات الصليبية بالعالم:

يقول الشيخ: الناس يعرفون عن دول اوربا انها كل اثاره للشرف والحق، فى علاقتها السياسية بأمم الشرق. وان الحضارة الغربية قد اسقطت جملة ماكنة الضمير الانسانى سواء فيما يدور بينها من منازعات، ام فيما يدور بينها وبين غيرها، من مشاكل

وخصومات. واسياسة الاوربية هى صاحبة مبدأ الويل للمغلوب، ومبدأ الغابية تبرر الوساطة ومبدأ المعاهدات قصاصات ورق ونحن نقول ان انجلترا فى ذلك تمثل النفسية العامة لدول الغرب فليست خيرا ولا ششرا ن فرنسا وايطاليا.. وامريكا.²

الاستعمار يزرع الطائفية ف بلاد المسلمين: يقول الشيخ: جاء الاستعمار الحديث فشرع يحشن افئدة الطوائف الدينية ف العلم الإسلامة، بالحق والغش ع اخواتهم الطيبين، ويخلق حكايات مفتريات عن ظلم الاكثرية المسلمة للأقلية الدينية، ويغرى نفرا من الغلاة بمطالب مجنونة لحصيلة لها الا زرع القطن

¹ الشيخ محمد الغزالي كيف نتعامل مع القرآن ص 96، 97 ط: دار الوفاء 1992.

² الشيخ محمد الغزالي: تأملات فى الدين والحياة ص 54 ط دار الدعوة 1990.

* لا للخضوع:

يقول الشيخ: مما يثير قلق الامة الإسلامية ويخرج كبرياءها، هو خضوع المسلمين واحتلال اراضيهم فى بعض اجزاء معينة من العالم وان اشد ما يؤلمها واقساها مرارة ف نفسها هو احتلا مدينة القدس الشريف، واغتصاب مقدساتها ان على الامة الإسلامية ان تعبى قواها من اجل الجهاد المقدس لاستعادة مدينة القدس الشريف وتحرير كافة الاراضى الإسلامية المغتصبة)¹.

تحذير من اليهود:

يقول الشيخ: ما انتهت الحروب الصليبية.. وانما هى الأيام مد وجزر، عاد هؤلاء ليسلموا الأرض مرة اخرى الى اليهود.. والغدر اليهودى طبيعة جنس وخصائص امة وميراث اجيال، وحقيقة لايمكن انكارها، ولا التغاضى عنها، واليهود يعلمون من انفسهم هذا.. وهم يؤكدون انهم اذا كانوا قد ضربوا مفاعلا ذريا عراقيا.. فهم مستعدون ان يضربوا اى بلد عربى له قاعدة يخشونها، اوله قوة يرهبونها، هذه طبيعتهم ولست الومهم، لكنى الوم الصف المختل الوم العين النائمة وسط العيون الخائنة، الوم العرب الذين نسوا الله فأنساهم انفسهم)².

(متابعة):

كان الشيخ يرحمه الله تعالى يملك احساسا كونيا، وافقيا عالميا فى معالجته لمشاكل الدعوة الإسلامية، وهذا ما يجب ان يتحلى به كل داعية يتصدق لقضايا الدعوة الإسلامية، فالرؤيا المحدودة ن والافق الضيق، والمحلية ف الفكر، كل هذا يؤدى الى ضعف فى حركة الدعوة فى حاضرها، ويؤثر سلبا على مستقبلنا ولذلك كان للمكانة التى تبوأها الشيخ اسبابها، ومن اهم هذه الاسباب تركيزه على ما ينف فى داخل البلاد الإسلامية، وفى خارجها والتحذير مما يضر بها ف الداخل والخارج.

ومن خلال معالجة الشيخ لقضية الاستعمار تتضح عالميته الفكرية التى بؤأته مكانة لم يصل إليها داعية ف العصر الحديث.

¹ الشيخ الغزالي: الإسلام والطاقت المعطلة ص 112

² الشيخ/ محمد الغزالي: خطب الشيخ محمد الغزالي ص 76 ط دار الإقتصاد 1988م

فقد عالج قصية الاتعمار من زوايا متعددة تتجلى فيما يلى:

1- ماهية الاستعمار الصليبي:

عندما يتحدث الشيخ فى الدعوة الإسلامية فإنه يستحضر سنن الله تعالى ف الكون، ويستحضر التاريخ، وينظر بدقة الى حركة الحياة، وتضارب مصالح الناس فيها، من ثم فإنه يحدد علاقة الاستعمار الغربى الصليبي بالمسلمين ويردها الى اصلها الأصيل وهو الحقد على الإسلام والمسلمين من بداية الصراع فى يثرب وفى نهاية الحياة على الارض، ثم يزواج بن احقاد الاستعمار القديمة المتجددة، وبين اطماعه فى بلاد المسلمين، ويرى انه من واجب كل داعية يتصدق لتوجيه الجماهير المسلمة ان يضع نصب عينيه هذا الترازوج - احقاد واطماع - لتحديد علاقة الاستعمار بالمسلم محددا الهوية ملما بالماهية، ومن خلال ذلك يستطيع ان يوجه الجماهير المسلمة توجيهها نافعا ينفعها فى يومها، ويؤمن لها غدها التى تتزاحك عليه دول العالم الغربى لسرفته اقتصاديا وعسكريا ومحوه من سجل الزمن لفظا ومعنى، واثرا وتأثيرا.

يقول د/ قاسم عبده عن امتزاج الحقد على الإسلام بدم الصليبيين كما ظلت للحروب الصليبية جاذبيتها فى اوربا الغربية حتى القرن الثامن عشر. فبالنسبة لخمسة عشر جيلا من ابناء الغرب الأوروبى كانت الحرب الصليبية تشكل جزءا حيا وحيويا من عالمهم، ا ان مئات الألوف منهم قد شاركوا بأنفسهم فى حملة او اكثر من الحملات الصليبية، كما ان آلاف عديدة من ابناء الغرب الأوروبى ساهموا بأموالهم فى تمويل حملة او اكثر من هذه الحملات، ومن ناحية اخرى كانت احداث الحروب الصليبية تشغل بال الكثيرين ممن لم يشاركوا بالنفس او المال¹

فى الفقرة السابقة يصور المؤلف حقد اوربا الصليبية على الإسلام، فمنهم من مول هذه الحملات بالمال، ومنهم من شارك بالنفس من قتل منهم كان له ابناء يرجون ثأره، مضافا إليه الحقد العالم على الإسلام والمسلمين.

¹ قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية ص10 المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت 1990.

وعن التزاوج بين الأحقاد والأطماع يقول د/ قاسم عبده: (ولما كانت الحركة الصليبية فى التحليل الأخير إفرازا للتفاعل بين الكنيسة والإقطاع، فإنها كانت تسعى بالضرورة الى تحقيق الإهداف الكنسية التى كانت البابوية قد بلورتها من خلال نزاعها مع الإمبراطورية وهى اهداف كانت تتركز اساسا حول السيادة المطلقة للبابا على العالم المسيحية، كما ان الحركة الصليبية كانت من ناحية اخرى محاولة لتحقيق اهداف الناس العلمانيين الذين خضعوا للتنظيم الإقطاعى سواء كانوا من النبلاء وفرسانهماو من الفلاحين، لقد كان الفرسات يرغبون فى توسيع سلطانهم واملاكهم.

اما البرجوازية الناشئة، ممثلة فى القوى التجارية الإيطالية على وده الخصوص، ففقد رأت فى المشروع الصليبي فرصة هائلة للسيطرة على تجارة البحر المتوسط وتجارة العالم، ولذا سارعت بالإضمام للمشروع بعد ان صار حقيقة واقعة).¹

وبهذا تستكمل حلقات الصراع - صرع الاحقاد والأطماع أدى فيما بعد صراعات طويلة ومريرة قضت على عافية الأمة الإسلامية وعلى دروها المنوط بها ف إقامة العدل فى العالم، والرقى بالمستوى الأخلاقى والحضارى

وبداية الحقد على الأمة الإسلامية سجلها القرآن الكريم عند مزوله، وليس شيئاً ابتدعه الشيخ من عنده، يقول الله تعالى: (ود كثيرا من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم...) ²

ولماذا اهل الكتاب بالذات؟ لان الحضارات تقوم داخل سياج من الإيمان والأخلاق وهزيمة اهل دين، وتحويلهم عن دينهم تعتبر قضاء على حضارتهم وهذا هو جوهر الصراع بين اهل الاديان ظاهرة الدين، وباطنة السياسة والاقتصاد والثقافة، ومن العجبان بعض المسلمين يتسامح فى هذه الأشياء، ويظن ان الصراع مع الأعداء ينصب على قضية الإيمانلا يعنى الصليبيين فى

¹ المرجع السابق ص 57، 58

² سورة البقرة الآية: 109

شئ لانهم قاتلوننا على الدنيا لا على الآخرة، وانما يستهدفون الدين لا السياج الذى يحمى دنيا المسلمين وحضارتهم وبعض

الناس فى العالم الإسلامى يظن ان التسامح فى القيم الإسلامية نوع من التقدم والتحضر، ولا يعلم ان هذا التسامح سوف يدمر له التقدم والتحضر وكل ما ينتغيه من خير.

طبيعة الغدر والفتك:

يرى الشيخ ان الحقد الذى يسكن قلوب الصليبيين على الإسلام والمسلمين، ويؤدى بهم الى نوع من الشراسة والقسوة ليس معهودا من البشر حين يتغلبون على المسلمين فى اى صراع، وكتب التاريخ حبلى بالمذابح التى جرت للمسلمين من الصليبيين والتتكيل الذى حدث لهم، ومع هذا فالحاضر يشهد بقسوة ما يحدث للمسلمين من الصليبيين فى كل مكان فى العالم يدور فيه صراع بينهما وتكون الهزيمة فى صف المسلمين، وما حدث للمسلمين فى البوسنة والهرسك خير شاهد على هذا، فهم لم يكتفوا بالمذابح الجماعية وبقر بطون النساء الحوامل انما اضافوا الى الصراع الوانا جديدة من القتل المعنوى، فقد اغتصبوا كل امرأة وقعت ايديهم عليها، وبعض الناس يظن ان هذه الشهوة عند الجند وحدث فرديه، ولكن التحقيقات كشفت ان هذه سبب سياسة الغرض منها قتا معنويات المسلمين فى الداخل والخارج على السواء، واعتقد انهم وصلوا الى شئ مما يريدون، فقد كان كل ذلك يحدث والحياة تسير طبيعية فى بلدان العالم الإسلامى، باستثناء بعض العقول التى استشعرت الخطر، وبعض القلوب التى وجلت رحمة وخوفا على مستقبل الإسلام والمسلمين.

وفى كوسوفا حدثت مجازر للمسلمين واغتصاب لنسائهن، وحدث ذلك للمسلمين فى الفلبين ويحدث للفلسطينيين من اليهود ما يشيب له الولدان، ويكفى فى ذلك رفض إحدى محاكم اسرائيل للقسوة التى تتعامل بها الشرطة الإسرائيلية مع الفلسطينيين.

وقد سجل الشيخ كل ذلك فى كتبه ورصده رصدا دقيقا، وقد سبق ذكر جانب من ذلك فى هذا الفصل. ويرى الشيخ ان طبيعة الغدر والفتك طبيعة متصلة عند الصليبية فى كل صدام مع الغير فقد استخدم الامريكيون القنابل النووية ضد

اليابان وقتوا مئات الألوف فى لحظات. ويرى الشيخ ايضا انهم فى صراعهم الداخلى لا يترجمون، وقد وضعوا قوانين لذلك منها "ويل للمغلوب" والشيخ بذلك لا يقدم تاريخا مسليا للناس - على عادة العرب - بل يقدم انذار صادقا للمسلمين يحذرهم به من عدو لا يملك اى مشاعر انسانية تجاة الصغير، خاصة اذا كان هذا الغير من المسلمين، ويستنهض همه المسلمين لتحسين انفسهم من يوم يقعون فيه تحت طائلة هذا العدو الشرس الذى لا تعرف الرحمة طريقا الى قلبه"ن ولا يعرف العدل طريقا الى عقله، انما رحمته وعقله سياسة، فإذا انتفت اسبابهم انقلاب وحشا شرسا مدمرا قاتلا مغتصبا، ويحذر الشيخ الذين يخدعون انفسهم بالألفاظ المعسولة التى تصدر عن العدو متربص، واذا تركنا نغيش فى سلام فترة، فليس معنى هذا انه صافى القلب وخالى الذهن وانما معناه ان الوقت الذى حدده للانقضاء لم يحن بعد.

3- تنوع العناوين واختلاف طرق الإبادة:

من القضايا الهامة التى ابرزها الشيخ قضية ذكا الغربيين فى تعاملهم مع المسلمين، ويضاف لهذا الذكاء ربح الغدر والخداع التى يملكونها، ولذلك فهم يقسون دول العالم الإسلامى طولا وعرضا ولا تجد لذلك معارضة، ويستخدمون العناوين الخادعة، فتحت عنوان التعاون الاقتصادى يتم استخراج البترول ونقله الى بلادهم بواسطة شركاتهم تاركين لأصجاب البترول الفتات، والعناوين البراقة التى يعيشون عليها وينخدعون بها، والمحصلة النهائية لموضوع البترول فى بلاد العالم الإسلامى، ان هذه البلاد تعتبر - علميا - محطات تقوية تساعد على نروح ثروة المسلمين وكنوزهم التى اودعها الله سبحانه وتعالى ارضهم، ونقلها الى اعدائهم، بحجة التعاون الاقتصادى والتجارة العالمية الى آخر هذه العناوين، "الشعوب الإسلامية زمنا طويلا ومازالت تغتصب ثرواتها من الشعوب الاستعمارية"¹.

وفى بداية هذا القرن هجم الغربيون على كنوز مصر بحجة الثقافة والبحث العلمى عن الآثار وسرقوها، وهى موجودة فى معارضهم ومتاحفهم الى الآن،

¹ د/ مصطفى محمد رمضان: العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث ص8 مكتبة الجامعة 1983.

وهم الآن بحجة الثقافة والتبادل الثقافى يرسلون إلينا الأفلام والمسلسلات التى تحمل أفكارهم وحضراتهم وتوطن لهم فى المشاعر والنفوس، وكل ذلك مخصوم من ديننا واخلاقا، وهى سرقة من نوع جديد وبعنوان جديد.

د/ وختلقت ايضا طريف الإبادة المستعملة ضد المسلمين، فقد كانت قديما بالسلاح، ولكنهم اكتشفوا السلاح يشحذ همه الأمة، ويقوى اخلاقها ويعظم دينها، فلجأوا الى طرق جديدة منها:

تهريب المخدرات بكل انواعها، وتهريب افلام الجنس المكشوف، وتخريب برامج التعليم فى البلاد الإسلامية، وتسليط بعض حكام هذه البلاد على اهلها، وتوريد اغذية محملة بالهرمونات والكيماويات الضارة التى تسبب الأمراض القاتلة بعد فترة تطول او تقصر.. وهكذا

4- علاقة الدين الإسلامى بمقاومة الاستعمار:

من اهم القضايا التى اثارها الشيخ فى تصديه للاستعمار، قضية اهمية الدين فى مقاومة الاستعمار، وهو بذلك يقف على طرفى نفيض مع بعض حكام البلاد الإسلامية الذين تربوا فى الغرب، او الذين تم غسل عقولهم، لانهم لا يرون فى الدين قوة تحمى امن اوطانهم، ومع ذلك فان الحقائق تثبت ان حماية الدين حماية الجيوش، لان الجيوش تتناثر وتتلاشى ان تعرضت لقوة اكبر منها او لخطط احكم من خططها وهذا ما حدث فى مصر فى هزيمة عام 1967. لقد تلاشت الجيوش وبقي للمصريين إيمانهم يدفعهم للعمل والتخطيط وبذل الغالب النفيس حتى اذن الله تعالى بالنصر فى عام 11973 وكان الدين عنوان النصر وجوهره.

الشيخ يعتبر الدين أمنا قوميا للدول الإسلامية، واما اساسيا لحماية كيان الأمة الإسلامية التى يجب ان تقوم بدورها المحلى فى حماية المثل العليا س والاخلاق الكريمة، ودورها

العالمى فى حماية الحق والعدل والسلام. ولذلك فالشيخ - يرحمه الله تعالى - يضع نصب عينه المؤامرات التى يصنعها الاستعمار ضد الدين الإسلامى تارة بحجة التقدم، وتارة بحجة البحث العلمى، والجموع الغافلة

تصدق، وتشرب السم الزعاف على انه دواء، وقد منح الله تعالى الشيخ ذكاء نادرا، وخيره غظيمة، في فهم ألاعيب الاستعمار فكلما دس الاستعمار فكرة في البلاد الإسلامية ظاهرها يخفى ما تحته من حقد وكرهية، كشف الشيخ هذه الفكرة.

وكشف اسبابها، والاهم من ذلك كله انه كان يبين للناس، ما يؤدي إليه تطبيق هذه الفكرة على المدى القريب والبعيد - اى الفكرة في بعديها التكتيكي والاستراتيجي - ثم فضح اساليب الاستعمار في حربه للدين الإسلامى خاصة، ولكل الأديان بصفة عامة، ووضع ذلك تحت عنوان الصليبية تحارب الروحانية في العالم اجمع، لان الدين هو اقوى سلاح لدى الشعوب مهما كان هذا الدين الإسلامى لما فيه من قوة تأبى الخضوع ومن إيمان يأبى الرجوع.

يقول د/ماجد عرسان الكيلانى:(ان استمرار الأمة في الحياة مرهون باستمرار حملها للرسالة، وما يتفرع عنها عن تطبيقات في مجالات الحياة المختلفة، فإذا ضعفت عن حما هذه الرسالة، او توقفت فاعليتها، او تقلصت تطبيقاتها، انتهى وجود الأمة)¹

ويربط المؤلف بين التمسك بالإسلام وبقاء هذه الأمة ومن الغريب ان هذه الحقيقة تغيب احيانا عن بعض المسلمين، ولكنها لا تغيب أبدا عن ذهن اعداء الإسلام، لقد استمعت الى مقدم برامج تليفزيون المصرى يبشر الجماهير الصائمة في شهر رمضان ان مائة حلقة اخرى قد وصلت هدية من التليفزيون الأمريكية لمسلسل يزيد على مائتين من الحلقات.. هذا المسلسل يكلف عشرات الملايين فلماذا تأتي هدية؟ تحصل عليه البلاد الإسلامية وفي معظم بلاد العالم المختلف بدون مقابل، لأنه يحمل نوعا من الهمجية في الدين والأخلاق، ونوعا من الإباحية في العادات والتقاليد، يعلى من الغريزة على حساب الدين والعمل والإنتاج، ربما يقول قائل إن هذه المسلسلات تذاغ في بلاد إنتاجها فالضرر واحد، ونجيب بأن هذه الشعوب تقدر العمل وليس لديها وقت لمتابعة هذه المسلسلات، وهم على كل حال لا يتأثرون بها، لأن لكل شعب ظروفه الأخلاقية والتاريخية والجغرافية والمناخية، انها تؤخذ هناك على سبيل التسلية، ولكنها

¹ د/ماجد عرسان الكيلانى: اخراج الأمة الإسلامية وعوامل صحتها وضعفها ص ٢١ اخبار اليوم ١٩٩١م

تؤخذ هنا كقدوة في الفعل والسلوك وهي مقدمة لمزيد من التحلل والتلاشي هنا، ولمزيد من السيطرة والغلبة هناك، وهذا ما كان يخشاه الشيخ، ألف فيه أكثر من كتاب، وطاف عمرا يحذر المسلمين من عمليه نوعين العقيدة في قلوبهم لآت هذه العقيدة هي جوهر حياتهم وستتم أمرهم ووجودهم، يقول د/ البهي: (يفرض علينا الأجنبى موضوع التفكير) وجرنا الى مشاكل ليست من طبيعة بيئتنا، ويدفعنا في متاهات ننسى فيها ديننا وتاريخنا وكل عوامل مقوماتها، و نتركها عن قصد، وربما نتركها متحدنين إياها، مجاهدين في حمل الآخرين مما على الترغيب عنها، فرض علينا (العلمانية) في تعليمنا وفرضها في تشريعنا، وفرضها علينا في تفكيرنا وسوكننا، وفرضها علينا في سياستنا وفرضها علينا في اقصادنا، ففصل بين الإسلام وحكم الدولة، وابتعد الإسلام عن مجالات الحياة العامة، وتركه داخل المسجد وفي قلوب الناس يمارسونه اعتقادا، ويملاً ينزلون به إلى التطبيق.. ويحاول منذ الحرب العالمية الثانية أن يفرض علينا (علمانية) من نوع اخر منطرف يحاول أن يفرض علينا إلغاء الدين عقيدة، بعد أن طمست متألمة عملاى اوضاع المسلمين، ويحاول أن يصل بنا الى ما يكسر ،، الإلحاد العلم، وهو مرحلة من مراحل العلمانية¹ والاستعمار حين يوهن عقيدة المسلمين في نفوسهم، لا يضمن بذلك انهيارا في الاقتصاد ونظم التعليم فحسب، بل يحصل على نتائج ملموسة

في قتل العزة في نفوس المسلمين لأن الإيمان الكامل بالله تعالى يضمن للفرد العزة الكاملة (أن عبادة الإنسان لله تعالى تضمن له الحرية التي ينشدها، فهي تحرره من عبودية هواه، وتحرر أن إيمانه بالله الخالق الرازق يحرره تماما من أى لون من ألوان العبودية، لا يخشى إلا الله تعالى ع رزقة، ولا يخاف من أحد على حياته، فينطلق حرا ما دام عبد الله تعالى)². فالدين له عناصر تحكى المجتمع الإسلامي من السقوط، وتأخذ بيده من عثراته، ولذلك يحاول الاستعمار محاربة الدين بطرق مختلفه وتحت عناوين متغيرة ولا فتات براقه، حتى يتم خداع الجماهير المسلمة بهذه العناوين وتلك اللافتات، لأن موضوع الدين حساس لدى الشعوب ولا يمكن اختراقه الا بالحياة الذكية والفرصة السلنحة.

¹ د/ محمد البهي: الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ص ٦ مكتبة وهبة ١٩٧٨.

² يوسف كمال: الإسلام و المذاهب الاقتصادية المعاصرة ص ٦ دار الوفاء ١٩٨٦.

٥- الاستعمار يزرع الطائفية فى بلاد الإسلام:

من الأعمال الخطيرة التى يقوم بها الاستعمار فى بلاد الإسلام ليفسد أمنها وامنيها، موضوع خلق الصراعات الطائفية والعرقية فى مجتمعات المسلمين، فتراه يوقد النار ويضع عليها الزيت فى كل بلد مسلم بحجة أن طائفية تغلبت على طائفية اخرى

اقل منها عددا أو عدة، يحاول ذلك فى مصر، وان كان الشعب المصرى بوحدته وتلاحمه قد خيب امله واحبط عمله، ولكن الاستعمار لا يأس، وربما عادة الكرة فيلزم الحذر، والشيخ يحذر من هذا الأمر لمعرفة الخطر الذى ينتج عن صراع ابناء الوطن الواحد، وفى لبنان أيضا يوقد الاستعمار نار الصراع بين أبناء الوطن الواحد، وفى أفغانستان يوقد صراع عربى، وهذا الصراع أدى إلى استمرار الحرب وانهيار الاقتصاد وفساد النظام الأمن داخل الدولة لان الاستعمار يخشى من استقرار افغانستان تحت حكم اسلامى واحد، وهكذا.. وهذه امثله ليست على سبيل الحصر، ولكن من يقرأ كتب الشيخ يراه قد حصرها ونبه عليها فى كل بلد ذكرا الأسباب والنتائج

٦- تحذير من اليهود:

يحذر الشيخ من اليهود، ولا يصدر تحذيره هذا عن هوى، بل يصدر عن عقيدة وتاريخ ودارسة صراع بالنسبة للعقيدة يقول الله تعالى "لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا.." ¹ ومن ناحية التاريخ فقد شارك اليهود فى الصراع ضد الإسلام من بدايته حتى الان ومن ناحيه دراسة الصراع فقد جاء الدور الان على اليهود، فقد قام الصليبيون بسرقة حاضر المسلمين وازاجوهم خارج التاريخ من فترة ليست بالبعيدة ودور اليهود الان هو سرقة مستقبل هذه الامه وما المعاهدات والمصالح التى تجرى اليوم الا مقدمة لذلك، ولن تتم الهزيمة اليهودية على بلاد الإسلام بالحديد والنار كالامس القريب - وان كان هذا موجودا وجاهزا وانما يمكن تخيل الصراع نتائج بين العين النائمة والعين الخائنة كما يقول الشيخ بين من يملك العلم والمعرفة فى كافة المجالات ومن يتسول ذلك بين من يعتبر العمل العمرانى عقيدة لإقامة مملكة الرب، ومن يعتبر العمل العمرانى لهوا ولعبا، بين أمة تعشق العمل ولما تحب العمل وتقيم مجدها على الصراع اللفظى والخيالى الشعرى، أن نتائج هذا الصراع محسوبة لصالح العدو، ولكل تمنع الكارثة لابد أن نعود الى حزم

¹ سورة المائدة: ٨٢

وعزم رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، حين ملكوا الدنيا بالعمل فى اقل من مائة عام، وكان الشيخ - يرحمه الله تعالى - يحاول لفت نظر المسلمين الى الخطر الكامن فوق ارضهم الجاسم على صدورهم خطر اليهود، وهو لا ينظر الى الحاضر فقد بل ينظر الى المستقبل القريب البعيد، فإذا اتقى المسلمون هذا الخطر كان ذلك ايدانا بميلاد أمة جديدة تحيا مجد الإسلام من جديد وما أخرج العالم الى هذه الأمة لو استقيظت.

٧- لا للخضوع:

كأى رجل مؤمن لا يستلم الشيخ، رغم فهمه العميق لخطورة الصراع بين الصليبية والإسلام، ويضع عنوانا فى مؤلفاته يقول فيه: "لا للخضوع" وهو لا يضع هذه العبارة على لغة الطلب فتكون الخطة إنشائية. بل يقصد لا للخضوع فناء وليس معناه استسلاما كما يظن البعض بل هو فناء لهذه الأمة التى تعبد الواحد القادر القاهر وتقوم عقيدتها على رفض الخضوع لغير الله تعالى، فإذا جاء الوقت الذى تخضع فيه يكون قد جاء وقت فنائها، وهذا الفناء لا يتم مرة واحدة، بل ينشب فى كيانها شيئا فشيئا حتى تكون النهاية وكأننا يجب أن نهتف جميعها مع الشيخ "لا للخضوع" ولا نقف عند الهتاف، بل يجب أن نعمل لتحقيق هذا الشعار الكريم ونستلهم قول الله تعالى ' ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون وان كنتم مؤمنين'¹ وسنكون الأعلىين بإذن الله تعالى فقط أن تحقق الشرط الذى وضعه الله تعالى فى نهاية هذه الآية:

- ان كنتم مؤمنين - يجب الإيمان فى ذواتنا إيمانا يبنى العقيدة والحضارة التى تحمى هذه العقيدة فى آن واحد

¹ ال عمران: ١٣٩

الفصل الثانى التبشير والاستشراق

يرى الشيخ ان التبشير والاستشراق من نتائج استعمار البلاد الإسلامية، ومقدمة ضرورية لإحكام السيطرة النهائية على تلك البلاد لأنه يرى أن الصراع مع اعداء الإسلام ممتد وان الحرب لم تضع اوزاها بعد معها، ورغم اختلاف الوسائل وتنوع الاساليب.

يقول الشيخ: الغزو الثقافى الذى يحتاج الأمة الإسلامية صنو العز العسكرى الذى جاس خلال الديار من بضعة قرون وأثر لابد الهزائم التى اصابتنا، والحقت بنا خسائر مادية ومعنوية فادحة، والاعداء اذا شنوا غارة على بلد ما، فهم ينزلون به سائحين عابرين ولا زائرين متفرجين، وانما ينزلون بن مستبشرين ببيضته، وكاسرين شوكته فان كانوا كباب مغانم استنفزفوا خيرته، ولم يدعوا لأهله إلا الهة إلا الفتات، وان كانت لهم اغراض دينية، أو اجتماعية، وضعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة، وتغير ملامحها، وكما ينقل النهر من مجرى الى مجرى آخر، تنقل الأمة رويدا رويدا من مجراها الفعلى الأول، الى مجرى آخر يرسمه خصومها ويدفعونها إليه دفعا.

فلما وافته الفرص ووضع دة - الاستعمار - على اقطارهم شرع يضرب الإسلام بقوة ومكر، ومضى دون هوادة يجهز على فلوله الثقافية الخائرة بعد ما دخر جيوشه العسكرية فى مواطن كثيرة.

وانطلقت طلائع الغزو الثقافى تطارد الدين المغلوب على أمره فى ميادين التربية والتعليم والتشريع، وتطوى تقاليد الاجتماعى والأدبية والاقتصادية والسياسية، وافلحت او مخلفات ينبغى أن تستخفى ليحل محلها البناء الجديد الذى وضع الغرب حقيقته وصورته.¹

¹ الشيخ محمد الغزالى: الغزو الثقافى يمتد فى فراعنا ص ٤٥ ط دار الشرق ١٩٨٥.

وعن وسائل الخصوم فى الهجوم على الإسلام يقول الشيخ تغيرت وسائل الإعلام، وصناعة المشاعر والأفكار، وأضحت الكلمة والصورة والخبر، والتعليق والكتاب والصحيفة والراديو والتلفاز، بل الأفغانى والفكاهات اصحى كل ذلك موجهها ببراعة الى غايات مرسومة، ووفق خطط موضوعة.. وقد نجح خصومنا فى شن غاراتهم على الأمة الإسلام واستعانوا لآخر ا بلغة العقل الإنسانى من ابداع كى يفتتونا عن ديننا ويسرقوا ارضنا.. ترى ماذا اعدنا للدفاع عن مقدساتنا؟ والذود عن موارثنا، وعن ديننا واخرتنا؟ لا شأن لى بالحروب الساخنة

فلست من رجالها، وانما اهتم بالإعلام دفاعا وهجوما، وبالاقتصاد توجيهها وهيمنه، فان الاستعمار العالمى ملح فى اغتيال ديننا، والاجهاز عليه روحا وبدنا، واستغل الضوابط وازمات الجفاف وسنة القحط والمستغبة، لساوم المستضعفين على بيع ضمانهم وترك عقائدهم.. أن الدعايات المضادة تستخدم الجهد الجماعى لا الفردى، والخدمات المسداة للفقراء والمساكين، ومن ورائها سياسات بصيرة، والدول الاستعمارية لا تظهر وسعا فى ذبح الإسلام بغير بالحياة.. الغزو الثقافى صنع الألوف من الغافلين، وربما كان عن تواطؤ متعمد، والغزو الثقافى صنع الألوف ممن يخدمون المنصرين على حساب الإسلام والمسلمين.¹

وعن الاستعمار الصليبي التبشيري يقول الشيخ: الاستعمار الصليبي بشقية - الثقافى والسياسى - أمسى راجع الكفة، بعيد النفوذ، فان لم تكن له جيوش تحتل الارض، فله جيوش تحتل الفكر والفؤاد والسلوك.. أن موارثهما الدينيه المستحدثة أن ارض الميعاد توشك أن تتحقق، ونبوءات العهد القديم انى طال عليها الندى قد جاء اوانها.. والمقاولات أن مستقبل الإسلام كله

فى مهب الرياح مع هذا البلاء الوافد، وجهد الاستعمار الثقافى والسياسى أن يمهّد الارض الإسلامية كلها لقبول هذا الواقع.²

وعن المساعدات التى تقدم للمسلمين لتتصيرهم، وايعادهم عن دينهم يقول الشيخ: فى بقاع كثيرة من دار الإسلام وجد البائسون، ووجد الأغنياء المستعان وقد استغل التنصير هذا التفاوت لمصلحته، لا سيما بعد أن تلقى التعليمات مشددة أن يبتعد عن الجدل الدينى، وان يكتفى مثلا بتقديم العون الصحى

¹ الشيخ محمد الغزالي: مستقبل الإسلام خارج أرضه ص ٩١،٩٠ ط دار الشروق ١٩٩٧.

² الشيخ محمد الغزالي: جهاد الدعوة بين عجز الادخال وكيد الخارج ص ١٥٥ وما بعدها ط دار الصحوه للنشر ١٩٨٧م.

والاجتماعى للمحتاجين، مؤكدا لطالبية من عون مجرد من(يسوع)الذى يجير المستجيرين، ويعطف على المساكين، وقد قامت مؤسسات ضخمة نسدى العون لطالبية على هذا الأساس، وترقب فى امل رد الجميل.. كما أن عددا من ابناء المترفين فى الداخل والخارج عاش العريضة والتسول الجنسى، وكان ظهيرا ضد بلاده ودينه للغداه المتربصين والأقليات الإسلامية فى العالم تتاكل تاكل اليابسة امام اللجج العاتية ونكاد تعجب عن المقاومة وهى لا تجد عوننا من لحد و كأن القدر حكم على اغنيائنا لإنفاق المليارات فى البلاء عقوبة لهم على الضن بها فى سبيل الله، وجاية إخوانهم المنكوبين.. اننى ارقب قادة التنصير وهم يدرسون - على مهل - خططهم فى تدويخ أمتنا وزحزحتها

عقائدهم، بيد انى اكاد انفجر حين رأى حصوننا مهددة من الداخل.¹
وعن خطط الاستعمار فى البلاد الإسلامية يقول الشيخ: عندما سقطت الدولة الإسلامية(الخلافة)فى القرن الماضى بعدما قامت بها الادواء الخلقية والاجتماعية، وتفشت فيها العلل النفسية والسياسية اهتبل الغرب الفرصة السانحة، واستطاع خلال مدة وجيزة أن يضع يده على اغلب الأقطار الإسلامية، وان يوقع الشعوب المذعورة فى الحبال التى نصبها، فأضحت له فريسة سهلة.. لجأ الاستعمار الصليبي الى ثلاث طرق لمحاضرة الإسلام ومحاولة الاجهاز عليه..

١- منع الحكومات الإسلامية من الاعتماد على التشريع الإسلامى وللإستعمار حيل دقيقة وسلطات مرهوبة تجعل ايماءاته فى هذا الشأن اوامر منفذة بل اوامر يصدع بها العبيد، وكأنها تفكيرهم الخاص، ووجهة نظرهم التى اقتنعوا بها.
٢- التبشير بالنصرانية نفسها عن طريق المستشفى والمدرسة والملجأ واساليب النشر المختلفة.

٢- ومن اخطر الوسائل للنيل من الإسلام، وتذويب حقائقه حكومات موالية للإستعمار عاطفة على إمانية ومراميه. وهذه الحكومات تكون مسيحية لحما ودما، بينما تتكون جمهرة الأمة المحكومة من مسلمين تائهيين. وقد تكون الحكومة خليطا من وزراء وآخرين غير مسلمين ولكن الصبغة الإسلامية باهتة او معدومة.. وقد تكون الحكومة اسلامية الاسماء بيد أن العهد المأخوذ عليها يوم استقلت عن التبعية الأجنبية المكشوفة، أن توالى الصهيونية وان تناصر دول الغرب الصليبي وان تعيش هادئة داخل هذا القفص الخبيث²

¹ الشيخ محمد الغزالي: صيحة تحذير من دعاء التنصير ص ١١٥، ١١٦ ط دار الصحوة ١٩٩١.
² الشيخ محمد الغزالي: معركة الصحف فى العالم الإسلامى ص ٣٩، ٤٠ دار الكتب الحديث ١٩٧١.

وعن فلسفة وجود اسرائيل يقول الشيخ: يزحف اليهود على فلسطين ونيتهم المعلنة إعادة هيكلة سليمان على أنقاض المسجد الاقصى، وتشريد وإذلال العرب، وانتهاز الهزيمة الإسلامية للقضاء على تراث محمد ﷺ كله.¹ وكما ينتهز اليهود الهزيمة الإسلامية للقضاء على تراث محمد صلى الله عليه وسلم ينتهز الصليبيون أيضا الهزيمة الإسلامية للقضاء ع الإسلام في قلوب أصحابه. يقول الشيخ: طالما شكوت من أن الهجوم على الإسلام منظم والدفاع عنه مرتجل.. فتمزيت الإسلام في هذا العصر تدرس له خطط، واقعد له مؤتمرات ويعرض بدقة حساب الأرباح والخسائر، ولا حرج من الاستعاضة بمشروع عن مشروع ويرحل عن رجل..

يقول احد دعاة النصرانية: لقد دربت الدعوة إلى النصرانية في أرجاء كثيرة من ديار الإسلام، وان تجارية تخولني أن أعلن بينكم على رءوس الاشهاد أن الطريقة التي سرنا عليها الى الان لا توصل الى الغاية المنشودة، قد صرفنا من الوقت شيئا كثيرا، واتفقنا من الذهب قناطير مقنطرة، والفنا كتبت ورسائل وخطبنا ما شاء الله أن تخطب ومع ذلك فنحن لم ننقل من الإسلام الى النصرانية الا عاشقا بنى دينه الجديد على أساس الهوى او مصابا سافلا لم يكن ظاهلا في دينه من قبل حتى نعهده قد خرج منه، ولا محل لديننا في قلبه حتى نقول: أنه دخل فيه، ومع ذلك فالذين تتصروا لو يبيعوا بالمزاد لايساوى ثمن احذيتهم... وقرر كبير المنصرين أن الخطو المثلى هي إفساد المسلمين على دينهم وتونين الروابط التي تصلهم له، وخلق اجيال فارغة من عقائد الإسلام، وتعاليمه، وتشجيع حملة الاقلام، الذين ينشرون الادب الغث والمقالات الهابطة، والذين يكتبون في كل شئ، الا لا الإسلام وقضاياها ومطالبة، وتبنى رجالا يزورون التاريخ ويجعلون أمتهم دون ماضى تستند إليه، او تراث تعتمد عليه، وتشجيع المسلمين المخرفين الذين تكمن في دمائهم جرائم البدع والمفيدة والانقسامات الهدامة وتشجيع "المفكرين" الذين يلمزون الإسلام ويغمزون أصوله وفروعه.. ودفع العلمانيين الى صدارة المجتمع، ووضع مقاليد الأمور في أيديهم وتدويخ المسلمين المخلصين وإقامة السدود في وجوههم..

¹ الشيخ محمد الغزالي: الحق المر ص ١٤١.

والظاهر أن الأسلوب الجديد هو الذى تقرر اتباعه وان لم يهجر الأسلوب الاول هجرت تاما، ولعل اخطر شئ فى الحملة على الإسلام رفض الانتماء له محليا وعالميا.¹

وعن مطاردة العلماء الذين يتصدون للفكر الصليبي يقول الشيخ: ان الجهود مبذولة لمطاردة الدعاة المخلصين من العلماء الأصلاء والفقهاء الحكماء، والقضاء عليه، وترك المجال اليوم والعربات من الأميين والجهلة والمسطحات يتصدون للدعوة ويتحدثون باسم الإسلام ووراء ذلك مخطط استعماري مدروس بدهاء، تنفيذية الحكومات المدنية بدقة، حتى لا يبقى للإسلام لسان صدق، وحتى تبقى العقول المحتلة هي التي تحتكر الحديث عن الدين المظلوم.²

وعن خطوات الصليبية فى القضاء على الإسلام فى مرحلة ثانية بعد المرور بمرحلة المودة بين المسلمين وغيرهم من البلاد المسيحية يقول الشيخ: أن للصليبية الحديثة مارب واضحة انها تحاول أن تجعل من انكسار المسلمين عسكريا ارتدادا عاما عن الإسلام.. ولما كان تنصيب هذا الجيل من المسلمين مستحيلا،

فهي تعمل ابتداء على خلخلة بثينة وتشكيكه فى فكرة التدين على العموم، والمرحلة الثانية تقوم على حركة تقرب ومودة بين جيل منسلخ عن عقائد الحلقة، وبين ابناء الدول المسيحية الغالبة.. أما المرحلة الأخيرة فالمفروض فيها أن تمحى معالم الإسلام من اقطاره العديدة، وان ينصرما يمكن تنصيره ويستأصل ما يستعصى على الردة.. وبهذا الأسلوب تنجح الصليبية الحديثة حيث عجزت جزئومتها فى القرون الوسطى.³

وعن مصير العرب والمسلمين يقول الشيخ: الموت الذى انزله الاستعمار الصليبي بسكان امريكا واستراليا الاصلاء، والذى يجب أن ينزل بالعرب كذلك، فباينجو منهم احد وان زعم أنه أصبح مسيحيا من يدري لعله مسلم فى قرارة قلبه؟ ما حمله على اظهار تنصيرن الا النجاة من الفناء. لقد قال ناقد فرنسي يشرح مسلك قوم - فى التعالى على المسلمين: "والاحساس بالتفوق المتأصل فى نفوس المستوطنين الفرنسيين ربا - زاد - حتى حد" مركب

¹ المصدر السابق ص ١٠٧، ١٠٨

² الشيخ محمد الغزالي: هموم داهية ص ١٦٠، ١٦١ ط دار الحرمين للنشر ١٩٨٣.

³ الشيخ محمد الغزالي: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ٢٥.

الاستعلاء“ ويصفهم آخر بقوله “انهم يشبهون القاهر الذى يخشى بأسعار، القادر الذى ترجى حمايته، او العدو الذى لابد من صداقته.¹ وعن أهمية التبشير الدول الاستعمارية يقول الشيخ:

يكاد المراقبون والنقاد يطعمون على أن الاوربيين والأمريكيين ليسوا مولعين بالتدين، ولا مبالين الى التقوى، وان صلتهم بالله تعالى لا تتجاوز الشكل دون الموضوع، ولن اختفائهم بالمناسبات الدينية يقوم على تحويل ايام الأجساد، ومختلف الاعياد الى فرص للاستحمام وشباط للهو والمرح بريئا كان او غير برئ.. والأوربيون والأمريكيون - اجمالا - يجنون تمرات تقوم عملى رائع.. رقة معاشهم ونعم حضارتهم، وربما استطاع هذا التقدم أن يلطف مسالكهم، ويهذب غرائزهم، إلا أن بيئات كبيرة فى القارتين لم يرفع العلم الانسانى مستواها الا فى الكلمات والملابس اما ما وراء ذلك فهناك القتل والخطف والاغتصاب، والفوضى الجنسية والكبرياء العنصرية وعبادة الحياة الدنيا، والتجهم او الإنكار لما ورائها.. ومن هذا السلوك الهابط، فان الاوربيين والأمريكيين يتهمون بالتبشير ويريدون لرجالهم وأغراضه اموالا طائلة، وبتابعون نشاطه ونتيجة بيقظة.. ومع أن الحكومات فى كلتا القارتين لا تبالي أن يؤمن أنباؤها او يلحدوا، الا انها تولى الدين فى أفريقيا وآسيا قدرا ملحوظا من رعايتها.. وتنزيل الى تذليل الصعاب وتحطيم الخصوم ولننظر الى فلسطين فى ظل الانتداب البريطاني، لنرى اثار هذا الإتجاه فى تحقيق الاغراض الاستعمارية بين سكان هذا القطر....

كان بفلسطين معهد لتخريج الدعاة المسلمين يسمى “الكلية الصلاحية” نسبة لصالح الدين الايوبى - امر الانتداب البريطاني بالأجهاز عليه عشية باشر الحكم فى البلد.

والتبشير يتطلب أمرين متكاملين: أولهما: العنوان الذى يستر خبيثته ويجعل له - فى الظاهر - وظيفة اخرى ثقافية اجماعية او طبية - يمضى تحت شعارها الى هدفه.

والثانى: وهو فى نظرنا شديد الخطورة: تكون الظروف التى تشغل الشعوب بحوار مفتعل، او قضايا وهمية، او مسالك محيرة تبدد فيها الطاقة وتنشعب الاراء والأهواء.

ان هذن الظروف المصنوعة تشبه سحب الدخان التى تتحرك خلفها الجيوش الزاحفة، فلا يوضع أمامها عائق، ولا يوقفها استعداد او خذر. وما اشك فى ان

¹ الشيخ محمد الغزالي: كفاح دين ص ٢٣.

التبشير العالمى جند أفلاما - كتابا - كثرة فى الامة العربية الإسلامية، لفعل
الآتى:-

* تشن حربا من الصمت مثلا على كتب جيدة نافعة لتقدم اخرى ضارة نافعة.
انهم قوم يعتمدون على التخطيط لكل عمل يقومون به خاصة التخطيط البعيد،
انهم يقومون لبناء مدرسة فى اى بلد اسلامى، مدرسة للتعليم الاساسى لانهم
يشترطون تطبيق نظمهم او بعضها فى التعلم فى المدارس التى يبنونها وفى هذه
المدرسه يبقى الولد من البنت الى نهاية التعليم الاساسى، وتذهب المدرسات
بملايسهن الغربية الى اماكن نائية للتدريس فى المدارس، فوجود الولد مع البنت
الى بدايه فترة المراهقة، ووجود المدرسات مع المدرسين فى نفس المدرسة هذا
الوضع من الممكن أن يمضى بسلام عاما او عاميين او عشرة، ولكنه ولكنه على
المدى البعيد يكون قد انتقل بنظام التعليم والحياة الإسلامية إلى نظام اخر وحياة
اخرى، وهذا مايرجوه الصليبيون من وراء الغزو الثقافى للبلاد الإسلامية،
وهكذا فى المستشفيات والنوادر والمؤسسات التى يقومون بإقامتها فى البلاد
الإسلامية.

٤- خطة تمويت الإسلام:

اهتم الشيخ بهذه الفكرة، لأنها تعد بحق محور حركة الاستعمار الصليبي فى
البلاد الإسلامية وقد ردها الشيخ لأهميتها - فى كل ما كتب فى الموضوع وقد
سبقه إليها الاستاذ / محب الدين الخطيب فى كتابه (الغارة على العالم الإسلامى)¹
ونقل هذه الفكرة منظم أصحابها، فقد صرح بها القديس "زويمر" حين قال: انما
بذلنا جهودا كبيرة لتنصير المسلمين ولكننا لم موفق فى هذا المضمار، فعلىنا أن
نحاول اخراج المسلمين من دينهم فقط، لما نضعف مقاومتهم لنسائنا
ولحضارتنا وأفكارنا.

لذا اهتم الشيخ بهذه القضية واولادها عناية خاصة وجعلنا من اهم النقاط التى
يجب أن يلفت إليها عند الدراسة أو إلى بلد اسلامى فرقة مسرحية او فرقة
راقصة وقضت الليالى الطوال ترقص والناس يسهرون ويمرحون، والبعض
يرى أن هذا العمل ترويحى لا شئ فيضه ولكن من يملك النظرة العالمية الامور
التى ميزت الشيخ عن غيره من الدعاة، يرى أن كل عمل يساعد على حب
الفاحشة إيماته للفضيلة فى المجتمع المسلم هو تمويت للإسلام فى النفوس
المسلمين، وليس هذا فحسب بل يعد ذلك مقدمة وتميها لضياح المسلمين شكلا
وموضوعا فى نهاية الأمر.

¹ محب الدين الخطيب: الغارة على العالم الإسلامى ص ١٩ ط المطبعة السلفية ١٣٩٨ م.

يقول جب: الواقع أن الإسلام كعقيدة لم يفقد الا قليلا من قوته وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مهيمنة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانه، فهناك مؤثرات أخرى تعمل الى جانبه، وهى فى كثير من الأحيان تتعارض مع تقاليده وتعاليمه تعارضا صريحا، ولكنها تشق طريقها - بالرغم من ذلك - الى المجتمع الإسلامى بقوة وعزم..

فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، واخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا، حتى انحصرت فى طقوس محددة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا من غير وهى وانتباه. فإماتة الإسلام فى نفوس المسلمين بالبعد عن تعاليمه، ودفع المجتمع فى حركته بعيدا عن الروح الإسلامية، يعتبر هدفا صليبيا وان ظنه البعض تقدما وتطورا، وقد احسن الشيخ بتركيزه على هذا الهدف وتعريضه وكشف ما يعد له من قبل الاستعمار.

٥- المودة وبعدها النهاية: يثير الشيخ هنا نقطة هامة، بل لعلها الاهم فى هذا البحث فهو يرى أنه فى الوقت الحاضر ستتم مصالحه بين الاستعمار الصليبي والمسلمين وستختفى مظاهر الخلاف القديمة، وسيعمل الاستعمار الصليبي على كسب تعاطف الاجيال الحاضرة من المسلمين ثم بعد ذلك يجهز عليهم نهائيا، كما يفعل الجزار مع الحيوان قبل ذبحه فهو يقدم له ما يحب من الف ثم يسقيه ماء، وفى هذه الحالة يشعر الحيوان بحب تجاه ذابحه، بينما الجزار يبادل شعورا مختلفا فهو لا يحبه ولكن يحب ذبحه فالشعور هو شعور الحب ولكن مختلف لدى الفريقين واذا صحت نظرية الشيخ هذه فإننا نتوقع نهاية الصراع العربى الإسرائيلى وتترك جنوب لبنان، وتترك هضبة الجولان لسوريا، وسوف تقوم علاقة ود ومحبة بين العرب واليهود كالأتى أشرنا إليها بين الحيوان والجزار محبة ولكنها مختلفة البواعث والغايات. وربما فى زحم هذا الحب وتلك المودة ينسى المسلمون قول الله تعالى(لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا..)¹

وعندما ينسى المسلمون ذلك يكونون قد اقتربوا كثيرا من النهاية، بل لعلهم دخلوا الى سرادقها بالفعل وأحيط بهم.

والذين يفسر نظرية الشيخ فى المودة والنهاية طول مدة الصراع بين المسلمين واعدائهم من يثرب فى القرن الأول الهجرة إلى الان، مروراً بدماء وضحايا من كلا الطرفين فتصبح المودة القادمة حلقة من حلقات الصراع، وأسلوباً من أساليب الاحتواء، ووسيلة من وسائل القتل الشديد والشيخ ينظر لهذا المستقبل الكتب يقول: ولما كان تنصير هذا الجيل من يقينه وتشكيكه فى فكرة التدين على

¹ سورة المائدة ٨٢.

العموم.. والمرحلة الثانية تقوم على حركة تقرب ومودة بين جيل منسلخ عن عقائده الحقّة وبين ابناء الدول المسيحية الغالبة.. أما المرحلة الأخيرة فالمفروض فيها أن تمحى معالم الإسلام من اقطار العقيدة، وان ينصر ما يمكن تنصره، ويستأصل ما يستعصى على الردة¹ والشيخ يكتب هذا ومتابعه بهدف إيقاظ أمتنا وجداننا، فلا شك أن فى الأمة الإسلامية مخلصين وحكاما مخلصين لا يرضون لامتهم الدونية، ولكن ربما اخذهم العمل الصالح الأمة فى ميادين اخرى غير الدعوة، وجعلهم يأمنون جانب عندهم ولا يلتفتون الى فلسفة الصراع وعمقه مع العدو الصليبي، والى قوانين الله تعالى فى الكون.²

٦- المشروعات التبشيرية واستقطاب الشخصيات العامة

(أ) يقصد بالمشروعات التبشيرية كل المؤسسات التى يقيمها الغرب الصليبي فى ديار الإسلام سواء كانت مؤسسات مباشرة مثل المستشفيات والمدارس، او غير مباشرة مثل المؤسسات فى البلاد العربية الإسلامية لخدمة الاستشراق ظاهرياً، لكن هدفها فى الحقيقة خدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي فمثلاً فى مصر قاعدة من قواعد الإسلام الثابتة

أنشأ المعهد الشرقى بدير الدومينكان بشارع مصنع الطرابيش بالقاهرة والمعهد الفرنسى بالمنيرة بالقاهرة، وندوة الكتاب بشارع طلعت حرب بالقاهرة، ودار السلام بكنيسة دار السلام بمصر القديمة بالقاهرة وهذه المؤسسات لها مسحة بروتستانتية.. وفى لبنان جامعة القديس يوسف وهى جامعة بابوية كاثوليكية، وتعرف الان بالجامعة اليسوعية، والجامعة الأمريكية ببيروت، وكان من قبل تسمى الكلية السورية الانجليزية أنشئت منذ ١٨٦٥ م. ثم دأب القائمون على الاستشراق الى عقد المؤتمرات العامة لتنظيم نشاطهم منذ ١٨٧٣ م ونشر المقالات فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية او الشهرية او السنوية، وتأليف الكتب التى تطفح حقداً وسماً على الإسلام ونبيه، وتوهين القيم الإسلامية وتفتيت وحدة الشعوب الإسلامية.

انهم وان كانوا قد غلفوا الاستشراق بطابع البحث العلمى الاكاديمى إلا أنه فى الحقيقة يحمل فى جنباته سموماً ضد حقائق الإسلام الثابتة³ وبقيت هذه المؤسسات تعمل تحت سمع وبصر الجميع وتحقق نتائج ملموسة - فى حساباتهم

¹ الشيخ محمد الغزالي: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلامية ص ٢٥.

² منذ اكثر من اربعة عام وفى حين وجهها الى ولده كتب الفرعون (نسب كاورع الملك المصرى القديم): "من رغب فى السلم استعد للحرب" من كتاب صليبية للابد: تأليف عبد الفتاح عبد المقصود ص ٢٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م.

³ المستشار: محمد عزت اسماعيل الطهطاوي: التبشير والاستشراق ص ٤٣، ٤٤ م ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٧ م.

__ ولولا ذلك ما ابقوا عليها، وحين ينتظر بعض المسلمين الى هذه المؤسسات ينتظر إليها نظرة على، فلا

يستطيع أن يلمس أثرها أو يدرك خطرها، وذلك لحسن الحيلة ودقة الحركة وحساب الخطوات. أن الخطة العدائية التي أنتجتها الشبان المسلون المتعلمون، اضطرت المبشرين في القطر المصرى الى محاوله إعادة ثقة الشبان المسلمين بهم، فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات فى موضوعات اجتماعية وخلفية وتاريخية لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين، رغبة فى جلب قلوب المسلمين إليهم وانشاؤاً بعد ذلك فى القاهرة مجلة أسبوعية اسمها ،، الشرق والغرب من ،، افتتحوا فيها بابا غير دينى يبحثون فيه بالشئون الاجتماعية والتاريخية، واسسوا ايضا مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة، والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحادثتهم فى أثناء البيع¹

والتبشير يقوم على أسس علمية ويرضى المبشرون بالقليل اذا ضرب فى الزمن يصبح كثيراً، “أن من المتعذر تعيين نتائج هذه الأعمال الخيرية إلا أن مما يدعو الى الاغتراب والسرور اننا اقتطعنا ثمرات اعمالنا فى كل منطقة من مناطق التبشير، فالأوهام تبددت وحل محلها التسامح، والاهتمام الحقيقى بالتعاليم النصرانية”²

وهكذا يحقق التبشير اهداف بالصبر والعلم
ب- استقطاب الشخصيات العامة:

ومن النقاط التى أبرزها الشيخ عندما تصدى لجهود الاستعمار فى البلاد الإسلامية من هذه النقاط استقطاب الشخصيات العامة فى المجتمع المسلم وجعلنا ابواقا لدعايته. تردد ما يقول وتفعل ما يريد وخطورة دور الشخصيات العامة انها مسموعة الكلمة بين قومها مستغرب منها أن ترودهم موارد الهلاك، ومن ثم كان دورها مؤثرا وخطيرا للغاية، يجب أن يكون الاهتمام الاكبر منصرفا الى خلق رأى عام، والسبيل الى ذلك هو الاعتماد على الصحافة، ويقرر “جب” ام الصحافة هل اقول الادوات الاوروبية واعظمها فى العالم الإسلامى..” كما يقرر أن مديرى الصحف اليومية ينتمون فى معظمهم الى “التقدميين، ولذلك كان معظم هذه الصحف واقعا تحت تأثير الاراء والأساليب الغربية ويقول: انهم لا يلعبون دورا مهما فى التشكيل الرأى العام بالقياس إلى الأحداث المحلية فحسب، ولكن صحفهم تحتوى كذلك على مقالات مترجمة من الصحف الأوروبية، ثم انهم فى الوقت نفسه يطلعون الرأى العام على ما يجرى فى الغرب من احداث.”³

¹ محب الدين الخطيب: الغارة على العالم الإسلامى ص ٢١

² المصدر السابق ٣٦.

³ د. يوسف القرضاوي: الحلول المستورد ص ٣١، ٣٢

وقد تتوالى

وقد تتوالى هذه الشخصيات خاصة التى تربت فى الغرب، وحصلت على القدر من التعليم فيه قم تتولى الدفاع عن الحضارة الغربية ولا يخفى أن فى ذلك خطورة على وجدان المسلم العادى، لحالها من تأخر وخداع.

٧- التنبيه إلى نجاح المبشرين:

ينبه الشيخ الى نجاح المبشرين ويأتى بالمصادر التى تريد ذلك بالارقام وتحدد النتائج، وهو بذلك يصل الى نهاية متابعته الاستعمار بالمنهاج الشامل، الذى يتقصى الظاهرة من بدايته لنهايتها، وهذا يعكس التزام الشيخ بالمنهاج العلمى فى البحث الا ان منهاج الشيخ لم يأخذ شكله الاساسى لتفرق المعالجة فى كثير من كتبه وربما اراد بذلك كثرة التذكير لخطورة الأمر ولم يشأ أن يجعل ذلك ف كتاب واحد وربما لجأ إلى ذلك بسبب ظروف الدعوة واعبائها كما ذكر فى بعض كتبه، إلا أن المستقضى لأفكار الشيخ يراها ترسم منهاجا كاملا اذا اجتمعت جواهرها وانتظمت فى عقد واحد. فبالنسبة للإستعمار، فقد بدأ الشيخ بتذكيرنا ببدايات الصراع فى يثرب ثم انتهى شرحه لقضية الاستعمار بذكر الثمار، والنتائج، التى يراها بعض الذاهلين عن مصير أمتهم وكأنهما امر عادى عن طبيعة التطور، ومن تضاريف الحياة.

ان قضية الصراع بين الاستعمار الصليبي والعالم الإسلامى يجب أن تبقى شاخصة فى العقول وامام العيون، الإسلامى يجب تعالج جذورها ضعفنا وقوتهم وآثارها التى ترتب مستقبل اولادنا وامتنان وعقيدتنا، ودورنا فى الحياة، اننا اخرجنا للناس بالعدل ولا يجب أن نغض الطرف عن الظلم خاصه وانه يقع عليها دون غيرنا بسبب عقيدتنا، التى لا تعيش بدونها، ولا حياة انا بدونها.

الباب الثانى

قضية الاقتصاد فى العالم الإسلامى

الباب الثانى: قضية الاقتصاد فى العالم الإسلامى

الفصل الاول. اشكال الاقتصاد المختلفة

تناول الشيخ في بداية حياته اشكال الاقتصاد المختلفة ودعا في التخلي عن الاشكال التي غرسها الاستعمار في البلاد الإسلامية، سواء كان النظام الرأسمالي او النظام الشيوعي، الذي دخل الى بعض البلاد الإسلامية تحت مسمى الاشتراكية، وبين الشيخ مسالب كل نظام على حدة، ثم بين مزايا النظام الإسلامي في الاقتصاد.

ولإحساس الشيخ بأهمية الاقتصاد في الإسلام، وكتب أول كتاب في حياته عن الإسلام والأوضاع الاقتصادية في الإسلام، كتب أول كتاب في حياته عن الإسلام والأوضاع الاقتصادية، وهذا يؤكد منهاج الشيخ رحمة الله تعالى في الدعوة إلى الله تعالى فهو يهتم باصلاح الدنيا للمسلمين جنبا إلى جنب مع اصلاح الآخرة والقرآن الكريم يؤكد هذا المناهج في قول الله تعالى (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)¹ فالله تعالى يبين منهاج عبادة الصالحين واهتمامهم، وطلبهم منه سبحانه وتعالى أن يعطيهم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقد بدعوا بحسنة الدنيا لان حسنة الآخر تترتب

عليها قال تعالى: (ومن كان في هذه اعمى فهو في الخروج اعمى واصل سبيلا)².

ومن ثم كانت بداية قرآنية منهجية دعوية، لأن الداعية الذي لا يهتم بدنيا المسلمين وتفوقهم الحضارى لأداء رسالتهم، هو داعية يعيش في الخيال وينفصل عن الواقع، وقد احسن الشيخ إذ بدأ بالأوضاع الاقتصادية في بلاد المسلمين. يقول الشيخ: الفت هذه الرسالة، ورتبت فصولها المحدودة لغاية واحدة، هي إعطاء القارئ صورة صادقة عن الفكرة الذاتية للدين والروح العامة لمبادئه، والموقف الذي قد يقفه بإزاء الافكار الاقتصادية المختلفة.

أنكرت الشيوعية الدين، لأنها حسبته مخدرا للشعوب ومسكنا لآلام الطبقات المظلومة، وصارفا لهمم ابنائها عن المطالبة بحقوقهم المضیعة.. واحتقرت الرأسمالية الدين، إذ توسلته إلى إشباع المطامع الجشعة، وإقرار الفوارق الجائرة.. والدين مظلوم بين من كفروا به، ومن جحدوه، بين الشيوعية المتطرفة والرأسمالية المتعجرفة³ وعن الرأسمالية وكيف تفعل بالناس يقول الشيخ: للتurf تاريخ يضرب في أغوار

¹ البقرة: (٢١)

² سورة الإسراء: (٧٢)

³ الشيخ محمد الغزالي: الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ١٧ ط دار الصوحة ١٩٨٧ ط 71.

القوم، ولمظاهره المادية والأدبية آثار عرفها المتقدمون والمتأخرون من سكان هذه الأرض على اختلاف أقطارهم، وللؤس كذلك تاريخ تمتد جذوره فى ماضى الإنسانية البعيد، ولصوره المادية الكئيبة معالم عرفها الأسلاف والإخلاف جميعاً.. وفى ظهور الترف والؤس توجد الطبقات المترفة، والطبقات البائسة، ويولد نظام الطبقات ويحدث النظام الفردى والاجتماعى والسياسى.. وتنشأ معانى السيادة والرق، والقداسة والضعة.. ووقر فى النفوس أن تفاوت الناس فى الأرزاق سنه إلهية، وان انقسام الامم- تبعاً لذلك- الى طبقات تتفاضل بحسب ما تملك من متاع الحياة وخيراتها، امر طبيعى، قصد إلية الدين.. ونحن نقول: بأن الدين منذ فجر الخليقة- حارب فكرة انقسام الناس الى طبقات، على أساس ما يمتلكون من امثله مادية جليلة او قليلة.. على أن الملاحظ فى البيئات التى يظهر فيها الترف والؤس ويوجد فيها نظام الطبقات. ان يقوم التفاوت المالى مقام التفاوت العقلى و يستنكر بروز النابغين من الطبقات الفقيرة، او توضع العقبات الكثيرة لعرقلة نموهم واخماد نارهم.

وبديهى أن تكون الثروة او السلطة محمول لهذه الطبقة المتمردة فتجد من بعض الناس استجابة لا معنى لها، واستهانة بالآخرين لا إنصاف فيها، وتجد شعوراً عارماً بحقوق خاصة، وذهولاً عن أى واجب مطلوب، فى الوقت الذى يفرض فيه هؤلاء على الآخرين واجبات لا حصر لها دون مقابل معروف وقد عمل الإسلام على عدم هذه الكيفية، واعلاء القيم الإنسانية وحدها وعن الاوضاع المعنوية فى المجتمعات الإسلامية يقول: شتان بين ما هو كائن وما يجب أن يكون فى بلاد الإسلام البائسة المنكوبة بأفانين من الاستعمار الخارجى والداخلى.. إن الغنى والفقر وحدهما ميزان الطبقات هنا وهناك.. الغنى الذى لا يعرف من اين جاء، والفقر الذى لا يعرف كيف حل.. وفى مصر شعب تضطرب به سهول الوادي الفسيحة، يمدح وينصف ليرتاح على ثمار جهوده نفر من الأعيان والوجهاء.. شعب اقعده الشقاء واضره الحرمان، وقله أبطرها النعيم، وأغواها الطغيان ما هذه الفوضى الشاملة وكيف تستقر هذه الحماقة.¹

وعن تشجيع الاستعمار لهذا التفاوت الطبقي يقول الشيخ: وقد أدرك المستعمرون هذه الحقيقة، فمهدوا لبقائهم فى البلاد التى احتلوها بإنماء نظام الطبقات، وضمنوا للمترفين ما تصبوا آلية شهواتهم، من حياة رغدة، وتركوا كتل الشعب الكبرى يموج بعضها فى بعض، تطلب الضرورات الكبرى للجسم والنفس

والعقل، فلا تجد من ذلك الا جرعات، تسكن ثوراتها أن ينفجر. او تبقى للعبيد الرمح الذى يحيون به لخدمة السادة.. فحسب.¹

وعن اثر الاقتصاد السيئ فى خلق الرذائل فى المجتمع المسلم يقول الشيخ: أنه من العسير جدا أن تملأ قلب انسان بالهدي إذا كان معدته خالية، او ان تكون بلباس التقوى، إذا كان بدنه عاريا انه يجب أن يؤمن على ضروراته التى تقيم أوده كأنسان، ثم ينتظر منه بعدئذ، اه تستمسك فى نفسه مبادئ الايمان.. كثيرا ما وجدتني أعالج وعظ الناس فى بيئات صرعاها الفقر و المرض والجهل فكنت احار ماذا اقول لهم؟ هل اقبح لهم الدنيا.. أن الدنيا لن تكون اقبح مما هي عليه فى أعين هؤلاء التعساء..

وحاجاتهم الى من يعرفهم اركان الحياة، امس من حاجاتهم الى من يعرفهم اركان الإسلام. ان الشعور بالهوان والحرمان قد شل تفكيرهم، فإني يعرفون ربهم؟ او يشعرون لما قدموا بهم.. انهم أعجز من أن يقدموا الحساب عن يومهم فهيئات أن يأخذوا الالهة الحقّة الدار الآخرة؟ انا لا أنكر أن وراء حناياهم الضامرة، قلوبا فيها ايمان ما، لكن قيمة هذا كله تافهة، لاتجدى على أصحابها كثيرا. فى الدنيا او الآخرة.. والدين الحق لا يؤدى رسالته فى هذا الجو الخائق، ولا تثمر عثائه فى هذه البيئات العقيمة.. فلا يد من التمهيد الاقتصادى الواسع، والاصلاح العمرانى الشامل، اذا كنا مخلصين حقا. فى محاربة الرذائل والمعاصي، والجرائم باسم الدين، او راغبين حقا فى هداية الناس لرب العالمين.. اما ان نترك الظروف التى تلد الجريمة حتما، تنمو وتتكاثر، ثم تكتفى فى خدمة الدين بالنصائح المجردة العواطف المفتعلة، فهذا فى الحقيقة هو العبد المبين.. أن النسبة الكبرى من الراذل تعود الى واحد من الثالوث المتوطن فى ارجاء أمتنا من زمن بعيد، ثالوث الفقر والجهل والمرض.. أن زوال هذه الآيات الإنسانية يخفض نسبة الجرائم فى بلادنا ٩٠٪.

ونحن نعرف أن فى مصر الآفا من العلماء الذين ينتمون إلى الدين وينبثون فى معاهده ومساجده، وينطلقون فى المدائن والقرى يلشرون ويخبطون، فهل وصلنا- بعد هذا المجهود المادى والادبى الواسع _ الى درجة من الرقى والسلامة الاجتماعية؟.. والعلاج الأصلية فى هذا أن اختلال التوازن المادى والأدبى مكن لشياطين الإجرام أن تعمل وتنجح، فكيف لا يتدخل الدين فى تغيير هذه الحال تم اراد لنفسه البقاء، ولرسالته التحقيق؟² وعن ضغط ضرورات الحياة على الناس يقول الشيخ: إن المآكل والملبس وما إليهما من ضرورات العيش، اذا عزمنا لها طال التفكير فيها، واشتد السعي إليها عظمة قيمتها وغلت

¹ المصدر السابق ص ٥٣

² المصدر السابق ص ٦٢، ٦٣

حقيقتها، فإذا كلفت طائفة من الناس بأن تقضي عمرها في تحصيل هذه المطالب المادية وأن تقف تفكيرها واحتيالها على توفير هذه الضوروات الإنسانية فمعني هذا اننا كلّفناهم بأن يعيشوا ليأكلوا، أو ليأتوا بالاكل لأهلهم وأولادهم.. وقد حكوا أن فقيهاً إسلامياً كبيراً فاجأته خادمتة وهو ذاهب لإلقاء الدرس، بأن الدار ليس بها دقيق فطارت من رأسه مسائل العلم التي أعدها.. ثم العيب كذلك على طوائف من المتدينين لا ترى مواطن العباد الا في مواطن المسكنة والدمامة والقلق.¹

وتحت عنوان: نظريات مختلفة يتحدث الشيخ عن الرأسمالية والاشتراكية فيقول: الفكرة الرأسمالية تقوم على حرية العمل والاستثمار والتملك، وترى أن الفرد مادام واسع الذكاء والحيلة، جم النشاط والسعى، فله أن الفرد يحوز ما يشاء من مال، مادامت سوق المنافسة حرة ومادامت طرائف الجمع مشروعة، ومن الظلم أن توضع القيود والعوائق امامه، لتشل انتاجه في ميادين العمل المختلفة، وهذا كلام وجيه في ظاهره ولكن يؤخذ عليه ما يلي:

(أ) تستبد بالرأسمالية شهوة جمع المال من كافة الوجوه الممكنة فلا يباليون باستغلال جهود العمال، وانتقاص حقوقهم وتسخير مواهبهم.

(ب) ينسى الرأسماليون حقوق الله والناس في أموالهم ويتهربون من أداء الواجبات الدينية والاجتماعية المنوطة بهم². ويحولون ثرواتهم على عجل الى كنوز ميتة يقل انتفاع الأمة بها أو ينعدم.

(ج) اذا كان من بين هؤلاء من يعين في مشروعات الخير، ويساهم في نواحي البر، فإن ثرواتهم تنتقل بنظام التوارث الى أقوم لا عمل لهم ولا غناء فيهم. (د) وجد أن البيوت المالية الكبرى تتعاون على قتل صغار الرأسمالية الناشئين، وترصد من مصروفاتها ما يفسد الأسواق أمام النشاط الاقتصادي لهؤلاء.. وبهذا يضيع التنافس الحر.

(هـ) ظهر ان مجتمعات الرأسماليين تغص بفنون اللذائذ الرخيصة وتنضح بعوامل الفساد العريض.. على أن هذه المآخذ تختلف نسبتها من قطر إلى قطر، ويقل الإحساس بخطورتها بين شعب وشعب.. وعن الفكرة الشيوعية. يقول الشيخ: أما الفكرة الشيوعية في طورها الأخير فتقدم أساساً للتنظيم الاقتصادي يعتبر سليماً من الناحية النظرية اما الناحية التطبيقية فلم تتح لنا

¹ الشيخ محمد الغزالي: الإسلام والمناهج الاشتراكية ص ١٦، ١٧

² ليست هذه صفة أساسية عن الراسماليين ما يفهم من كلام الشيخ، فالراسمالية الوطنية في مصر الان يقوم معظم اصحابها بأداء حق الله تعالى وحق الناس عن طيب خاطر ورجاء البركة والنماء وربما انصب حديث الشيخ على فترة معينة من حياة الرأسمالية في مصر.

أسباب دراستها، حتى يتيسر الحكم عليها، وان كنا نلاحظ عموماً أن ثمة مبالغة في سيطرة الدولة على الفرد، وفي مصادرة الملكية الخاصة، مصادرة عنيفة شاملة مع أن الحاجة ماسة إلى جعل المرافق العامة وحدها ملكاً للدولة، أما المرافق الخاصة التابعة للملكيات الخاصة فلا ضير على الشعب من بقائها تحت أيدي أصحابها.¹ وعن النظام الاقتصادي في مصر قبل الثورة يقول الشيخ: وهذه الأفكار التي سقناها عن الرأسمالية والشيوعية لا تخدم بها إلا البحث العلمي المجرد، أما واقع الحياة في مصر فإن الصراع فيه ليس بين نظام رأسمالي وآخر شيوعي، كما هي الحال في بعض أمم الغرب ولكن الصراع هنا بين نظام إقطاعي موجود، وعدل إجتماعي منشود، أي بين بقايا من ظلمات القرون الوسطى بين طلائع التطور الانساني الحديث، ونحن اذا استعرضنا تاريخ التملك الزراعي في مصر، في العصور الأخيرة، لم نجد إلا ظلالاً سوداً لفوضى التملك والتمليك والاستهانة بالحقوق، والمحاباة للمحاسبين والأجانب والتجاهل لقيم العمل والعمال والغفلة عن مستقبل الأمة ومصاير بنيتها.²

وعن ضياع أموال المسلمين نتيجة لتبذير الحكام يقول الشيخ: ومن خصائص الحكم السرف الشديد على شخص الفرد الحاكم، وعلى كل من يمت إليه بنسب، أو يواليه بنصر، فترى شهوات الغي في البطون والفروج مشبعة، ومضلات الهوى مسيطرة على المشاعر والنهي، وعبء هذه النزوات يقع على عائق الخزانة العامة وحدها فإن الاستبداد السياسي لا يبالي من أين يأخذ المال، ولا أين يضعه وقد نكب المسلمون من قديم بنفر من قطاع، وقعت في أيديهم غنيمة الحكم فتقاسموها نهمين. ولم يعرفوا من المناصب التي سقطت في أيديهم إلا أنها منابع ثروة للشباب الجامح، والنزق والافراط أما مصالح الأمة فلا وزن لها.³

وعن منهج الإسلام الخاص في الاقتصاد يقول الشيخ: وليس معنى عدم وصف الإسلام بأنه اشتراكي أنه رأسمالي، أو معنى عدم وصفه بأنه ديمقراطي، أنه دكتاتوري، بل المقصود أن للإسلام أوضاعه الخاصة، التي تعلو على هذه المذاهب جميعاً، وهذا حق.. والاختلاف في التسمية لا ضير فيها، إنما للضير في أن نوهم الناس، بأن الإسلام دين رأسمالي، وأنه يحافظ على الأوضاع الاقتصادية الظالمة ويأمر بسفك الدم في الدفاع عنها.

فالدفاع عن الرأسمالية لا معنى له البتة في صدد الدفاع عن الإسلام، ثم إن تصور الحياة الاقتصادية، بأنها إما رأسمالية وإما شيوعية، خطأ علمي.. فإن

¹ المصدر السابق: ص ٤٦

² المصدر السابق ص ٤٨، ٤٩.

³ الشيخ محمد الغزالي: الإسلام والاستبداد السياسي ص ٣٧.

هناك مناهج اشتراكية أخرى كاشتراكية الدولة مثلاً، التي يتجه إليها الإنجليز في بلادهم وعداؤهم للشيوعية معروف، وهناك نظم تعاونية ليس الآن مجال تفصيلها، والمهم أن المذاهب الرأسمالية، أبشع ألوانها، وتلفت أقصى ضرباتها وسقط الشعب فيها صريعاً للتلوث المدمر المعروف، ثلوث الفقر والجهل والمرض.¹

لا يميل الشيخ إلى النظام الرأسمالي أو النظام الاشتراكي إنما يميل إلى النظام الإسلامي في الاقتصاد، وهو الذي يقوم على حرية التملك بالحلال ثم أداء حق الله في هذا المال مهما اتسع حيز هذا التملك وعدده أو كميته. ولكن الشيخ- بسبب ظروف عصر الإقطاع الذي عاش فيه في بداية حياته يرى إمكان أو جواز تقييد الملكيات الخاصة ويقول: ومسألة تقييد الملكيات لا تهدم نصاً ولا تعطل قاعدة، بل هي- في الحقيقة- عون فعال للتنفيذ النصوص التي جاء بها الإسلام، وتدعيم للقواعد التي بنى عليها فقهه العريق. وعن أسباب نزع الملكية، أو تقييدها يقول الشيخ: هل صحيح أن المسلمين يعيشون في هذا السلام المأمول؟ وان بلادهم آمنة، فليس يلوح في أفقها تدمير حروب لا آخر لها، أم أنهم عزل في هذه الحياة المتقلبة على فم بركان، اللهم لا سلام ولا استقرار فتلك مزاعم الحمقى.. وعند التلويح بالحرب وخطر الحرب، ترتفع عن الأملاك صغراها وكبرائها أيدي أصحابها، وتتولى الدولة انفاق آخر مليم لديها ولدى الشعب، في الدفاع المقدس عن البلاد.. لعل تشريعاً لو صدر خالصاً لن يكون ابرك نتائج، واعمق آثاراً من تقييد التملك والحكم في أسبابه على مقتضيات المصلحة العامة، وفوق ما توصى به تعاليم الشريعة وما أحسب الإسلام يصيب لمبادئه نصراً، أو يكسب لاتباعه خيراً، أو يمهّد لرسالته مستقبلاً، أو يمسح عن حقيقته شهباً، إلا بسن هذه القانون، وتطبيقه في اوسع دائرة، وسحب آثاره على الماضي والحاضر والمستقبل جميعاً.. وإنما ينجح الإسلام إلى هذا المسلك اليوم، لطبيعة البلاد التي استقر فيها، وأحوال الملاك الذين يسكنونها، فهو مسلك خاص.. ذلك أن اغنياء المسلمين مع الاسف العميق ذا قورنوا بأغنياء البلد الأخرى يعتبرون اخس اغنياء العالم.

ولقد رأينا مسلك أغنياء اليهود تجاه قضاياهم القومية الاجتماعية والإنسانية فوجدناهم رجالاً يرعون شعوبهم، وينصفون أتباعهم، وينهضون بالأحمال الثقال، التي تلقى عليهم.. أما اغنيائنا، فهم أشد الناس إسراقاً في ملذاتهم الشخصية، واشدهم ضناً على شئون الوطن والمجتمع.. وكأن واعزاً خفياً يوحى إليهم: انهم جمعوا ثرواتهم من باطل فينبغي ان تنفق في مصارف السحب والفجور وحدها..

¹ الشيخ محمد الغزالي: الإسلامى المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ص ٢٠٢، ٢٠٣ مكتبة وهبة ١٩٦٠ م ط ٥/.

ولذلك قلما تظفر بها نواحي البر وجهات الخير على طول الانتظار وحرقة الضما.¹

ويعدد الشيخ الامور التي استند عليها في حكمه بالتقييد فيقول: وقد اسلفنا القول أنه-حول الملكيات المطلقة تتكون عصبيات جاهلية متغطرة.. هذه العصبيات المعترزة بأملاتها تحتكر الحكم والجاه في أقطار الشرق الإسلامي المضطهد في الداخل والخارج، بأفانين المظالم الاجتماعية والسياسية.. أن الفين الإنسانية في بلادنا تحتاج الى من يرد لما احترامها، حتى لا نرى المواهب الكريمة تدفن وتذوب، لأنها نبتت فقيرة، وحتى لا نرى اقزاما يتحولون بين عشية وضحاها- عمالقة كبارا، لماذا.. لانهم اتحدوا من أسر واسعة الثراء.²

ويرى الشيخ ان الملكيات المطلقة تجلب الظلم وتعكر صفو الحياة يقول في ذلك: والإسلام يدير شئونه التشريعية كلها على الحلال والحرام، ويوجب أن تقوم الحياة على رعاية هذه الأصول الدقيقة وان كانت الطبقات المأكولة. ويقصد الفقراء. في الشرق الإسلامي هي وحدها التي تستمتع في المساجد، الى الوعظ العام في الحلال والحرام، فإذا اطاعت ما سمعت نفذته في دائرة القروش والمليمات اما الطبقات الاكلة الأغنياء- فلا تبالى ما تفعل وما تترك، ولعلها تستغرب أن يسألها الدين عن حجز تلك القصور المشيدة وعن قيروط من هذه الارضيين الزهرة، أمن حلال هو أم من حرام؟ والحق أن هذا التساؤل من صميم الدين ولا يعد المجتمع نقيا نظيفا الا اذا فسر تصرفاته المالية كلها تفسيراً لا خفاء فيه ولا حوارية أن جامعة الثورات من الغصب والسرقه والرشوة واستغلال النفوذ، قوم مجرمون من عناية السماء، وان كانت لهم في الارض وجاهات، وكثير منهم قد يغطي وهذه السيرة الدنيئة بركعات يؤديها، وكلمات طيبة يرددها أن الافتيات على أموال الفقراء القليلة، و ترك الناعمين والمترفين يأكلون كما تأكل الانعام، فذلك ما لا يرضى به الإسلام.

وفي لفته بارعة ينتقل الشيخ من ظلم الأغنياء الفقراء في البلاد الإسلامية إلى ظلم الدولة الاستعمارية الغنية للبلاد الإسلامية الفقيرة ليؤكد أن جعل افراد الأمة يعيشون في ظلم وفي خنوع لحساب طبقة معينه، يجعل هذه الأمة كلها تصبح أمة خانعة في تعاملها مع غيرها من الأمم فيقول:

بيد أن الشعوب الخادمة لغيرها، ليست إلا شعوبا ماتت فيها المواهب الإنسانية العليا وارتكست فيها الملكات الذكية اليقظة فهي تصف بالحياة كما يصف السادة

¹ هذا الكلام على فترة معينة عاشها الشيخ. اما الان فإن كثير من رجال الأعمال واصحاب الاموال يقومون بواجباتهم على خير وجه ولهم وربنا لا يستهان به في نصره قضايا الوطن وان كان البعض مازال ينطق عليهم كلام الشيخ في الشح في الخير والسرف اي اللهو واللعب

² الموضع السابق ص ١٦٣ وما بعدها.

بالحياة كلاب الصيد التى تلهث بين أيديهم، أو أبقار الحرث التى تعمل فى حقولهم، أما هم من الناحية الإنسانية المحضة فأموات.. وكل أمه تتكل عن حمل أعباء الحياة الحرة الأبية، وتنكص عن الاقدام فى ساحات الجهاد والتضحية، وتخشى عواقب المخاطرة والجرأة، فلا بد أن تصدر عليها محكمة التاريخ حكما بالاعدام.¹

وعن عناصر نجاح الاقتصاد او فشله يقول الشيخ: والنظام الصالح هو الذى يعطى حق الحياة والنماء للجديرين بذلك، والذى يشد الى اسفل كل من يؤيدون الصعود بالتزوير والإثارة، والذى يدفع بالدناءة معترض الكفايات من اى طبقة.. وينقل الشيخ عن الصفحى مصطفى أمين قوله: فى بلادنا الدنيا كلها عندما ينجح انسان تنهال عليه الورود والرياحين، أما فى منطقة الشرق الأوسط، فأن فيها وباء عربيا اسمه وباء الناجحين وتحطيم المتفوقين لا نكاد نسمع عن رجل نجح حتى تنهال عليه بالطوب وهذه طريقتنا فى إطلاق المدافع لتحية الابطال الفاتحين فإذا لم يكن الرجل الناجح عند حسن ظننا، وانهار تحت وابل الطوب أسرنا نهدمه بالمعاول، فإذا رأينا رأسا مرفوعة طالباً بقطعه وإذا شاهدنا شركة ناجحة ابلغنا ضدها الرقابة الإدارية فإذا ألغيت الرقابة الإدارية استتجدنا بالنيابة الإدارية.

البعض مما يعتبر النجاح خيانة عظمى، يجب شنق مرتكبها المجرم الاثنين، أما الإنسان الفاشل فهو وحده الذى يستحق احترامنا لولا أنه سرق لما نجح لولا أنه اختلس لما اغتنى لولا أنه خالف كل مبادئ الأخلاق لما تقدم كل الصفوف.. عقلية العبيد هذه يجب أن نقاومها فى أنفسنا، ويجب أن تعتبر كل كفاءة فى بلادنا، قلعة لابد أن تحميها من الاقتحام بالبلاغات الكاذبة، ومن الشكاوى الوهمية، ومن الاتهامات المزيفة. أسمع عن كفايات فى بلادى تحارب، وتقام العقبات فى طريقها، كان حزب الفاشلين يريد مطاردة كل كفاية والقضاء على كل عبقرية، وتحطيم كل نجاح.. إن الذى يحدث عندما يتآمر العجزة أحد أمرين: أن يتزوى الاكفاء ويعتزلوا المجتمع وتغلب عليهم فلسفة التشاؤم وفكرة التصوف وذلك ما يتغلب على تاريخنا القديم.. او يهاجروا إلى بلد آخر يلتمسون فيه العدل والنصفة فإذا وجدوا فيه ما نشدو جعلوا ولاءهم له وقصروا نشاطهم عليه وفى عصرنا الحاضر استطاعت الولايات المتحدة أن تظفر بأكبر قسط من العقول المهاجرة، فدعمت تفوقها الحضارى بعبقریات هائلة من كل قطر بعدما وفرت لها التقدير المادة والأدبى على السواء وفى إحصاء نشرته جريدة الأهرام أقرت أن ٦٦٪ من العقول المهاجرة من العالم العربى، فأدركت ان العالم

¹ المصدر السابق ص ٢٤٠ وما بعدها

العربي أخصب بقلعه لرواج العملات المزيفة، وصدارة النفوس المريضة وانتشار الكفايات المهیضة.¹

"متابعة"

تعتبر قضية الاقتصاد من القضايا الفاعلة في حياة الناس، وأى تأثير في هذه القضية يؤثر في حياة الإنسان سلبيًا أو إيجابيًا، بحسب نوع التأثير الحادث والاثـر المستهدف، ولذلك كان تصدى الشيخ لهذه القضية من الأمور التي تحسب له ومن العوامل التي تؤكد أصالته كداعية تنتمي إلى المدرسة المحمدية في يثرب مباشرة.

ولقد تعود بعض الدعاة أن يقيموا منهاج دعوتهم على الاتجاه بالناس إلى دار الآخرة، دون الالتفات إلى الحياة الدنيا، والعمل العمراني بها، بل يجدون في الدعوة للعمل في الدنيا، والكسب الحلال بها، ما يناهض السمو الروحاني والنور الإيماني، والفيض البرهاني وهي العناصر التي يدعون الناس إليها، والدعوة بهذه الصورة تجاوز المقدمات الضرورية، ومحاولة لجنى الثمار قبل زرع الأشجار والنتيجة في النهاية تقوم على المشاعر والأحاسيس بالنسبة للآخرة، وتقوم على التمهيد لسيادة طبقات من الناس، لم يلتفتوا لأقوال هؤلاء الدعاة إنما انتصبوا لجمع المال من كل وجه، ساعدهم في ذلك ما بثه بعض الدعاة بين الناس من زهد في الدنيا ودعوة للتخلي عنها ومن هنا بدأ تدهور مجتمع المسلمين من الناحية الاقتصادية. وكان دور الشيخ حاسماً من زاويتين: الأولى:- كشف قضايا استغلال الفقراء في مجتمع المسلمين، من جهات عديدة، أحياناً باسم الدين.²

الثانية:- وضع منهاج للدعوة في العصر الحاضر، يعود بها إلى سابق أيامه الخالدة، وهذا المنهاج يقوم باعتبار الدنيا والنجاح فيها مقدمة ضرورية للنجاح في الدار الآخرة، بشرط أن يكون النجاح في الدنيا مؤسساً على شريعة الله

¹ الشيخ محمد الغزالي: نظرة على واقعنا الإسلامي ص ٦٩، ٧٠ دار ثابت ١٩٨٣.

² يقوم منهاج الشيخ، في دراسة قضايا - على تقسيم القضية تنظيمياً فيدرس كل قضية في عدة نقاط. وتقسيماً زمنياً يتيح العودة إليها في فترات متقاربة أو متباعدة، بحسب تطور هذه القضية وما تحدثه من أثر في حياة المسلمين.

تعالى وهدى رسول الله ﷺ وقد حدد الشيخ موفقة من قضية الاقتصاد كعاداته فى نقاط كما يلى:

١- الاستعمار وانشاء المجتمع الطبقي فى بلاد المسلمين:-

يرى الشيخ ان للاستعمار الاجنبي دوراً بارزاً فى تحويل المجتمع الإسلامى الى مجتمع طبقي. لان الاستعمار عندما يدخل بلداً إسلامياً يكون مرفوضاً من معظم سكانها ويشرعون فى مقاومتها، إلا أن هناك طائفة من الناس يجدون أن من مصالحهم

مساندة¹ الاستعمار والسير فى ركابه، ومن هؤلاء من يتخذ الاستعمار بطانة له بلاد المسلمين، ويعمل على اشتراكهم فى نهب ثروات الوطن المحتل، إلا أن نصيبهم لا يتعدى دائماً نصيب من يساعد اللص فى سطوة على الاشياء، فهو يأخذ شيئاً يحدده السارق، ولكنه لا يسمح له بالقسمة مهما كان سهمه ضئيلاً. ومن هنا نشأت الطبقة فى مجتمع المسلمين، وبرزت كحقيقة واقعية، ونظر اليها بعض الدعاة فلم يعيروها التفاتاً، ورأوا فى ذلك نوعاً من تقسيم الأرزاق، ليس من شأن الدعاة التدخل فيه ورأى الشيخ أن فى وجود الطبقات وما تسببه من ظلم أمراً لا يقره الإسلام ولا يساعد عليه، بل يدحضه، ويعمل على هدمه وتغييره.

ولم تقف الطبقات العليا فى المجتمع وفى ظل النظام الرأسمالي عند جمع المال فقط، بل تقاسمت مع الاستعمار السلطة فى داخل البلاد، ولذلك فقد تعاظم الظلم الواقع على الفقراء، ولم يجدوا للخروج من ذلك سبيلاً. ولقد اكتفت هذه الطبقة الرأسمالية بمشاركة السيطرة الاجنبية فى السلطة الداخلية، بما يصاحب السلطة من حراك إجتماعى.²

فالرأسمالية ايام الاستعمار الإنجليزى على مصر لم تكن نضجت، وكان كل همها جمع المال من أي وجه، ولو أدى ذلك للتعاون مع الاستعمار، والسير فى ركابه، وهذه هى الفترة التى عاشها الشيخ وعانى منها بإحساسه أحياناً، وعانى منها بالفعل فى أحيان أخرى، إلا أن الرأسمالية الوطنية الآن فى مصر ليست بهذا السوء ولها أعمال جليلة فى مجالات الخير وخدمة الوطن والمواطنين إلا أن الاستعمار القديم الجديد، يحاول الالتفاف حولها، والدخول معها فى مشاريع

¹ يرجع هذا الى ظروف أخلاقية ونفسية واحياناً تتعلق بكون الانسان شجاعاً او جباناً وهذه الحالة تحتاج الى بحث آخر بإذن الله تعالى فيما نستقبل من ايام

² محمد حسنين هيكل: ملفات السويس ص 31 ومؤسسة الأهرام 1986م

مشتركة، ستنتهى إذا لم نلتزم الحذر بعودة السيطرة الأجنبية مرة أخرى والسيطرة الأجنبية تجعل طبقة تتمتع بكل خيرات الوطن مع بقاء أبناء هذا الوطن محرومين من كل شئ وهذا هو. الاستغلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي وبهذا تنشأ الطبقات فى المجتمع ويساعد الاستعمار على وجود هذا النظام الطبقي وهذا ما ركز عليه الشيخ فى بداية تصديه للاستعمار، ولمن يسировون فى ركابه.

2- الجو الطبقة يقضى على المهارات الفردية:

حين تدور عجلة رأس المال، فأنها تهمل العامل الانسانى ومن ثم يتم تجاهل الإمكانيات والمهارات الفردية"ومن جهة أخرى فإن النظام الرأسمالي برغم المحاولات المتعددة لتهديبه يهمل العنصر الإنسانى ويهتم فقط بظروف العرض والطلب، فمثلا فى تحديد الأجور ينظر إليها على أنها مسألة تعاقدية بحتة، لا تحتوى عنصرا إنسانياً كما أن النظام الرأسمالي يتسم بالمخاطرة الاقتصادية، وحدوث البطالة الإجبارية على نطاق واسع، كما أن الرأسمالية أثبتت أنها نظام لا يقدر على التحول مع التغيرات الكبرى ومن أكثر عيوب النظام الرأسمالي أنه يسمح بقيام دخول غير مكتسبة تنشأ عن حيازة السلع الاقتصادية أو القوة الشرائية من أى مصدر خلاف بذل المجهود.¹

ويعنى هذا تجاهل قدرات وإمكانات الإنسان والاعتماد فقط على دوران رأس المال فى المجتمع وهذا هو الجو الطبقي الذى أشار إليه الشيخ بقوله: الجو الطبقي يقضى على المهارات الفردية، وقد وصل الشيخ بهذا الاستنتاج إلى قاعدة أصيلة فى الاقتصاد، لأنه إذا أصبح المال هدفاً، تلاشت قيم كثيرة من المجتمع وانعكس ذلك على صفحة الحياة فى صورة تناقضات لا آخر لها.

3- الاقتصاد السيئ يخلق الرذائل:

لقد مس الشيخ موضعاً خطيراً فى علاقة الاقتصاد بالحياة، وهذا الموضع يحتاج إلى بحث مستقل، لأنه يتعلق بتلك العوامل التى تساعد على الفضيلة أو الرذيلة وهى عوامل مساعدة، لكن أثرها حاسماً فى كثير من الأحيان، أن

¹ محمد طلعت عيسى: الاشتراكية العربية والاشتراكية العالية ص ١ به طر مكتبة القاهرة الدينية ه ١٩٩٩ م.

لم يكن أغلبها، فهو ير كز على أثر الاقتصاد السيئ في انتشار الرذائل في مجتمع المسلمين، وكثيرا ما يردد: أننا يجب أن نراعى ضرورات الإنسان من مأكّل وملبس قبل أن نوجهه للخير، فالمعدة الجائعة لا تمتلئ بالقيم الأخلاقية، والجسد العارى يحتاج إلى كسوة عادية من القماش قبل أن يكسى بلباس التقوى. والشيخ لم يصل إلي هذا الاستنتاج من وحي خياله بل وصل إليه من فقه الكتاب والسنة، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ثلاثة وقعت علي باب غار هم صخرة عظيمة حبستهم ومنعتهم من الخروج فسألوا الله تعالى بصالح الأعمال التي أدوها ابتغاء وجه الله تعالى، وقال بحدّهم: لقد راودت امرأة عن نفسها في الحرام- وكانت تعول أولادا صغارا جياعا- فرفضت أمتنعت وعادت من غير طعام، وألح أولادهما في طلب الطعام،

وألحت هي في طلب العفة والعصمة، ولكنها أنهارت في النهاية تحت وطأة الجوع وذهبت إلي الرجل وقالت له أعطني مائة دينار وأفعل بي ما تشاء. فأعطاهما المال، وعندما تمكن منها ذكرته بالله تعالى فرجع عنها وتركها لوجه الله تعالى“¹

¹ والحديث بتمامه كما يلي: روي الإمام مسلم عن موسى بن شعبة عن نافع عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: بينما نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلي غار في جبل فاتحطت علي فم غار هم صخرة من الجبل فانطلقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها خالصه لله فادعوا الله تعالى بها، لعل الله يفرجها عنكم. فقال أحدهم: اللهم انه كان لي والدان شيخان كبيران وإمرأتي ولى صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بي، وأنه ناي بي ذات يوم الشجر فلم أت حين أمسيت فوجدتهما قد ناما قطبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمّت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك رأبي ودأهم حتى طلع الفجر، فأن كنت تعلم أي فعلت ذلك ابتغاء وجهك. فأفرج لنا منها فرجة نري منها السماء، ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء.

وقال الآخر: اللهم انه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها فأبّت حين أتيتها بمائة دينار، فتعبت حتي جمعت مائة دينار، فجئتها بها فلما وقعت بين رجلها قالت يا عبد الله اتقي الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمّت عنها، فإن كنت تعلم إلى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة، ففرج لهم،

وقال الآخر اللهم أن كنت استأجرت أجيراً بغرق أرر فلما قضى عمله قال أعطني حقي، فعرضت عليه فرقة فرغب عنه فلم أزل ازرقه حتي جمعت منه بقرا يرعاها فجائني فقال: أتقي الله ولا تظلمني حقي وقلت: أذهب إلي تلك البقر يرعاها فأخذه فذهب به فإن كنت تعلم أي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا ما بقى ففرج الله ما بقى.

الحامع الصحيح للإمام مسلم مجلد: ح ٨ ص ٨٩، ٩٠. وفي صحيح البخاري مجلد ٢ ح 4 كتاب الانبياء ص ١١٠

وفيه: وأني راودتها عن نفسها، وما ذهبنا إليه من إنها كانت فقيرة وفي اشد الحاجة إلى المال. ذكره أبن حجر العسقلان في فتح الباري بقوله في رواية أخرى قال الرجل: فامتنعت من حبي أملت بها سنة - أي سنة قط - فجاءتني فأعطيتها: وفي حديث النعمان بن بشير قال: فلما امكانتني من نفسها بكت، فقالت ما يبكيك؟ قالت: فعلت هذا من الحاجة فقال: انطلق في رواية أخرى عن النعمان: إنما ترددت إليه ثلاث مرات تطلب منه شيئا من معروفه ويأبى عليها إلا أن تمكنه من نفسها، فأجابته في الثالثة، بعد أن استأذنت روحها فأذن لها وقال لها اعي عيالك، قال: فرجعت فناشدني بالله فأبيت عليها، فأسلمت لي نفسها فأبيت فلما كشفها ارتعدت من تحتي فقلت مالك؟ قالت أخاف الله رب العالمين فقلت خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركها.

بن حجر العسقلاني فتح الباري 588/6 ط دار الريان للتراث ١4٠٧ هـ ط الثالثة

وعندما سأل الله تعالى بما فعل فرج الله تعالى شيئاً من الصخرة وأزاحها عن الباب.

وقصة هذا الحديث الشريف تدل منهاج الشيخ في وجوب تأمين الضرورات لفقراء المسلمين لمساعدتهم على العفة والطهارة لأن المرأة التقية النقية الطاهرة أنهارت تحت وطأة الجوع وسلمته نفسها وشرفها، لرجل تعلم أنه يريد لها في الحرام، ولولا خوف الرجل من الله تعالى لانتهى كل شئ.

فلو افترضنا أن هذا الرجل لم يهتم بتحذير المرأة ومضى في طريقة لا يلوى على شئ لثم اعدام الطهارة والعفة والتقوى تحت وطأة الجوع والحاجة، وأحسب أن رسول الله ﷺ كان يريد بهذا الحديث أن ينبهنا لأهمية الاقتصاد في الحياة وأن الاقتصاد السيئ ينشئ الرذيلة، وهى نفس النتيجة التى وصل إليها الشيخ.

فوجود رجل غنى قوى مسيطر على مقادير الناس، وعلى أرزاقهم ويكون كسب هذا الرجل مخصصاً من دخل هؤلاء الناس، هذا الوضع ينمى الرذائل، وينشرها فى المجتمع، لأن الناس يتنازلون بضغط الظروف عن كرامتهم فى البداية، وعن أخلاقهم فى نهاية الأمر.

وحرى بالدعاة أن يسيروا على نهج الشيخ فى نظرتة الشاملة لكل ما يؤثر على الإنسان والاهتمام بشئون الناس الحياتية، وجعل الناس يهتمون أكثر بأرزاقهم، وتأمين مستقبلهم، ومستقبل أولادهم بالعمل الصالح المنتج الذي ينشئ العمران ويطور الحياة، ثم من قبل ومن بعد بطاعة الله تعالى والسير وفق شريعته.

ومن الممكن أن يقوم أحد الدعاة بدعوة مجموعة من النسوة الأرامل اللاتي لا يملكن شيئاً من حطام الدنيا لهن ولأولادهن ويطوين الأيام جوعاً والليالي حسرة يدعوهن إلى العفة والعصمة والتقوى، ولكنهن حين يعدن إلى بيوتهن ولا يجدن شيئاً يقتات به أولادهن، فإنهن فى هذه الحالة لن يتذكرون وعظ الداعية وبلاغته اللفظية، وسوف يقاومن كثيراً وطويلاً، ولكنهن حتماً سينهزن فى يوم ما، أما لو استغل هذا الداعية دعوته فى جمع المال من الأغنياء لتوفير الضرورات لهذه الأسر، ومحاولة البحث لهن عن أعمال يؤدينها تعود عليهن وعلى أسرهن بالخير، لكانت تلك أبلغ دعوة وأعظم أجراً عند الله سبحانه وتعالى.

2- تبذير الحكام وضياع أموال المسلمين:

من العقوبات التى تؤثر فى حياة المسلمين الاقتصادية تبذير الحكام وإسرافهم فى أموال المسلمين، ولقد ركز الشيخ على هذه النقطة، لأنها من النقاط البارزة فى تدهور الاقتصاد فى البلاد الإسلامية ولعل من أخطر الأمور فى السياسة الاقتصادية للمسلمين، عدم محاسبة الحكام على سرفهم و تبذيرهم، وفى الأمم المتقدمة حضارياً

يحاسب الحكام عن كل قرش يصل إلى يده، أما في البلاد المتخلفة وأغلبها من بلاد المسلمين، فلا يجروء أحد على محاسبة الحكام لا الأفراد ولا المؤسسات.

لقد كان السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم يهتمون بمحاسبة الحاكم بطرق عديدة، فقد كان الحاكم يحاسب نفسه ويحاسب غيره إذا لزم الأمر، وقد كانت السمة الغالبة على الحكام هي سمة الزهد والورع والتقوى، وكان لرسول الله ﷺ، أموال كثيرة تأتيه، من الغنائم، وكان ينفقها عن آخرها ولا يدخر شيئاً لأهله وكان يفعل ذلك لسببين:

الأول:- أنه كان يرغب في متاع الآخرة ولا يجد شيئاً في الدنيا

الثاني:- أنه كان يضع سنه للحكام من بعده لكي لا يتخذ الحكم مغنماً، لأن الحاكم إذا أراد كنز المال فلن يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك، ويستطيع حاكم واحد أن يستولى على ثروة بلد إسلامي بكاملها، وهذا معروف مشاهد في بعض البلاد.

وعن الموازنة بين الدنيا يقول النبي ﷺ موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولغدوه في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها.¹

وقد وازن رسول الله ﷺ بين الدنيا والآخرة واختار الآخرة وليس معنى هذا أنه ترك الدنيا بلا عمل على تطويرها وتنميتها لصالح كل المسلمين، وليس لمصلحة خاصة كما يفعل الحكام في هذا الزمان.

وكان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه يسائر على سنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحكم، وكان يزهد في أموال بيت المال، وكان يطلب من الناس في الحكم أن يقوموه إذا أساء، وقد قال عند توليه الخلافة: أما بعد، أيها الناس، إني وليت عليكم ولست بخيركم، فأن أحسنت فأعينوني، وأن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندي حتى أرجع عليه حقه، إن شاء الله تعالى، والقوى فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه أن شاء الله تعالى.

وجلس سيدنا عمر بن الخطاب بعد توليه الخلافة يتناول طعاماً فدخل عليه ضيف فقدم إليه الطعام، فلم يستطع أن يأكل ما كان يأكل أمير المؤمنين لغلظة في الطعام وتقشف²

ويروى كتاب السير: ببينا عمر بن الخطاب قد وضع بين يديه طعاماً إذ جاء الغلام فقال: هذا عتبة بن فرقذ بالباب.

قال: وما أقدم عتبة؟ ثم قال ائذن له. فلما دخل عتبة رأى بين يدي عمر طعامه خبز وزيت، وقال: اقترب يا عتبة فأصب من هذا، فذهب يأكل فإذا هو طعام

¹ صحيح البخارى، ١١٠/٨ طر دار الفكر

² الامام ابن كثير: البداية والنهاية ٩٩٢/٩ طر دارالمعرفة

جشِب خشن غليظ، لا يستطيع أن يسيغه، فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في طعام يقال له: الجواري أى الذى نخل مرة بعد مرة قال: ويلك. ويسع ذلك المسلمين كلهم؟ قال لا والله قال: ويلك يا عتبة افردت أن أكل طبيباتي فى حياتي الدنيا واستمع.¹

هذه هى سيرة الحكم فى بداية الدولة الإسلامية، وسيرة من تبعهم، وهذا النمط من الحكم الطاهر، و من الحكام الزهاد كانت له آثار جيدة فى حركة الأمة وفى حضارتها، وفى تقدمها، وكادت الأمة الإسلامية تسيطر على العالم أجمع فى عشرات السنين.

وعندما توالى العصور وكثرت الدهور، وتولى الأمر والحكم فى بعض بلاد المسلمين حكام مبذرون مسرفون، إنعكس ذلك على بلاد المسلمين وتدهور الاقتصاد، وخرابا فى الضمائر وانحسر تقدم الأمة واختزلت حضارتنا وغربت شمسها، وفى ظلها، لذلك كان تحذير الشيخ شديدا من تبذير الحكام وخطر ذلك على مستقبل البلاد الإسلامية، وحضارتها.

ومشكلة تبذير الحكام للمال العام مشكلة متجددة مع الأيام والظروف وحسب الشيخ أنه جعلها على رأس المشاكل الاقتصادية للبلاد الإسلامية وحذر منها ومن خطورتها، ولم ينفرد الشيخ بهذه الرؤية أو يستحدثها فهى قضية معروفة فى الاقتصاد السبى، وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى يوصيان دائما بعدم وصول مساعدات الدول الغنية للدول الفقيرة إلى دوائر الحكم فى هذه البلاد، لأن ذلك يختزل المساعدات ويجعلها تتلاشى.² وكما أسلفنا فليس على الحاكم رقيب فيما يأخذ أو يدع، وتستطع أسرة واحدة أن تستولى على الاقتصاد قطر إسلامي بأكمله، ولا تترك لأهل هذا القطر إلا ما يضمن بقاءهم يعملون ويكدحون. وما زالت فى بعض بلاد المسلمين أسر تملك الوطن على السواء ويتوارثون هذه الملكية جيلا بعد جيل.

5- تقيد الملكات الخاصة:

يذهب الشيخ إلى جواز تقيد الملكية الفردية أو نزعها إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وهو مذهب يتسم بالشدة، ويمكن التماس العذر للشيخ فيما ذهب إليه من تقيد الملكية الفردية ونزعها، بما آلت إليه الأمور فى ظل الإقطاع والملكية الفاسدة، وما وقع من ظلم قبل قيام الثورة 1٩٥٢م.³ وأن كان الشيخ يميل إلى نزع "التقيد" لمصلحة الجماعة، ولكنه يميل إلى نزع الملكية الفردية، فى حالة عجز المالك عن إثبات أساس ملكيته لما فى حيازته من أشياء، مثل الملكية عن طريق الهبة من الحاكم للأتباع والمحاسيب، ومن يوطنون لظلمه وحكمه الفاسد فى البلاد.

¹ اسد الغابة / ٩ هـ ١ و انظر الشيخان للبلادرى ص ٢ هـ ١

² وليس معنى هذا أن هذه المؤسسات صادقة فى مساعداتها للبلاد الفقيرة أو أن هذه المساعدات يقصد بها التنمية فى البلاد، بل يقف هذه المؤسسات عند المساعدة فى حد الكفاف وأهدافها الاستعمارية لا تخفى على الغرض من الاستشهاد هنا بوصاياها هو التأكد على عالمية فكر الشيخ أصابته للحقيقة.

³ نشأ الشيخ فى قرية وتأثر من صغره بما يقع على الفلاحين من ظلم فى ظل الإقطاع.

يقول الشيخ: والإسلام يعترف بمبدأ الملكية، ويضعه تحت الوصاية الدقيقة من تعاليمه المقررة. فهو يطلقه أن كانت المصلحة العامة تقضى بإطلاقه، ويقيد إن كان الأمر على العكس من ذلك.. وفي كلتا الحالتين فالإسلام واضح في رفضه، لكل تملك باطل يسأل كل مالك من أين لك هذا؟ ليعرف أهو حق فيبقىه أم لا فيسلبه إياه.. ولو طبق مبدأ "من أين لك هذا" على الأملاك الكبيرة القائمة في ربوع الشرق، لأصبح أكثر أغنياء الشرق فقراء، فأصول هذه الأموال منسوب يحرم الأكل منه وتحرم الصلاة فيه كما قال الفقهاء.. واستثمار هذه الأملاك مطعون فيه، لقيامه على سرقة الجهود، وظلم الأجراء.¹ هذا ما ذكره الشيخ عن الملكية الفردية، وقد كتب هذا المؤلف تحت ظروف قاسية كان يمر بها الوطن وقتها. ويصعب علينا السير خلف الشيخ إلى نهاية الطريق، لان الملكية الفردية مصانة بالشرع، لا يمكن الاقتراب منها الا في ظروف خاصة مثل دخول البلد المسلم حربا مع الأعداء يجوز للحاكم وقتها ان يقوم بنزع ملكيات وأخذ أموال كثيرة من الأغنياء للدفاع عن هذا البلد، بشرط عدم وجود أموال داخل الخزانة العامة، وقد ذكر الشيخ ذلك وقرره.

ويرى الدكتور / يوسف القرضاوى أن الملكية مصانة بالشرع وبالشروط التي يضعها الشرع الحكيم. ويقول:

أقام الإسلام نظامه الاقتصادي على إقرار الملكية الفردية، لما فيها من إشباع الدافع الفطري في نفس الإنسان، ولما تثمرة من الشعور بالسيادة والقدرة ولكنه وضع للملكية أسبابا لإكسابها، و قيودا لتنميتها، وحقوقا دورية وغير دورية عليها وهي كما يلي:

أ – إتاحة العمل للملائم لكل مواطن قادر باعتبار العمل حقا له وواجبا عليه وتحريم الصدقات والمعونات الاجتماعية تحريما باتا على كل متعطل عن العمل الملائم له باختياره لقوله ﷺ: "لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى"².

ب – إعطاء الأجر العادل لكل عامل بما يكافى عمله، ويغطي - حاجته بالمعروف

ج – جباية الزكاة – جمعها – من أموال ظاهرة مثل: الثروة الحيوانية والزراعية، وزكاة الفكر. وباطنة مثل: أموال التجارة والنقود وذلك بواسطة

¹ الشيخ محمد الغزالي: الإسلام المفترى عليه ص 146

² الحديث رواه الترمذي في الزكاة باب ما جاء فيمن لا تحل له الصدقة 1 / 1 29 | دار الفكر ١٩٩٦ م.

جهاز قوي أمين من "العاملين عليها" مع وجوب توسيع القاعدة بحيث تشمل كل مال نام، وكل دخل فائض عن الحوائج الأصلية وتوزيعها على المصارف الشرعية.

وبذلك تسهم هذه الفريضة في تمويل التكافل، وتحقيق العدل الاجتماعي، ومحاربة الكنز، ومقاومة الاستقراضى بالربا وانتشال المدنيين من ذل الدين كما تسهم فى تنشيط الدعوة الى الإسلام.

د - كفالة المعيشة الكريمة التى تتوافر فيها الحاجات الأصلية، لكل عاجز عن العمل عجزاً أصلياً أو طارئاً، عقلياً أو جسمياً أو كان قادراً عليه ولكنه لم يجد عملاً. وأكل الأموال الناس بالباطل.

و- أن يخضع موظفو الدولة - وبخاصة الكبار منهم لقانون من أين لك هذا.

ز- محاربة الإسراف والترف فى المجتمع بالتشريع والتوجيه، وقاية للأمة من الحقد الطبقي والانقسام إلى أكثرية كادحة شبه محرومة، وأقلية متنعمة.

ح - تقريب الفوارق الاقتصادية بين الأفراد والفئات، بالعمل الدائب على الحد من طغيان الأغنياء، والرفع من مستوى الفقراء.

ط - تقريب الفوارق بين القرية والمدينة بحيث لا تستحوذ المدينة على كل شى وتترك القرية فى زوايا الإهمال والنسيان.

ى- تطهير كل المؤسسات الاقتصادية من رجليس الربا، ومن كل معاملة تخالف شريعة الإسلام.¹

فيما سبق قدم الدكتور يوسف القرضاوى صورة للضوابط التى يجب أن نتعامل بها فى نطاق حركة الاقتصاد وهو لا يرى المصادرة ونزع الملكية إلا فى حالة حصول حائز المال عليه بطرق غير شرعية.

ويعلل تدخل الدولة فى مؤلف آخر له فيقول إن من واجبات الحكومة المسلمة، أن تنظم علاقات الناس على أساس سليمة، فتضع من الأنظمة والقوانين ما يحقق العدل ويرفع الظلم، ويشيع الطمأنينة والاستقرار بين الناس.. ولا يجوز أن تتحاز الحكومة لفئة من المجتمع ضد أخرى، بل يكون عدلها للجميع.. إن مصالح الناس ورغباتهم كثيراً ما تتعارض وتتضارب، ومهمة ولى الأمر هى المحاولة للتوفيق بين المصالح، والموازنة بين المنافع والمضار، فالقانون الذى يحقق منفعة لأكثر عدد من الناس هو الذى يتفق مع العدل.²

¹د. يوسف القرضاوى: الحل الإسلامى فريضة وضرورة ص 1هـ وما بعدها ط دار الصحوة الإسلامية. بدون"

²د القرضاوى: فتاوى معاصرة ٩٣/١ ها، ٩٦ هـ ط دار القلم ١٩٩٩ م

ومن خلال ما تقدم يتفق الدكتور يوسف القرضاوى مع الشيخ فى وجوب نزع الملكية، إذا كانت هذه الملكية قد تكونت من حرام، ويضع د/ القرضاوى كثيراً من الضوابط تدور حول الملكية الفردية، بهذا يختلف نهج الإسلام فى الاقتصاد عن المذاهب الاقتصادية الأخرى فالملكية الفردية لا حدود لها عند الرأسمالية، ولا وجود لها عند الشيوعية، ولها وجود مقيد فى النظام الاشتراكي لا يتسم بالمرونة، ولا يتوافق مع الطبيعة الإنسانية والحركة الطبيعية للاقتصاد ويتم هذا التوافق فى النظام الإسلامى، لأنه يقوم فى الأساس على الملكية الفردية فى ظاهرها جماعية فى نفعها وخيرها لكل المسلمين.

1- محاربة الناجحين:-

يرى الشيخ أن من آثار الاقتصاد السئ محاربة الناجحين وله كل الحق فى ذلك، لأن استحواد الأغنياء على الدخل القومى العام يعطيهم نوعاً من الأنانية والغرور، ووضع مقاييس للتفوق والنجاح، فإذا تفوق فقير فى ميدان من الميادين، وجدوا أن هذا مخالفة لنموهم العام وحاربوه وطاردوه، وهذا شأن الصراع الطبقي فى المجتمع الرأسمالي، وهذه عادة قديمة تتوارثها الشعوب، فعندما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنور المبين قال المشركون فى مكة (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)¹.

فهذه الحساسية الاجتماعية التي تنشأ من تفاعلات الاقتصاد السئ داخل المجتمع الإسلامى هى التي دفعت الشيخ إلى اعتبار هذا الأمر من عقبات التقدم الاجتماعى والاقتصادى ومن مدلولات نتائج الاقتصاد السئ ومتوليته تصب ظلماً وجوراً على الكادحين من أبناء المسلمين.

¹ سورة الرخه، ٣١

الفصل الثاني: الفكر الاقتصادي

لعل من أهم القضايا التي تصدى لها الشيخ في حياته، قضية الفكر الاقتصادي عند المسلمين، لأنها تؤثر تأثيرا بالغا على حياة المسلمين في حاضرهم، وفي مستقبلهم على السواء، تؤثر على دورهم في قيادة العالم، وتؤثر على خلافتهم لله تعالى في الأرض، بل تؤثر على وجودهم وبقائهم في الحياة.

والإسلام يحض على العمران ويجعل الإنسان خليفة لله تعالى في الأرض، ويجعل الدين لتنظيم الحياة، ويجعل القوة أساسا لحماية الدين، غير أن الفكر الاقتصادي عند المسلمين قد ابتعد عن النسق الذي دعا إليه الإسلام بعد ذهاب عزة المسلمين وضياع شوكتهم واضحى فكرا سلبيا يدعوا الى الانسحاب من الحياة، والزهد فيها، ويجعل من العمل نوعا من العبث، باعتبار أن المكتوب مكتوب والمقسوم مقسوم، وعاش الشيخ يناضل حتى نهاية حياته وهو يتصدى لهذا الفكر السلبي، ويرى هذا التأخر في جانب من الجوانب على الفكر الاقتصادي المغلوط عند المسلمين ولم يخل كتاب للشيخ الا وفيه حديث وإضافة في هذه القضية الحساسة بالنسبة لمستقبل والحفاظ على كيان هم ووجودهم.

يقول الشيخ عن الفتور الشائع في حركة الأمة الإسلامية في شئون الحياة: ما سر هذا الفتور الشائع في الأفراد والجماعات؟ ولماذا يستقبل الناس الحياة وبهم ازورار عن مواجهتها، وصدور عن مذاقها لماذا نرى الأجناس الأخرى تنطلق مع مطالع الشروق، وكأنها على أبواب رحلة ممتعة؟ فهي تدأب ولا تشعر بكلال، وتعمل وتجد من الثمر الداني ما يغيريها بالمزيد من الإنتاج.

أن هذه الجفوة بيننا وبين الحياة مخوفة العقبي، بل هي قد وقفت بنا في بداية الطريق على حين مضى الآخرون خفافها يكدحون ويجدون حتى وصلوا إلى خطوط من الرقي والإبداع تستشير الدهش..

إن أمتنا في حاجة إلى أن تجديد فن الحياة.. وقبل أن تصل إلى درجة الإجادة المنشودة، لن يصلح بها دين، ولن تصلح لها دنيا فالتاجر يخرج إلى السوق وهو حامل مستكين، والفلاح يذهب إلى حقله، وهو متثاقل مجهود، والعامل يعالج حرفته وهو ضائق منكمش والموظف يجلس إلى مكتبة وهو مهود مهزوم، والجميع لا ترتقب الدنيا منهم إنتاجا طائلا، ولا حركة جيدة أن أجهزتهم النفسية متوقفة كالساعة الفارغة.. هذا والله هو العجز الذي استعاذ رسولنا عليه الصلاة والسلام منه.¹

1- موقف الدين من العجز في شئون الحياة:

يرى الشيخ أن الدين برئ من العجز الذي أصاب المسلمين في شئون الحياة، لأن الدين الإسلامي يحض على تطوير الحياة، وامتلاك أسباب القوة، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، بتطبيق ذلك علميا فقادوا وسادوا وعطروا جو الحياة، ولكن هذا العجز يرجع إلى أسباب كثيرة من بينها الفكر الديني الصحيح ولذلك يتساءل الشيخ: هل المدين هو المسئول؟ قال لى أحد المتحذلقين: إن الدين سر هذا الجمود، وتعاليمه من وراء هذا الاسترخاء المنكور فقلت: إن الشخص الذى بدأ صباحه متثائبا متقاعسا، قد استفتح يومه كذلك، لأنه بات ليله راكعا ساجدا، محروما من المنام والراحة؟ إن هذا الشخص الخامل- يا صاحبي لا يعرف ربه فى ركعات الفريضة بله صلاة الليل، فهو بمنجاة من الوصف بان مطالب الدين هاى التى صرفته عن الدنيا..

ثم إن اتهام الدين إعننى الإسلام بأنه سبب فتور المسلمين فى الحياة، سخف يجرى على السنة أشباه المثقفين، ممن صنعهم التبشير الاستعماري فى هذه السنوات العجاف من تاريخنا.. قال لست أعنى الإسلام وحده عندما تحدثت، إن الأديان إجمالا تبغض الحياة للناس وتصددهم عن الإقبال عليها، وتوجه أمالهم

¹ الشيخ محمد الغزالي: الإسلام والطاقت المعطلة ص 708 دار الكتب الإسلامية ١٩٨٢.

إلى الدار الآخرة قلت ما احسب هذه طبيعة الأديان على العموم، واجزم بأن الإسلام برئ كل البراءة من هذه النزعة.. إن الإسلام يقيم أركان الإيمان على فهم الحياة بصدق، والتصرف فيها بعقل وأمانة، والقيام برسالتها إلى آخر رمق.. ولعل أقرب ما يصور هذه الحقيقة قول رسول الله ﷺ "إذا قامت الساعة على أحدكم وفي يده فسيلة فليغرسها" وهذا الأمر بغرس الخضر الذى يخرج منه النبات، فى تلك الأونة العvisية له دلالة حافلة.. أنه أمر بمواصلة أسباب الحياة فى الوقت الذى

ستحصد فيه الحياة وممن صدر؟ صدر من بنى يوجه البشر للآخرة، ويحث الناس على كره جحيمها، وحب نعيمها وقد يبدو هذا الأمر متناقضا حقا لو أن وظيفة الإسلام بناء الأخيرة على أنقاض هذه الحياة.. لكن الإسلام ليس كذلك أنه يجعل صلاح الآخرة نتيجة حتمية لصلاح الأولى أن القرآن الكريم أبان لنا أن البشر لم يطرقوا هذا العالم ضيوفا تحت أيديهم مفاتيح كل شئ، ليتقلبوا فى أرجائه كيف شاعوا.

أن الله تبارك وتعالى قال: (والسمااء بنيناها بأيد وأنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون)¹

يقول (وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)²

فإذا مرت الأيام ولم يفكر الأقوام، ولم يستخدموا ما سخر لهم هنا وهناك، فمن المعلوم؟ دين الله تعالى. ان الله تبارك وتعالى أبدع هذا العالم، وشحنه بالخيرات قال للإنسان: اعرف عظمتى عن طريق التأمل فى إبداعى.. وتشبع من هذه الخيرات. واحمدني على الأتى.. والزم هذه الخطة حتى لا تضل ولا تشقى. قال تعالى (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان)³. وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله)⁴ فإذا أستمع الإنسان إلى هذا النداء المبين ثم تبلد وجمد فمن المعلوم؟ دين الله تعالى!

¹ الناريات: 47، 48

² الجاثية: ١٣.

³ سورة البقرة: ٦٨.1

⁴ سورة البقرة: ١٧٢

إن الإسلام رسم خطاً مشرقاً للحياة الإنسانية على ظهر الأرض، وأي تال للقرآن يعلم أن الله تعالى استنار أعرق ما فى الإنسان من خصائص، وطلب إليه أن يديم الخطو بين فجاج الأرضى وآفاق السماء وهو مفتوح العين، ذكى النظرة مرهف الحس، وأن يكون ملكاً بين شتى الكائنات التى يسرت له، ومكن منها.. فإذا ارتكس ابن آدم بعد هذا البلاغ، وتعثرت خطواته، واستبدت بمسالكه أوهام غيبية، فليتعلل بما شاء من معاذير. ولكن لا معنى للكذب على الدين.. فالدين يذكر الناس بالموت لا ليكفوا عن السعى أو يتوقفوا عن الحركة، بل ليكون سعيهم راشداً، إن العمل للحياتين.. الدنيا والأخيرة قد وصل الإسلام أطرافه.. وربط بعضة ببعض، فإذا رأيت طاقات معطلة وأعمالاً مهملة، وواجبات مهذرة فثق أن الذى ضاع من دين الله لا يقل عن الذى ضاع من دنيا الناس، وثق أن الانهيار النفسى الذى جر هذا الضياع قد أصاب الإيمان والخلق بمثل ما أصاب الحضارة والعمران. ولكننا نتدبر القرآن كله، فلا نجد دعوة أحر من دعوته إلى الإيمان والإحسان والإصلاح.. ونتدبر سيرة رسوله، فلا نجد رجولة تدانيها فى الكفاح والدأب، والمصابرة إلى آخر رمق.. ونتدبر الأمة التى ظهر فيها هذا الدين، فنجد أمة انطلقت بغتة بعد وقوف طويل، وبرزت بعد خفاء مهين.. ولم يكن الوقود الذى أشعل حركتها و لم يكن الذى أشعل حركتها. إلا هذا الدين نعم هذا الدين فعن طريقه أبصرت النور وأنشأت المدنيات.

٢- العوامل التى أفسدت الفكر الأقتصادي عند المسلمين:

- يرى الشيخ أن من العقبات التى تعرض طريق التطور العمرانى فى العالم الإسلامى الفكر الصوفى الذى يدعو إلى التجرد والانسلاح من الحياة، ويقول: "جئت فرق التصوف عن أغلب الميادين الجادة، ولم تبق منهم إلا فلول توشك أن تتقرض على أن اختفاء المتصوفين من أنحاء الحياة العامة لا يعنى البتة استخفاء المبادئ التى خلفوها، وغرسوها فى دماء الاجبال الأولى، وخلطوا بها أهم وجوه النشاط الدينى إن هذه المبادئ لا تزال باقية فى مظانها من كتاب الأقدمين..

لو أن التصوف اقتصر على شرح الجانب العاطفى فتى الإسلام والتزم فى شروحه الحدود المعروفة فى كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لأفاد كثيراً.. بيد أن التصوف دخل فى موضوعات غيبية لا علاقة له بها.. وتعلق بأفكار أجنبية ينكرها الإسلام.. واشتط فى أحكامه على الأمور فنزل

عن الصراط المستقيم.. وصلة المسلم بالحياة من الموضوعات التي أصدر
التصوف فيها فتاوى خاطئة.. ماذا فعل المتصوفة؟ لهو الناس عن حب الدنيا
والفتنة بها، وما زالوا

يحصون مثالها ويقبحون الاتجاه إليها حتى أصبحت أيدي الناس صفرا منها
فعانوا الام الجوع بعدما كانوا يعانون متاعب البطنة.. فأى طبيب ذلك الذى لا
يحسن إلا نقل المريض من علة إلى علة أخرى قد تكون شرا منها
وأذكي.. وتراث الصوفية حافل بهذا التراث المسموم.. لا يصح الإيمان عندهم
إلا بنبذ الحياة ولا تخلص الآخرة إلا بهجر الدنيا.. إن الخباز الأحق، قد يدخل
الأرغفة الطرية فى الفرن ليقدها، فإذا هو يحرقها.. كان الفلح الخفيف كافيا
لإنضاجها ولكنه تركها للنار حتى أتت عليها.. والمتصوفة أفلحوا فى تكوين
أجيال محترقة من زمان بعيد. سلطوا عليها من اللهب باسم إنضاجها ما جعلها
ترابا لا خير فيه وهم يتصورون أنها بلغت درجة الكمال.. لقد استطاعوا فيما
رسموه لأنفسهم والناس من طرق أن يحدثوا تلفاً حقيقياً فى أجهزة الطبيعة
الإنسانية.. ذلك أن صله المرء بالدنيا لاصقة بفطرتة.. واهتمامه بشئون الحياة
الدنيا واهتمامه بشئون الحياة الدنيا يجرى الهواجس فى نفسه تياراً متقطعاً،
ولكنه دائم.. ولذلك قلماً يفلت أحد منها.. والشارع الحكيم لم يتصور - ولم يطلب -
خلو النفوس من هذه الهواجس، حتى فى أثناء الصلاة.. أما الصوفية فقد طلبوا
ذلك وبينوا الوسيلة، إليه.. قالوا: مادامت شجرة الدنيا باسقة فى القلب فلن تفتأ
الهواجس والخواطر تهجم على الإنسان، وتعكر عليه مناجاته لربه، وتجعل
صلاته مشوشة، والطريقة المثلى لخلوص القلب قطع هذه الشجرة من
الفؤاد، ومن ثم تطرد هموم الحياة من تلقاء نفسها، إذا لم تجد مكانا تحوم فيه..
وهذا الكلام ينطوي على خطأ كبير، وأن بدت مشاعر الإخلاص الحار.. و أول
آثاره - فى وعى مسلم يقف خمس مرات فى اليوم أن علاقته بالدنيا سوف
تضعف جدا، بل سوف تنقطع يقينا.

إن كراهية العالم الذى نحيا فيه للظفر بمحبة الله تعالى، طريقة فى الدنيا لم يقل
بها نبي.. ولم تجى فيها شريعة. والمنتبع لأسلوب القرآن فى بناء الإيمان ن
وتكوين الأمم، يستيقن أن مدارس الكون.. ومعالجة الحياة، هما النهج الأوح
لاقامة الدين، الحق وأقامه الدنيا الحارسة له. أن التصوف ضل الطريق، وظلم
الدنيا بهذا المسلك، وأن الأمة الإسلامية هانت فى العالم وهان معها كتابها
وهذا لما سارت فى تلك السبيل.. لو أن المسلم كرس عمره لاستكشاف
المجهولات من قوى الكون.. لكان تأمله تسبيحا، وانكباه على عمله اعتكافاً..
فهذا لون من الجهاد فى سبيل الله تعالى. والواقع أن النفس الإنسانية فى ظل

التدين المعلول تعجز عن القيام بوظيفتها فى الحياة، بينما تستطيع بهذه الوظيفة نفس ليس لها من طباع وأفكار.. أى أن التدين الفاسد عطل أجهزتها الفطرية.. أما الإلحاد فقد أبقي هذه الأجهزة تتحرك، وإن طاشت حركتها حيناً، وأخطأت غايتها حيناً آخر.. وهذا هو التعليل لتخلف المسلمين فى القرنين الأخيرين على حين تقدم غيرها، واستبد دونهم بتصريف الأمور وفرض ما يشاء¹.

وتحت عنوان الكفر بالإنسان يقول الشيخ: ويقع الكفر بالحياة من قبل الصوفية- وجهل وظيفة المرء فيها. الكفر بالإنسان نفسه وبخس قيمته، وتشويه حقيقته.. فإن المتدين المنحرف يسئ تصور الملكات والشهوات الإنسانية وينظر إليها نظرة ازدراء.. وقد ينحصر تقويمه للإنسان: فى أنه تخلق من نقطة قدرة وينتهى إلى جيفة مذرة، وهو بينهما حامل بول وعذرة.. وصحيح أن الناحية الحيوانية فى الإنسان لا تخرج عن هذا النطاق، ولكن الإنسان ليس حيواناً فقط، فأن الله تعالى- ينفخ الروح فيه- أنشأه خلقاً آخر. خلقاً مكرماً بما أودع فى بنائه المعنوي من خصائص وأسرار.. خلقاً إذا ما بلغ نماءه الصحيح فاق الملائكة وحلق فى الملاء الأعلى.. والإنسان بلا ريب محتاج للحساب الدائم والرقابة الدقيقة، ولفتة إلى عيوب، كى يتركها خير لا شك فيه.. إلا أن الأمر انقلب- مع المربين الأغرار- إلى الضد.. فعندما حاولوا قتل الغرور فى الإنسان، بلغوا فى الجور حدا جعله يفقد الثقة بما عنده.. فذهب الكبر، ثم ذهب أيضاً عزة النفس ثم ذهبت كذلك الشخصية الحرة المستقلة.. والعبارة الشائعة فى كتب التصوف أن المرید بین یدى سيخه، كالبيت ببرى یدى غاسله وهم يعنون بذلك الطاعة المطلقة.. الا أن هذه الطاعة الغربية محقت الإدارة الحرة والتفكير الحر معا.

وعن أثر علماء الكلام على تعطيل قدرات الإنسان الإنتاجية يقول الشيخ: ولقد منى التفكير الإسلامى بنكسة خطيرة عندما انقلبت مباحثه رأساً على عقب فأصبح تفكيراً سلبياً، بالنسبة لمادة الكون إيجابياً بالنسبة لذات الله تعالى.. ما هذا الارتكاس المستعرب ومن أين تجد له إسناداً فى ديننا؟ وماذا أفادنا منه إلا الدمار العقلى والروحي والانهيال الإنسانى والعمرانى؟

أستطيع أن أقول بمنطق المفكر المسلم الأصيل: إن الرجل الإنجليزى الذى اكتشف قوة البخار، الذى ترك عقله يسرح وراء غليان الماء وضغط مادته المتحولة من سائل إلى غاز.. هذا المفكر كان اقرب إلى فطرة الإسلام من علماء الإسلام الذين تساءلوا هل صفات الله عين ذاته أم غير عين ذاته أم هى لا عين ولا غير؟ وعقدوا لذلك مبحثاً قسمهم فرقا، وخرج منه جمهورهم مخبولاً لا معقولاً..

¹ المرجع السابق ص ١٩ و ما بعدها

إن المجال الطبيعي لملكات الإنسان العليا هي البحث في هذا الكون.. ومن نتائج هذا البحث يتكون الإيمان بالله تعالى وتشرب الأفئدة طرفاً من عظمتة.. وكل ميدان أفسح للمجالات الغيبية كان تبديداً آثماً لطاقتنا العقلية.. وكل عائق اصطنع لمنع العقل الإنساني من التجوال في الأفاق والاستئناس بمجالى القدرة العليا في السماء والأرض فهو عائق افتعله الجهل أو الضلال، والإسلام يرى منه.

وعن كره المصريين للحركة- ومثلهم العرب بالطبع- يقول الشيخ ونحن في مصر. ننظر إلى طوائف السائحين والسائحات، الوافدين إلى بلادنا نظرة دهشة، ونظن أمرهم بدعا في خلق الله تعالى.. ذلك لأن المصريين مرضى بالإخلاق إلى أرضهم والوقوع في دورهم.. وما أشد جزع أحدهم لو أكرهته ضرورات العيش على النقلة من مسقط رأسه.. أنه يلعن الحدثان ويشكو الأزمان.. والإسلام ضد هذا الخلق الواهن.. فهو يستحب أن يموت الإنسان بعيداً عن وطنه¹، نازحاً عن داره.. إن الرجال حين تطرحهم النوى في الأقطار القصية، فأنما ذلك دليل علو همته وقوة عزيمتهم.

وعن الدين الإسلامى والمسلمين يقول الشيخ: الدين قوة هادئة في قيادة البشر، ولكن ما قيمة الآلة البخارية- مقدمة القطار بخارية أو غيرها في قطار يضم سبعين عربية، إذا كانت هذه العربات كلها قد احترقت وتلاشت؟ ماذا تقود بعدئذ؟ وماذا يصنع الدين إذا كان موضوع عمله وهو الإنسان قد ذاب واستخفى.. إني أنظر إلى الناس حولى فجد الدين يأوى في نفوسهم إلى خرائب لا بشرية لا إلى خلائق سبوية.. وأبحث عن الإنسان ينزل اليقين في قلبه، ويتجه الخطاب الإلهي إلى عقله، فأجد هذا الإنسان قد برحت علل جسيمة به، وتركتة حطاماً.. ومصادر هذا الشر الجائع كثيرة، ولكن التدين الفاسد أبرزها وأعمها، لأنه يحاول باسم الله تعالى الحيلولة بين الإنسان وفطرته، ويصادر باسم الإخلاص والتقوى خصائص طبيعته..

إن الدين إذا لم يسر في النفوس كما تسرى الكهرباء في الأسلاك فتضى بسريرانها مصابيح، وتتحرك الات، يصبح وهما أو زعماً لا تغنى فيهما العناوين والشارات² وعن استبداد بعض الحكام في التاريخ الإسلامى وتأثيره على التنمية والإنتاج يقول الشيخ:

الحكم الذى ساد بلاد الاسلام من بضعة قرون كان طرازا منكرا من الاستبداد والفوضى.. انكمشت فيه الحريات الطبيعية، وخارت القوى المادية والأدبية، وسيطر على موازين الحياة العامة نفر من الجبابة أمكنتهم الأيام العجاف أن

¹ وقد مات الشيخ نفسه بعيداً عن وطنه وهو يدعو إلى الله في المملكة العربية السعودية قال فصدق

² المرجع السابق ص ٢٨ وما بعدها بتلخيص وتصرف.

يقبلوا الأمور رأسا على عقب، وأن ينشروا الفرع فى القلوب، والقصر فى
الأمال، والوهن فى العزائم.

والحكم الاستبدادى تهديم للدين وتحريب للدنيا، فهو بلاء يصيب الإيمان
والعمران جميعا.. وهو دخان مشئوم الظل، تختنق الأرواح والأجسام فى نطاقه
حيث امتد.. فلا سوق الفضائل والآداب تنشط، ولا سوق الزراعة والصناعة
تروج.. إن المستبدين ينبتون فى مناصبهم نباتا شيطانيا لا توضع له بذور ولا
تحف به رغبة..

ومن هنا تطرق الخلل إلى شئون الأمة كلها، ف وقعت فى براثن الاستعمار
الأخير، لأن بعض الخلفاء والملوك والرؤساء كانوا فى واقع أمرهم حربا على
الأمة الإسلامية، أو كانوا فى أحسن أحوالهم ترابا على نارها، وقتلوا على
نورها.. فلو خلوها وشأنها لاستطاعت الدفاع عن نفسها، متخففة من أعباء
هؤلاء الحكام، ومن جنون العظمة الذى استولى عليهم.

يجب أن نعلم أن الناس يتهيئون للعمل العظيم، ويتجهون إليه بأفكار رتيبة
مستريحة، حيث يكون الشعور بالأمن مستوليا على أقطار أنفسهم.. أما حيث
تستخفى الذئاب الحاكمة وراء جدران الدواوين وتنقض متى شاءت على أقرب
فريسة لها. فهيئات هيئات أن يزدهر إنتاج، أو يستقيم سعى.. الحريات الكاملة
ضرورة لنشاط القوى الإنسانية وتفتح المواهب الرفيعة.

إن النبات يذبل فى الظل الدائم، ويموت فى الظلام، ولن تتفتح براعمه، وتتكون
أثماره إلا فى وهج الشمس.. كذلك الملكات الإنسانية لا تنشق عن مكنونها من
ذكاء اختراع، إلا فى جو من الإدارة المطلقة. والحرية الميسرة.. والشرق
الإسلامى ونقولها محزونين نكتب بمن رد نهاره الضاحى ليلا طويلا..

ويتحدث الشيخ عن تابع من توابع الاستبداد السياسى، وهو محاربة الكفايات
واضطهاد أصحاب المواهب فيقول:

ذلك أن المستبد يغلب عليه أن يكون مصابا بجنون العظمة.. وربما اعتقد أن كل
كفاية بجوار عبقريته الخارقة صفر لا تستحل تقديما و لا تقديرا.. وفى رأى أن
حظوظ الأمم من الكفايات متساوية أو متقاربة، وأن أولى النباهة والمقدرة عند
أية دولة فى الغرب، لا يزيدون كثيرا عن أمثالهم فى أى شعب شرقى.. كل ما
هنالك أن قياد الجماهير فى أوربا وأمريكا أخذ طريقة الطبيعى إلى أيدي
الأذكفاء الأكفاء.. أما فى الشرق الإسلامى مثلا فإن القياد بأسباب مفتعلة ضل
طريقه عن أصحابه الأحقاء به وسقط فى أيدي التافهين والعجزة وهذه الأسباب
المستبد يؤمن بنفسه قبل أن يؤمن بالله تعالى.. ويؤمن بمجده الخاص، قبل أن

يؤمن بمصلحة الأمة.. وتأخر الشرق الإسلامى فى القرون الأخيرة مرجعه إلى انتشار هذا الوباء..

وعن أثر الكرامات المفتعلة فى تعطيل النشاط العمراني يقول الشيخ: ومرت على المسلمين أعصار كثرت فيها هذه الكرامات المفتعلة حتى وقر فى الأذهان، أنه ليست هناك قوانين يحكم بها الكون، وأن رغبات أهل الصلاح تجتاح ما أودع الله تعالى فى العناصر من طباع، وما بث فى العالم من قوى وأنظمة وكان شيوع هذا التفكير لعنة على العلوم الطبيعية ووقفا لنمائها، بل بخسا لقيمتها.. وزاد الطين بلة أن بعض المخلصين ألحق الاعتراف بهذه الكرامات بعقائد الإسلام، فمن مارى فيها شكوا فى دينه.. وهذا كله ضرب من السخف يجب محوه وتنظيف الفكر الإسلامى منه.¹

وعن طلب الإسلام من معتقنيه تجويد علوم الدنيا وتخلف المسلمين فى ذلك يقول الشيخ: والإسلام طلب من أتباعه تجويد علوم الدنيا لأمر ثلاثة:

أولها: أن تعمير الأرض جزء من رسالة الإنسان على ظهرها، وجزء من العبادة التى خلق من أجلها، وجزء من الكدح الذى يصون به نفسه وأهله وشرفه. الثانى: أن الله تعالى لم يخلق الإنسان ليشقى، أو يجوع ويعرى، بل خلقه مكرما يحمله ما فى البر والبحر، وأحل له الطيبات، ويسر له الزينة، والجمال، بما فوقه من نجوم وبما بين يديه من زرع وضرع..

الثالث: هذا الأمر لا نسأم من تكراره، فإن الجهاد المكتوب على المؤمنين لحماية الدين، لا يمكن أن يتم ولا أن ينجح بعيدا عن التفوق المدنى والحضارى. والأمة الإسلامية كى تكون على مستوى دينيها، وكى تنجح فى المحافظة عليه، وكى تستطيع إفهامه للآخرين، لأبد أن تكون راسخة القدمين فى شئون الدنيا جميعا، بل يجب أن تكون سباقا فى شتى الميادين، مسموعة الكلمة فى آفاق العلم برا وبحرا وجوا.. ومن حق الأمم الكبرى وهى أمم تحتقر الأمية العلمية والصناعية أن تنظر إلى دعاوى المسلمين وأفكارهم وقيمهم بريبة أو بسخرية ما دام المسلمون نماذج رديئة للتخلف الإنسانى، وفى ظنى أن لهذه العلة سببين:

¹ المرجع السابق ص 55 وما بعدها بتلخيص وتصرف.

الأول: ثانوى وهو تغلب طبائع البدو- عند بعض الناس على تعاليم الإسلام¹، فإن البدو يكرهون الحرف، ويزدرون الصناعات، وينظرون إلى الفلاحين نظره نابية.. ولا ريب أن لهذه البداوة الغبية أثرا ملحوظا فى دنيا العرب إلى اليوم..

السبب الثانى: أما السبب المهم فى التخلف الحضارى فهو شيوع التدين المزيف، ووقوع الثقافة الدينية إجمالا بين طوائف من ذوى المعادن الرخيصة أو العقول المعتلة.. ويغلب على هؤلاء التأثير بالزهد الهندى أو النصرانى، والرغبة عن الدنيا وعصيان نداء الفطرة، والغرام بالمبتدعات والنزعات العقلية.

إن كل علم يطوى مسافة هذا التخلف هو من أركان الدين، وفرائض العبادات العينية والكفائية.. وهو أولى من نوافل العبادة ومسائل الخلاف التى برع فيها الفارغون، واشتغل بها المقتطعون²

وتحت عنوان الدنيا؟ الخادمة للحق دين يقول الشيخ: ما معنى إثارة الآخره على الدنيا؟ هناك إجابة تبدو للناس صحيحة، أو هى فى العرب الشائع إجابة سائر المؤمنين، يقولون: الحياة حقيرة، وينبغى أن

نمرق منها كما يمرق السهم لنصل الى مستقرنا فى جنات عدن.. وأريد أن أقف طويلا عند هذه الإجابة.. ما معنى أن أعبر الحياة دون تعريج على شئ منها؟ إن خالق هذه الحياة قال: أعرفوا أسمائى الحسنى وصفاتى العلا فى تضاعيف المكان والزمان، وفى مسيرة الحياة والأحياء.. فكيف يقول: أنا عارف بالله تعالى من هو جاهل فالحياة وأسرارها وقواها ونواميسها؟

السير فى الأرض لدراسة الحياة هو طريق الإيمان بالله تعالى ولقائه، لا بد من السباحة فى أمواج الحياة، ومعرفة تياراتها ومدىها وجزرها وشواطئها، وأسباب الغرق والنجاة.. ليست البلاهة إيمانا ولا الجهل صلاحا، إن الخبرة بالحياة والقدرة على امتلاكها وتطويعها لخدمة ربها هى الإيمان والعمل الصالح.

ما أحقر العقل الكليل والفكر القاصر، والثقافة الضحلة، أن هناك شعوبا تنتسب إلى القرآن، لا تعرف أنه كتاب حياة، ولا تستفيد من الكون، إلا ما يستفيد الضرير من أشعة الشمس، وطالما التقيت بهؤلاء فى ميدان الدعوة، فضاق بهم صدرى، وأشفقت على الدين و مستقبله من جهلهم الطامس، أوزهدهم البارد.

قلت: لأمر ما كان الشاهدين بوحداية الله تعالى هم الملائكة وأولوا العلم³

¹ أدخلت هذه الجملة الاعتراضية لتخفيف وقع كلمات الشيخ لأن الأصل: تغلب طبائع البدو على تعاليم الإسلام

² الشيخ محمد الغزال: سر تأخر العرب والمسلمين ص ١١٣ و ما بعدها ط دارالريان ١٩٨٧ م.

³ الشيخ محمد الغزالى: الق المر ٣/ ١١، ١١٩.

وعن الخط الذى يجب أن يلتزم به المسلمون يقول الشيخ:

جهننا يجب أن يتوزع على جبهتين متوازيتين: أحدهما: تقوم على تصحيح الوعى الدينى، والأخرى تنعشنا من الإغماء الطويلة التى غبنا فيها عن الدنيا، فيقينا فى موضعنا وغزا غيرنا الكواكب.¹

وعن حب الفقر وأثره على المسلمين يقول الشيخ: أن ترضية الناس بالأمر الواقع وترغيب الجماهير فى حياة الكفاف والمسكنة وحجب أبصارهم عما يجرى فى أفنية المترفين من نعمة ومتعة، وكان العمل الذى تطوع به للقيام به طوائف المتصوفين، فرغبوا الناس فى الفقر وزهد وهم فى الدنيا.. وكان هذا المسلك الطائش يجرى على هوى الطبقات الحاكمة، فما دامت الحقول تهتز بالزراعة...، ثم نكمل والأسواق تمتلئ بالحركة وأنواع الخراج، والعكوس تجبى من هنا وهناك، فلا على هؤلاء الحكام أن يزهد العامة فيما فى أيديهم. كله أو جله، بل أن ذلك أدى إلى طمأنينتهم.. ومن ثم انتشرت طرق المتصوفة، وقيل فى تاريخها، إنها كانت رد فعل لترف الحكام واتباعهم، فأقبل هؤلاء على الدين، لما أقبل أولئك على الدنيا.. أقبل العامة بقيادة المتصوفين على الطقوس والأدوار، وأقبل الحكام ومن فى حواشيهم وركابهم على الشهوات والملذات.. وهذا الخلط الصوفى الأحق، يعتبر أول صدع أصاب التفكير الإسلامى فى صميمه، بل أول تصدع أصلب كيان الأمة الإسلامية فيما بعد بالانهيار.. فأفكار الصوفية إذن لا مبادئ الإسلام هى التى حملت الجماهير أوزار الاستعمار الداخلى، ووصدات للمظالم الخطيرة، وخذلت الناس عن محاربة الفقر، وقتلت فى دمائهم الشعور، بأن الفقر كارثة يجب أن تقصى عن المجتمع ولو بدق العنق، وأن يستमितوا فى دفع بلاتنا بأي ثمن...²

والغريب أن أناسا يتخذون ما كتب فى عصور الاضمحلال نبراساً، ويظنونهم دين الله تعالى، وبذلك يضللون الأجيال فى فهم دينها.³

إن أمتنا فى الحقيقة معطوبة فى صميمها، لأنها فقدت الكثير من حسها الدقيق بالدين والدنيا معاً.. احترام الإسلام حق التملك ييسر للناس أسباب التملك ومع ذلك يجرى من ينتسب إلى العلم الدينى وهو جهول، يجب طرده من ميدان العلم والدين معاً.

¹ الشيخ محمد الغزالي: الغزو الثقافى ص 158.

² الشيخ محمد الغزالي: الإسلام المفترى عليه ص 67، 68

³ الشيخ محمد الغزالي: نظرة على واقعنا الإسلامى ص 72 ط دار ثابت 1982 ط ثانية

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه بعث بخراب الدنيا لا بعمارتها.. وما أكثر الأكاذيب التي تشاع باسم الإسلام، والتي جعلت المسلمين يعيشون في الدنيا على فضلات الأقوياء، وبذلك أصبحت أيديهم الدنيا، وفي الوقت نفسه أصبح دينهم في المرتبة الدنيا، لأنه ما ينتصر دين بغير دنيا، كيف تنصره اذا كنت فارغ اليد؟ كيف تحميه اذا كنت فقيرا لا ثروة لك؟ كيف؟¹

وعن التخلف الحضاري للأمة يقول الشيخ: وكثير من المشتغلين بالثقافة الإسلامية، يحسبون أن الإسلام بعدما قضى على الأصنام في الجزيرة العربية قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وليعش الناس حسب ما يرغبون من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، فمضى الأمر متسعا وليكن ما يكون.. وهذا الجهل الفاضح أثقل الأفكار والأقدام، وأحكم حولها القيود، فكانت العاقبة أن وثب العالم إلى الأمام بخطوات فساح، وضبط شئون الحكم والمال وفق ما يرى مصلحته، أما المسلمون فوقفوا أو تخلفوا²

الإسلام لا يحسب القعود:

عندما عرض على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن يمتلك وأن يعيش على فضل أخيه، كان جواب عبد الرحمن دلونى على السوق.. وبهذا الخلق استطاع المهاجرون أن يزاحموا الاقتصاد اليهودى فى المدينة المنورة، وأن يجعلوا المال إسلاميا، وهذا شئ له خطورته فى كسب النصر للدين نفسه.. ولذلك كان الإسلام شديد الحرص على أن ينطلق المؤمنون فى المشارق والمغرب يكسبون رزقهم، ويطلبون فضل الله تعالى فى فجاهه المبعثرة هنا وهناك أو المخبوءة تحت طباق الثرى³

وعن تحديد المسؤولية يقول الشيخ: وجهلة القصاص والوعاظ يحملون تبعة تضليل الأجيال المتأخرة فى بلاد الإسلام، وصرفها عن الانتفاع بالدنيا، وعن دعم الإسلام بها، بسبب تحريفهم الكلم عن مواضعه.. أن شئون الدنيا وجميع الأعمال العادية تتسلخ من عنوانها، وحقيقتها وتتحول إلى شى آخر بين يدي الإنسان الراقى، الإنسان الذى يضىف عليها روحا من مثله العليا، وغاياته النبيلة، أنها تتحول إلى دين بعد ما نفت فيها الإنسان المؤمن من فيض إيمانه، وجهها إلى الله تعالى بحسن إخلاصه.

¹ المرجع السابق ص ١٩

² الشيخ محمد الغزالى: الطريق من هنا: ٨ طر دار البشير ١٩٨٧.

³ الشيخ محمد الغزال: خطاب وى شئون الدينى و الحياة ص ١٢٧ ط دارالاعتصام ١٩٨٨ م.

ما يظن الناس في الزراعة؟ يظنونها عملا عمرانيا بحتا، ولكن الإسلام يرتفع إلى مرتبة أسمى، ما دام الغرس والحصاد يكفلان مصالح العباد، ويضمنان شبع العانى والمحتاج.. أن فلاحه الأرض والحالة هذه- إيمان وجهاد، وصلاة وزكاة، وقد جهل بعض الناس هذا المعنى، واستنكر لقصوره أن يشتغل كبار الرجال بالزراعة.

فقد روى أحمد بن حنبل عن أبي الدرداء أن رجلا مر به وهو يغرس غرسا بدمشق، فقال له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله، قال: لا تعجل على سمعت رسول الله يقول: من غرس غرسا يأكل منه آدمى ولا خلق من خلق الله إلا كان له به صدقة..

وقد تكون الزراعة نافلة في بعض الظروف، ولكن إذا ارتبطت بها أقوات الجماهير، ومصير الجيش، فهي فريضة من الفرائض يعتبر التقصير فيها.. خيانة لله ورسوله.¹

وعن تقييم الإنسان بعمله يقول الشيخ: إن الإسلام يرتفع بموضوع الإنسان الفرد في الحياة العامة ماديا وأديبا ويأبى أن توجد طائفة بل أمة من الناس تعيش في مستوى منحط من الفاقة والحرمان ويبين أن تفاوت الناس في اقتسام معاشتهم، يخضع قلة وكثرة.. في نظر الإسلام، لقيم الأعمال التي يؤدونها.²

وعن دور المال في الحياة يقول الشيخ: ومعنى إيجاد المال وتحسينه، إيجاد منابعه وتفجيرها، وهل منابع المال إلا الضرب في الأرض، واستغلال ظاهرها، واستخراج باطنها، واستثارة البر والبحر ليجودا بخيرات الله تعالى المودعة فيهما.. والحق أن المال سلاح رهيب، والسلاح لا يحمد أو يعاب الذات، أنه وسيلة إلى الجنة أو إلى النار، بطريقة استخدامه.. وقد نظر بعض الجهال إلى المال في أيدي الأشرار وكرهوه لأنهم يستعينون به على الفجور والفساد، ثم شرعوا ينظمون قصائد طويلة في هجاء المال، وحسن التخلي عنه، حتى توهم العوام أن المال شر في كل يد، وأن البعد عنه غنيمة ومعنى البعد عنه البعد عن مصادر كسبه، وأسباب اقتنائها، وشاع هذا الفكر الغوغائى بين الجماهير، فإذا المسلمون من بضعه قرون لا يحسنون استخراج معدن من الأرض، ولا إجاد صناعة من صناعات السلام أو الحرب وإذا هم يحسبون الصعلة تقوى، والافتقار في الدنيا هو الاغتناء في الآخرة، ونشأ عن هذه الجهالات السائدة في

¹ الشيخ محمد الغزالي: كيفي نفهم الاسلام ص ٨، ٩ طر دارالدعية ١٩٩١ م.

² الشيخ محمد الغزالي: الإسلام والمفاهيم الاشتراكية ص 44 دار الكتاب العربى بدون.

مصادر الثقافة الدينية انهيار شامل للعالم الإسلامي، لأن مواهبه الدينية والمدنية تبدلت وفسدت..

أن العقل الإسلامي تحيط به غشاوات سميكة، ولا بد من تمزيق الغشاوات أن أردنا الحياة، ولا بد من مطاردة الغوغاء الذين فرضوا أنفسهم على الثقافة الدينية، وهم لا يصلحون لا لدنيا ولا لدين.¹

وعن هزيمة الأمة الاقتصادية والمعنوية بسبب أخطاء في التوجيه يقول الشيخ: إن الإسلام لا يهزم أبداً في ميدان متكافئ، وإنما تنزل به الكوارث في ميدان ذل فيه دعائه، واستبعد هدايته، وتولى وعى الشعوب فارغو القلوب والعقول... وثم أمر آخر هو استغلال الأوضاع الاقتصادية، لاستمالة الفقراء وفتنة المترفين.. في بقاع كثيرة من دار الإسلام وجد البائسون اليائسون، ووجد الأغنياء المستعلون.. وقد استغل التنصير هذا التفاوت لمصلحته.²

هنا يربط الشيخ بين سوء التوجيه وتردى الحالة الاقتصادية، ومساعدة ذلك في تنصير بعض بعض المسلمين، وعن سيطرة الفكر السلبي على الإنسان يقول الشيخ: فسلبوا الإنسان الإرادة الجزئية، ودفعوا البشرية- المسلمين- إلى الاستسلام والعطل في هذه الدنيا.³

وعن العبادة والعمل يقول الشيخ: وعندما ننظر إلى العبادات السماوية نجد أداءها في اليوم والليلة لا تستغرق نصف ساعة، ونجد تعاليمها تستغرق صفحة أو صفحتين، ويبقى الزمان بعد ذلك واسعاً

والمجال رحباً لفهم الحياة، واكتشاف طاقاتها، وتسخيرها كلا وجزءاً لخدمة الدين.. وكل جهد يبذل في ذلك يسمى شرعاً عملاً صالحاً، وجهاداً مبروراً، وضميمة إلى الإيمان، توهل المرء لرضوان الله تعالى قال تعالى (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه، وإنا له كاتبون)⁴ ومن المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة، إذا كان أصحابه جهالاً بالدنيا، عجزاً في الدنيا، والصالحات المطلوبة في هذه الآية وغيرها- تصنعها فأس الفلاح، وابرة الخياط، وقلم الكاتب، ومشترط الطبيب، وقارورة الصيدلي، ويصنعها الغواص في بحره، والطيار في جوه، والباحث في معمله، والمحاسب في دفتره ويصنعها المعلم صاحب الرسالة، وهو يباشر كل شئ، ويجعل منه أداة لنصرة ربه،

¹ الشيخ محمد الغزالي: مائة سؤال عن الاسلام ١٩٠/١، ١٩١ ط دار ثابت ١٩٨٣ ط ثانية.

² الشيخ محمد الغزالي: صيحة تحذير من دعاه التنصير ص ١١ ط دار الصحو ١٩٩١ م.

³ الشيخ محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ص ١٠٩ ط: دار الكتب الاسلامية ١٩٨٨

⁴ سورة الانبياء: ٩٤

واعلاء كلمته... وأنه لفشل دفعنا ثمنه باهظا عندما خبنا فى ميادين الحياة، وحسبنا أن مثوبة الله تعالى فى كلمات تقال ومظاهر تقام.. إن هناك سبعين صناعة مدنية وعسكرية تتعلق بالنفط واستخراجه والانتفاع بمشتقاته، لا نعرف منها شيئا، فهل تخدم عقيدة التوحيد وما يتبنى عليها بهذا العجز المبين..؟.. إن الله تعالى لا يقبل تدينا يشينه هذا الشلل المستعرب، ولا أدرى كيف نزرع الإيمان والجهاد، ونحن نعانى من هذه الطفولة التى تجعل غيرنا يطمعنا ويداوينا؟ ويمدنا بالسلاح إذا شاء، ولقد راقبت كثيرا من الشباب الذين يستحبون خدمة دينهم، وأفز عنى أن الموروث يهيمن عليهم، أنهم لا يحسبون عرق الجبين فى البحث عن البترول أو تلوث الجبهة وراء آلة دوارة، لا يحسبون ذلك جهادا، أن الجهاد فى وهمهم تلاوات، وتكرار ما تيسر من ذلك ما دام فى الوقت متسع.. وقد رأيت صيدليا مشغولا ببحث قضية صلاة تحية المسجد فى أثناء خطبة الجمعة، ومهتما بتزجيح مذهب على مذهب، فقلت له: لماذا لا تنصر الإسلام فى ميدانك، وتدع هذا الموضوع لأهله؟¹

يقول الشيخ: وبهذا التعريف الجديد للثقوى أصبح المؤمنون فرسانا لا رهبانا، ورفض الإسلام الترهيب الذى يدع الإثم يسير من غير نكير، وأصبح الإقبال على الحياة ومعالجة كروبها وهمومها لإثبات معروف ومحو منكر، جهادا مبرور الغدو والرواح.. وما قيمة عبادة تجعل صاحبها محايدا، أو مشلول اليد، فى حرب بين الكفر والإيمان لا ندرى نتائجها.. ومضت السنة المروية عن صاحب الرسالة العظمى تصور الحسنات التى تسجل للمجاهدين، وتذكر الأضعاف التى تتضاف إليهم من حيث لا يحتسبون حتى عدت فى موازين أعمالهم أدوات الخيل التى يمتطونها وهو يجربون الميادين إحقاقا للحق وإبطالا للباطل، إن هذه الأدوات أذكى من الحرير الذى يخب فيه القاعدون.²

وعن بعض موانع التقدم الحضارى فى بلاد المسلمين يقول الشيخ: لكلمة "نحن أمة أمية" تسرى كالخمر فى أبدان السكارى- دون فهم

لمعناها الحقيقى مما جعل المسلمين يتسولون لمعرفة من السنة أخرى، وأمم أخرى، لأن مصادرها فى العربية وبين العرب أدركها الجفاف.

والنشر إلى فروق بين العلم الدينى، والعلم المدنى، الاول محدد أساسه الأتباع، والآخر مطلق أساسه الاختراع والأبتداع، فالصلاة مثلا والطهارة اللازمة لها، لا يتطلب تعليمها إلا ساعة من نهار، وعلى المسلم بعد هذه المعرفة تكرار ما

¹ الشيخ محمد الغزالى: مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ص 16، 17 ط دار البشير ١٩٨٩ م.

² الشيخ محمد الغزالى: من معالم الحق وى كفاحنا الاسلامى الحديث ص. ٩٩ و ما بعدها ١٩٩٣ ط ثانية

أمر به سائر عمره ليفيد من هذا التكرار أدب النفس وسكينة الروح.. أما علوم الدنيا فهي متجددة، وقد لاحظنا في نصف القرن الأخير أن المعارف الإنسانية زادت بما يساوى أو يفوق ما حققته الإنسانية طوال القرون الماضية.. ومن المؤسف أن المسلمين لم يسهموا في هذه الوثبة الرحبة، أعنى مسلمى القرون الأخيرة، أما آباؤهم الكبار فأياديهم على العالم لا ينكرها إلا متعصب جاحد..

إن المسلمين الأولين اخترعوا علوم المعانى والبيان والبديع، والنحو والصرف لخدمة الإعجاز البياني فى القرآن الكريم.. وخدمة هذا الكتاب تحتاج إلى جانب ذلك حاجة ماسة إلى علوم الأحياء والفيزياء والكيمياء والفلك وطبقات الأرض.. والجهالة بهذه العلوم خيانة مخزية للإسلام وكتابة الضخم،.. وهى مع كونها خيانة دينية خيانة إنسانية عامة لرسالة أبينا آدم الذى ألهم الأسماء كلها، وجعلت له الأرض ذلولا وسار فيها فى البر والبحر... لماذا يغواص غيرنا فى الماء ويسبح فى الهواء ونحن ننظر مشدوهين؟ لماذا يملك إلا لحاد الكهرباء والذرة ولا نملك نحن إلا الهروات؟ نهدد من يعترض أهواءنا..

أليس عجيبا أن تكلف أمة ببناء إيمانها على دراسة الكون، ومع ذلك تحيا محجوبة عن الكون، ونواميسه، وأسراره وقواه.. لو كانت أمتنا حين تكاسلت واستنامت تعيش على ظهر الأرض وحدها لكان وزر تخلفها على رأسها، تعاني منه فى شئون قلت أو كثرت.. لكن أمتنا فى سباق مع أمم أخرى لا تنام، أمم لا رسالة لها أولها رسالة مادية محدودة قوامها الباطل والهوى.. ومع ذلك فإن المبطلين يسابقون الريح نشاطا وعزيمة، ونحن ممثلى الحق جاثمون على الثرى، ننظر ببرود أو بلاهة إلى الآخرين، ولا نعى من رسالتنا شيئا ذا بال..

الآدمية فى كتابنا علم عجزت عنه الملائكة، وظفر به آدم وحده، فاستحق الخلافة فى الأرض، والآدمية فى حياتنا طعام وسفاد، وتحاسد وتفاخر، أى هى الحيوانية الهابطة.. أنا ما أشك فى أن هناك عطبا أو كسرا أو تلفا فى كياناتنا الفكرى والنفس جعلنا فى هذا الوضع المهين..¹

إن الشخص الذى يسير فى الحياة مسلوب الإرادة، ميت الفكر لا شئ إلا لأن قدميه تخطوان فى طريق مهدها الأقدمون، هو شخص ناه بفكره وإرادته عن الإسلام. أعيب على العرب والمسلمين بإجمال أنهم يباشرون أعمالهم بنصف وعى ونصف جد، وأن الرغبة فى الإكمال والتجويد قد تكون شهوة عند غيرهم، يندفعون إليها بشوق وحماس، أما عندنا فإن الإتيقان قد يكون واجبا عمليا من الخارج، أو تكليفا شاقا نساق إليه سوفا، وهذا الجو لا وجود فيه شئ، ولا نكسب

¹ - الشيخ محمد الغزال: تراثنا الفكرى من ميزان الشرع والعقل ص ٢٠ وما بعدها ط دار الشروق ١٩١٩ ط الثالثة.

فيه سابقا.... إنني أنظر إلى بعض الصناعات التجميعية عندنا فأدهش لأن ضم هذا إلى ذلك تتم على صورة حسنة هناك، وتم على صورة رديئة هنا، لماذا؟ قلت: إننا نعمل بنصف وعي، المهمة فائرة والعزيمة خائرة.

إن الدين يدخل النفس البشرية ليحرك المفاتيح التي تضيئها من الداخل، وليحرك الأجهزة التي تنطلق بها في دروب الحياة على بصيرة.. والذين يعيشون في غيبوبة وذهول لا تهيج فيهم إلا غرائز الحياة البهيمية، وليسوا من الله تعالى في شئ، وهم أشد كفرا ونفاقا وأجدر إلا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله¹.

وعن تشخيص حالة المسلمين الذهنية والعملية يقول الشيخ: أما مع النقائص الموجودة فمن المستحيل أن يكسب المسلمون خيرا.. إن أعطابا نفسية وعقلية أصابت كياناتهم بشلل لا تعرفه أمم أخرى، وألحقت برسالتهم مهانة كبيرة، أقول ذلك وأنا أقرأ كلمات لوزير الكهرباء المصري جاء فيها: أن قطاع الطاقة ظل يبحث منذ خمس عشرة سنة عن سر صناعة مادة معينة في العازلات الكهربائية دون جدوى، فقد رفضت الشركات الأجنبية- نحو سبع شركات- أن تعطي أسرار هذه التكنولوجيا حتى تبقى المصدر الوحيد لها، وحتى تتبعها وفق شروطها..

قال الوزير: ثم تطوع العلماء الصينيون بإخبارنا بأن المواد التي تصنع منها هذه العازلات موجودة في تربتنا- أرضنا- وأنهم سيرسلون خبراءهم ليرشدونا إليها.

قلت لنفسى: إننى أعرض الدعوة الإسلامية كلاما، وهؤلاء الصينيون يعرضون الدعوة الشيعية عملا، وخامرني حزن عميق.²

إن إساءة المسلمين إلى دينهم وأنفسهم بالغة الشدة، وقد تتابعت هذه الإساءات في الأعصار الأخيرة واتسع نطاقها، وفشت بين الخاصة والعامة جهالا غريبة أغرب بالحياة العامة، فإذا الأمة التي بقيت دهرا طليقة مرموقة ترجع القهقري، وتلاحقنا الهزائم، ويهون وجودها عليها وعلى الآخرين.³

إن أجهزة الاقتصاد القومي- عندنا- تحيا على هامش الدنيا، وليس للاقتصاد الإسلامى تفوق حضارى أو صناعى بينظمه بين الدول العشر الأولى أو الثانية، بل جمهور المسلمين ينتسبون إلى العالم الثالث، العالم المتخلف الباحث عن الحياة على استحياء أو استخذاء..

¹ الشيخ محمد الغزالي: الحق المر ص ١٠٩.

² الشيخ محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام ١/٢٦٧.

³ الشيخ محمد الغزالي: الجانب العاطفى من الإسلام ٩٢ ط دار الدعوة: ١٩٩٠ م.

ويجي آخرون.. وبعد شرح قاصر معتل يخرجون بهذه القاعدة "الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر" ولو أنهم قالوها عزاء لفرد مصاب أو عصابة من الناس منكوبة لهان الأمر، ولكنهم أطلقوها كلمة عامة حمقاء وحاكموا إليها أغنياء الصحابة فجعلوهم يدخلون الجنة زحفاً، أو بعد لأى، لماذا؟

لأن الثراء طعن في التقوى، فكيف يقوم كيان أمة على هذا العجز والتسول؟ كيف يؤخر عن الجنة من جهز جيش العسرة وأعلى راية الايمان وهد ركن الطغيان، ليقدم عليه بانس أقعده العدم¹؟

ويرى الشيخ أن الاستعمار له دور في فكر المسلمين الاقتصادي فيقول: من أخلاق الضعة التي رمانا بها الاستعمار قديماً، الشره في طلب اللذائذ والرغبة في الراحة دون عمل، ونيل المنعم القريب من غير مغرم يبذل، وقعود الهمم عن الأموال العراض، مع إدمان غريب للشهوات الدنيا، وتتبع للعورات.²

وعن خلافة الإنسان يقول الشيخ: جعل الله هذا العالم الصافح بالخيرات المشحون بالقوى بين يدي الإنسان، وتحت قدميه ليكون ملكاً فيه، وعبد الله في وقت واحد.. على أن هذا العالم لا تنشق الأرض عن خيره، ولا يهبط النعيم من سماته دون سعي من الإنسان، أو دون استثارة تجيء فيها النتائج على قدر الكفاح المبذول كلا.. فلاحصاد دون غرس، ولا وفرة في الإنتاج دون كثرة في الجهود. لقد تتبعنا ما يصرف الناس عن أداء وظيفتهم العمرانية، فوجدنا لبعضه رسوماً دينية مكدوبة- لا أصل لها في الإسلام- ووجدنا بعضه الآخر مسخاً عن الفطرة، وعجزاً شل المواهب.. كان جيل "المبكر" في أيدي الأردنيين أجرد المناكب مقفر الأرجاء فلما استولى عليه اليهود لم تمض أيام حتى شجروه.

وكانت بحيرة "الحولة" على حدود سوريا مجموعة من المستنقعات العفنة، فإذا اليهود يجهزونها للزراعة.. ومررت بأرض رفح وهي قلع أملس لا حياة فيها، فلما وصل إليها اليهود- مهدوها للحبوب والفاكهة.. يا غوثاه.. فهذه أرضنا فكيف نعيش فوقها هملاً؟ وكيف نتحول عنها ليجي من يقدرها، و يجعلها مزدهرة بالحرث والنسل؟³

وعن تجربة المسلمين السابقة في العمل العمراني، يقول الشيخ: إن نجاح الإسلام في تأسيس وطن له، وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة له، وقد تنادى المسلمون من كل مكان: هلموا إلى "يثرب" فلم تكن الهجرة تخلصاً فقط من الفتنة والاستهزاء، بل كانت تعاوناً عاماً على إقامة مجتمع

¹ الشيخ محمد الغزالي: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ١٨ ط دار الشروقى ١٩٩٧ م.

² الشيخ محمد الغزالي: كفاح الدين ص ٢٥١ مكتبة وهيبة ١٩٩١

³ الشيخ محمد الغزالي: نظرات في القرآن ص ١٤، ٦٥ ط دار الكتب الإسلامية 1985

جديد فى بلد آمن.. وأصبح فرضا على كل مسلم قادر أن يسهم فى بناء هذا الوطن الجديد، وأن يبذل جهده فى تحصينه ورفع شأنه.¹

وعن قواعد النظام الإسلامى- الذى لا يعرف السلبية- يقول الشيخ: ويتلخص نظام الاسلام الاقتصادى فى قواعد منها:

١- اعتبار المال المصالح قوام الحياة، ووجوب الحرص عليه وحسن تدبيره وتنميره.

٢- ايجاب العمل والكسب على كل قادر.

3- الكشف عن منابع الثروات الطبيعية، ووجوب الاستفادة من كل ما فى الوجود من قوى ومواد.²

أصبحت الأمة الإسلامية بقحط علمى مروع فى عصورها الأخيرة.. فالأمة التى تأسست على القراءة والمعرفة غلبت عليها الأمية.. والتى طوف بها البحث فى كل مجال.. قيدها الجمود والتقليد.³

ما الذى أوصلنا إلى هذا الدرك، إن التقدم والتأخر ليسا حظوظا عمياء.. إن هذا الكيان الإسلامى تهاوى تحت ضربات المغيرين، وأصبح بين عشية وضحاها أسيرا تدميه القيود، ويرهقه الإذلال، لقد حدث هذا وكان لأبد أن يحدث لأن المسلمين فقدوا أسباب التمكين فى الأرض، فعصفت بهم الرياح الهوج.. إن الرياح مهما اشتدت لا تنقل الجبال، ولكنها تنقل كثران الرمال.. وقد تأملت فى أحوال الناس يعملون فى الحقل الإسلامى، ويتحمسون لنصرة دينهم، ولكنهم يحملون فى دمائهم جرائم الفوضى القديمة.. والجهالة المدمرة، فأدركت أن هؤلاء يتحركون فى مواضعهم، وأنهم يوم يستطيعون نقل أقدامهم فسيتجهون للوراء لا إلى الأمام، وسيضيفون إلى هزائنا الشائنة هزائم قد تكون أخرى وأنكى⁴

أينتصر الإسلام بهذا التبدل العقلى والتماوت الأدبى؟ أم يدركه الخذلان فى كل موقعه؟ إن الواقع الأليم يتكلم.. كم يغيظنى أن يكلف الأنبياء بصناعات الحديد، وأن يطالبوا بتجويد آلات الحرب وإتقانها، وأن يتعلم الصالحون الرمى وإصابة

¹ الشيخ محمد الغزالى: فقه السيرة ص ١٦٢ ط دارالريان ١٩٨٧ م.

² الشيخ محمد الغزالى: الاستعمار أحقاد وأطماع ص ٢٦٤.

³ الشيخ محمد الغزالى: معركة المصحف 177 دار الكتب الحديثة 1971.

⁴ الشيخ محمد الغزالى: هموم داعية ص ١:٢، ٣:١ ط دارالاعتصام ١٩٨٣.

الهدف وأن يكونوا خبراء ببناء الحصون وتشبيد الاستحكامات العسكرية.. بينما صالحونا لا يدرون عن ذلك¹

وهكذا ننهي هذه الفقرات المتتالية التي توضح وتكون منهاج الشيخ في تصوير الفكر الاقتصادي عند المسلمين، وقد أحاط الشيخ بهذا الأمر إحاطة تامة، وشخص الداء ووصف الدواء، وجاءت كلماته لفرط عمقها العملي واتساع نطاقها المادي- تحرر العقل الاسلامي، و تمسح عنه ما علق به مع الوقت، من صروف الحياة التي تتمثل في السلبية الداخلية والعدوان الخارجى على البلاد الإسلامية.

متابعة

كانت قضية الفكر الاقتصادي عند المسلمين من القضايا الهامة التي ركز عليها الشيخ وهي- بحق- قضية خاصة به، ومميزة لدعوته ولمنهاجه في هذه الدعوة، فالقضايا الأخرى تناول بعضها بعض الدعاة ولكن الشيخ تميز فيها- من خلال الأبعاد الأربعة- تميزا جعله إمام الدعاة في العصر الحديث. ولكن هذه القضية تعتبر قضية الغزالي بحق وتظهر عمق فكر الشيخ وشمولية الدعوة في أن واحد، وقد تناولها. كعاداته من زوايا عديدة ومن أوجه مختلفة، حتى ليجد فيها القارى تشخيص الداء، ووصف الدواء في الوقت نفسه، ثم يضع القارى يده بعد مطالعة هذه القضية -على أزمة المسلمين وتخلفهم الحضارى، وإمكان العودة إلى الأيام الأولى، أيام الذين فقهوا الإسلام، وغاياته المحلية والعالمية. وسوف نورد عرض المتابعة على هذه القضية كما يلي:

1 - نظرة الصوفية للحياة وأثرها على حضارة المسلمين:

بدأ الشيخ بالموالجة دون تردد، ولم يخش إلا الله تعالى وقال بصوت مال وواضح: أن الصوفية بأفكارها السلبية سبب من أسباب تخلف المسلمين الحضارية، وبين أنهم لم يقصدوا إلى ذلك، وكانت دعوتهم تتصلب على علاج بعض مظاهر السرف والانشغال بالحياة الدنيا عن الآخرة، ولكنهم أسرفوا في تكديس جرات العلاج حتى قضاوا على المريض تماما، وهم يظنون أنهم عالجه، ولما سكنت روحه فرحوا بذلك واعتبروا هذا ذروة العلاج، ونجاح المنهاج.

والصوفية لا يتبرون من مسلكهم هذا في دعوة الناس، بل هو مبسوط في كتبهم، ومحور أفكارهم، وقوام أمرهم.

¹ الشيخ محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقرآن الكريم ص ٦٨ ط: دار الصحو ١٩٨٩ م.

يقول الطوسي: ويقال إن من سمى باسم الزاهد في الدنيا فقد سمى بألف أسم محمود، ومن سمى باسم الرغبة المسلم في الدنيا فقد سمى بألف اسم مذموم يرى الطوسي في هذا النص أن رغبة المسلم في الدنيا وأن كانت لتطویرها وجعلها سياجا وحصنا للدين، فهي تجعل من يرغب يسمى بألف اسم مذموم.

ويقسم الطوسي الزهاد إلى ثلاث طبقات:

الأولى: المبتدئون: وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم.

كما سئل الجنيد رحمه الله تعالى عن الزهد فقال: تحلى الأيدي من الأملاك، وتحلى القلوب من الطمع.

وسئل سري السقطي من الزاهد فقال أن يخلو قلبه مما خلت منه يداه وقال رويم بن أحمد عن الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا، فهذا زهد المحققين، لأن في الزهد في الدنيا حظا للنفس لما في الزهد من الراحة والعجدة، واتخاذ الجاه عند الناس فمن زهد بقلبه في هذه الحظوظ فهو متحقق في زهده. وقد عملوا وتيقنوا: أن لو كانت الدنيا كلها لهم ملكا حلالا، ولا يحاسبون عليها في الآخرة، ولا ينقض ذلك مما لهم عند الله شيئا ثم زهدوا فيها لله عز وجل، لكان زهدهم في شئ منذ خلقها الله تعالى ما نظر إليها وكانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضه ما سقى الكافر فيها شربة ماء، فعند ذلك زهدوا في زهدهم وتابوا من زهدهم.

و قال يحيى بن معاذ: الدنيا كالعروس، ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها، وينتف شعرها، ويخرق ثوبها، والعارف مشغل بالله تعالى لا يلتفت إليها. وعن الفقر يقول الطوسي قال الشيخ رحمه الله تعالى: الفقر مقام شريف وقد وصف الله تعالى الفقراء ووصفهم في كتابه للفقراء الذين الحصرُوا في سبيل الله¹

وقال إبراهيم بن أحمد الخواص: الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزين المؤمنين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين،

¹ الآية 174 من سورة البقرة والآية لا تعي بزعم الناس في الفقر ما هي تصف واقعا يجب تغييره داخل مجمع المسلمين الاستفادة بنا من باب لروم مالايلوم

وحصن المطيعين، وسجن المذنبين ومكفر للسيئات، ومعظم للحسنات، ورافع الدرجات، ومبلغ الى الغايات ورضا الجبار، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار والفقر هو شعار الصالحين ودأب المتقين.

والفقراء ثلاث طبقات:

منهم من لا يملك شيئاً، ولا يطلب بظاهرة ولا بباطنه من أحد شيئاً، ولا ينتظر من أحد شيئاً، وأن أعطى شيئاً لم يأخذه فهذا مقام المقربين.

وقال سهل الأصبهاني: حرام على كل من يسمى أصحابنا الفقراء لأنهم أغنى خلق الله تعالى، يقصد غنى النفس.

وقال أبو علي الروزباري: سألتني أبو بكر الزقاق فقال: يا أبا علي: لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة؟ فقلت لأنهم مستعينون بالمعطى على العطاء، فقال: نعم، ولكن وقع لى شئ آخر، فقلت: هات أفدنى ما وقع لك، فقال: لأنهم قوم لا ينفعهم الوجود. إذ الله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة، إذ الله وجودهم.

ويقول أبو بكر الطوسي: كنت مدة طويلة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجينى أحد بجواب يقنعنى، حتى سألت نصر الدين الحمamy، فقال لى: لانه منزلة من منازل التوحيد، فقنعت بذلك.

ومنهم: من لا يملك شيئاً، ولا يسأل أحداً، ولا يطلب، ولا يعوض وأن أعطى شيئاً من غير مسألة أخذ..

وقال الجنيد: الفقير الصادق، لا يسأل، ولا يعارض، وأن عورض سكت.

وقال سهل بن عبد الله: الفقير الصادق لا يسأل ولا يرد، ولا يجبر

وقال إبراهيم الخواص: علاقة الفقير الصادق ترك الشكوى، واخفاو أثر البلوى، وهذا مقام الصديقين...

وقال رويم: الفقير، عدم كل موجود، ويكون دخوله فى الأشياء لغيره لا له، وهذا مقام الصديقين فى الفقر.

وقال الحريرى: الفقير لا يطلب المعدوم حتى يفقد الموجود¹

فى هذا النص يتحول الزهد والفقر إلى عقيدة وطريق وحيد لمعرفة الله تعالى، وهذا منافع للحقيقة كما سنبين فيما بعد، وسوف نعدد المزايا التى أطلقت على الزهد والفقر فى هذا النص.

¹ السراج الطوسى: اللمع ص 71 وما بعدها ط دار الكتب الحديثة 1960م.

- حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد فى الدنيا رأس كل خير وطاعة.
- تخلق الأيدى من الأملاك، وتحلى القلوب من الطمع.
- الزهد يقتضى معانقة الفقر واختياره.
- الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزين المؤمنين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين، وحصن المطيعين، وسجن المذنبين، ومكفر للسيئات، ومعظم للحسنات، ورافع للدرجات، ومبلغ إلى الغايات، ورضا الجيار، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار، والفقر هو شعار الصالحين، ودأب المتقين.
- مقام المقربين. وأول منزلة من منازل التوحيد.
- مقام الصديقين.
- هذا الاحتفاء بالفقر، يجعله هدفا ساميا يجب أن تصل الأمة إليه، وقد وصلت. هذه الأفكار كفيلة بقتل كل طموح وتنمية ليس عند الأمة الإسلامية فحسب، بل عند جميع الأمم فى الأرض، ولولا ذبوع هذه الأفكار فى المجتمع الإسلامى لظلت هذه الأمة قائدة، ورائدة كما بدأت.
- والشيخ فى مواجهته للفكر الصوفى السلبى لم يكن قاسيا بالقدر الكافى لأنهم جعلوا من الفقر عقيدة وشرعية، ومنهاج حياة.
- فكتاب اللمع¹ من المراجع الأساسية فى علم التصوف ومعظم مراجع التصوف لا تخلو من هذه الأفكار، وتدعو إليها بإصرار.
- ويمكن بطلان دعوى الصوفية فى اختيار الفقر طريقا للوصول إلى رضا الله تعالى بما يلى:
- (أ) لو كان الفقر شعار الصالحين، ولباس المرسلين، لكان طلب الغنى نقصا فى حق نبي الله تعالى سليمان، قال تعالى(وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ أن هذا لهو الفضل المبين)²
- وقال تعالى(قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى أنك أنت الوهاب).³

¹ أنظر أيضا فى ذلك الرسالة القشيرية

² سورة النمل: 11.

³ سورة ص: ٢٥.

واستجاب له الله تعالى: (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب
والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد. هذا عطاؤنا
فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن ماب)¹ هذا نبى الله
تعالى سليمان يطلب من الله تعالى أعلى درجات الغنى والتمكين فى الدنيا-
يبدو أنه لم يأخذ بنصائح الصوفية- فيعطيه الله تعالى ما طلبه، ولا ينقص
ذلك من درجته عند الله تعالى شيئاً، بل يؤكد الحق سبحانه وتعالى أنه
سيعطيه فى الآخرة الزلفى وحسن المآب، وهذا يؤكد أن طلب الفقر فى
الدنيا للوصول إلى الآخرة حرافة لا يقوم عليها دليل، لان من عمى عن
مصالح أمته فى الدنيا فسيحشر أعمى فى الآخرة وليس من الصالحين.
قال تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً)²

وعن سليمان يقول الإمام ابن كثير: "المنزلة الثانية وهى النبوة مع الملك عظمة أيضاً
فى الدنيا والآخرة، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه السلام فى
الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله تعالى يوم القيامة أيضاً فقال
تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن ماب) أن فى الدنيا والآخرة.³

فى هذه الفقرة من تفسير ابن كثير ما يدحض حجة الصوفية فى اختيار الفقر
والزهد طريقاً للإيمان.

والحقيقة أن منهاج الصوفية قد وجد قبولا عند العامة، لأنه يريحهم من الكد
والكدح، والفكر المستقبلى فى شئون الحياة، وأصبح هذا المذهب جزءاً من
فكر كثير من الناس حتى من غير الصوفية.

ومنهم بعض الدعاة، وظهر هذا الاتجاه السلبى فى وعظهم وفى دعوتهم على
العموم، حتى أصبح بدرجات متقاربة منهاجا هاما فى فكر المسلمين على
العموم. ومن الإنصاف القول بأن بعض مشايخ الطرق الصوفية خاصة
الدارسين مهم ينتهجون الآن نهجا مختلفا ويأمرون أتباعهم بالعمل والحصول
على الرزق من مظانه الحلال إلا أنهم لا يصلون بالعمل الدينى إلى درجة
العبادة كما فعل الشيخ، وأن بقى اتجاههم الحديث محموداً، ويؤخذ عليه أنه
اتجاه عند البعض ولم يسد فى كل الطرق حتى الآن.

¹ سورة ص: ٣٩- 40

² سورة الإسراء: 71.

³ تفسير القرآن العظيم ٣٩: ٣٠ دار المعرفة.

وليس معنى هذا أننا نسلم بالمناهج الصوفية فى مجملها، لأن الصوفية لو دعت إلى العمل العمراني فستبقى عندهم مناحى عديدة تحتاج إلى تجديد وتحديد حتى تتطابق مع المنهاج الإسلامى العام.

وفى غمرة ما يكتنف الأخلاق من فساد على المستوى العالمى والمحلى، فيمكن للطرق الصوفية أن تؤدى دورا فى التربية وفى جمع الشباب على البر والتقوى بشرط الالتزام التام بالكتاب والسنة والبعد عن كل المخالفات والشطحات التى اعتبرت كرامات فى أزمنة عديدة وأماكن عديدة، وتوجيه الجماهير إلى العبادة الحقة والعمل العمراني المتقن فى أن واحد، لأن الوقت لا يسمح بالفرقة وعدو المسلمين لن يترك سنيا ولا سلفيا فى نهاية الأمر.

(ب) العمل العمراني فى الإسلام:

إن معرفة المكانة التى يتبوأها العمل العمراني فى الإسلام هى أبلغ رد على أصحاب الفكر السلبي، وفكر الانسحاب، فكر دعاة الفقر والزهد من غير سبب راجح، وكما قال الشيخ: حاولوا العلاج ولكنهم قتلوا المريض بجرعات زائدة من العلاج، وسوف نعرض لموقف الإسلام من العمل العمراني فيما يلى:

(1) قصة نوح عليه السلام مع الطوفان:

دعا نبى الله تعالى نوح عليه السلام إلى الله تعالى تسعمائة وخمسين عاما، وعبد الله تعالى فى هذه القرون حق العبادة، ولم يستجب له من قومه إلا قليل، وأخبره الله تعالى بأنه لن يؤمن من قومه أحد بعد ذلك، قال تعالى (وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون)¹.

وهكذا انتهت الدعوة عمليا فى قوم نوح، وانتهى أمر إيمانهم، وأخبر الله تعالى نوحا بعد ذلك أنه سيدمر قومه بالطوفان وسأل نوح عليه السلام ربه النجاة له ولمن معه من المؤمنين، فأمره الله تعالى بأن يصنع الفلك لتحمله هو من معه، وظل نوح عليه السلام يصنع الفلك سنوات طوالا، قيل: سبع سنوات، وقيل أكثر، لأنها كانت سفينة ضخمة، هيئت لحمل زوجين من كل المخلوقات الموجودة على ظهر الأرض، لقيام حياة أخرى فى مكان آخر، وبعض المفسرين يرى² أن طول السفينة كان ألفا وثلاثمائة ذراع، ومنهم من يزيد على ذلك، ومنهم من ينقص، ويقتربون من الاتفاق على الجهد المبذول

¹ هود 26

² انظر: ابن حسن الطيرى فى تفسيره مجلد ٧ ح ١٢ ص ٩: ط دار الفكر ١٩٩٥ م.

فى بناء السفينة“ وأقبل نوح على عمل الفلك، وجعل يقطع الخشب، ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو، وجعل قومه يمرون به وهو فى ذلك من عمله، فيسخرون منه.. ويزعم أهل التوراة أن الله تعالى أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يطلّيه بالقار من داخله وخارجة طوله ثمانين ذراعاً، وأن يجعله ثلاثة أطباق، سفلاً، ووسطاً، وعلواً.¹

هذا النص القرآنى وتفسيره يثيران فى النفس أكثر من سؤال: لماذا لم يعف نبى الله عليه السلام من هذا العمل الشاق، ولا سيما وأنه يصنع سفينة على الجبل وبين قوم يسخرون منه؟

والجواب: أن نوحاً لو تمت نجاته عن طريق الملائكة مثلاً، أو المعجزة أو الكرامة التى انشغل بها المسلمون كان دور الخلافة المناط بنوح عليه السلاح، سوف يتقلص، ويتلاشى، كان نبياً عابداً، نعم، وكان رسولاً مبلغاً، نعم، ولكن كل هذا لا يعفيه من القيام بأعباء الخلافة، لابد من قيامه بصناعة السفينة، فى ظروف قاسية ليصنع النجاة له، وللمؤمنين معه، ولذلك أمره الحق سبحانه وتعالى بصناعة السفينة، قال تعالى (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني فى الذين ظلموا أنهم غرقون)²

يقول الإمام ابن كثير: قال بعض السلف: أمره الله تعالى أن يغرز الخشب ويقطعه ويبيسه، فكان ذلك فى مائة سنة، ونجرها فى مائة سنة أخرى، وقيل فى أربعين سنة، والله أعلم.

وقال قتادة: كان طولها ثلثمائة ذراع فى عرض خمسين، وعن الحسن طولها ستمائة ذراع، وعرضا ثلثمائة، وعنه مع ابن عباس: طولها ألف ومائتا ذراع، فى عرض ستمائة وقيل: طولها ألف ذراع وعرضا مائة ذراع فالله تعالى أعلم. قالوا كلهم: وكان ارتفاعها فى السماء ثلاثين ذراعاً، ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع فالسفلى للدواب والوحوش، والوسطى للأنس والعليا للطيور، وكان بابها فى عرضها، وله غطاء من فوق مطبق عليها.³ ويلاحظ على هذه الفقرة من تفسير ابن كثير ما يلى:

¹ تفسير ابن جرير الطبرى مجلد ٧ ح ١٢ ص ٨

² سورة هود ٣٧.

³ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢/::: طر دارالمعرفة ١٩٩٩ م.

1- اتفاق العلماء على طول مدة صناعة السفينة، فمنهم من قال مائة سنة ومنهم من قال أربعين سنة، أى أنها مدة طويلة فى كل الأحوال.

٢- أنها تطلبت عملا شاقا فى ظروف قاسية.

3- أنها كانت كبيرة جدا ومكونة من ثلاث طوابق للدواب والوحوش، و للانسان، وللطيور، وليس هناك خبر يقينى يحدد بدقة كل هذه المعلومات عن السفينة، باستثناء أخبار التوراة وهى لا تحتل اليقين العلمى كما هو معروف.

ومع ذلك نلمح فى التوراة ما يدل على التزام نوح بنجاة نفسه ومن معه فان كان هذا وحيا فيها ونعمت وإن لم يكن، فهو فهم جيد لطبيعة الخلافة، خلافة الإنسان لله تعالى فى الأرض، وإعمارها وحل مشاكلها على هدى من الله تعالى.

جاءت قصة نوح عليه السلام فى التوراة ابتداء من الإصحاح السادس من سفر التكوين: فقال الله لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامى، لأن الأرض امتلأت ظلما منهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض، أصنع لنفسك فلكا من خشب جفر، تجعل الفلك ساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار.. فها أنا أت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء، كل ما فى الأرض يموت، ولكن أقيم انفذ - عهدي فتدخل الفلك أنت وبنوك، وامراتك ونساء بنيك معك، ومن كل حي من كل ذى جسد اثنين.¹

فى هذا النص بعض المعلومات عن الطوفان وصناعة السفينة ولكن أهم ما فيه قوله: كل من فى الأرض يموت ولكن أقيم عهدي معك أى أن نوحا كلف بإنقاذ نفسه ومن معه، وأن الله تعالى تضمن له النجاة إذا قام بصناعة الفلك بحجمها وظروفها والجو الذى صنعت فيه، وأن نوحا لو ادعى التوكل وترك الأمور من غير عمل شاق وتنظيم دقيق فإن مصير من معه من المؤمنين كان سيلحق بمصير أولئك الذين دمرهم الطوفان، والجدير بالذكر أن نوحا لم يطلب من ربه طريقا آخر للنجاة غير طريق العمل الشاق المضنى الذى استغرق عشرات السنين.

4 - ثبت بالقرآن الكريم أن هذه السفينة كنت فى غاية القوة، فالحق تعالى يصفها فى خضم الطوفان بقوله: (وهى تجارى بهم فى موج كالجبال..)² ومن المعلوم أن السفن الكبيرة التى صنعها الإنسان فى العصر الحديث لا

¹ التوراة العبرانية: سفر التكوين اصحاح 1 ص 11 ط دار الكتاب المقدس

² سورة هود: 42

تستطيع السير فى البحار إلا فى ظل حد أقصى لارتفاع الأمواج، وتغلق الموانى فى وجه السفن إذا وصل ارتفاع الموج أكثر من ستة أمتار ويطلق على هذه الحالة العاصفة، فكيف تحطت هذه السفينة موجا كالجبال، أى ارتفاعه مثلا ألف، أو ألفا متر، لأبد أنها كانت قوية ومتينة ومتقنة وتستحق السنوات التى حددها العلماء - مائة سنة- أربعين سنة- لأن الواقع العلمى للسفينة يثبت ذلك ويزيد عليه،(وهى تجرى بهم فى موج كالجبال..)الموج جمع موجة، وهى ما ارتفع من جملة الماء الكثير عند اشتداد الريح.. وجاء فى التفسير: أن الماء جاوز كل شى بخمسة عشر ذراعاً¹ ارتفاع خمسة عشر ذراعاً وقيل: ثمانين ميلاً.²

ويقول الإمام أبو السعود:(فى موج كالجبال)هو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل فى ارتفاعها وتراكمها.³

ونخلص من هذا إلى أن سفينة نوح عليه السلام كان يتوافر لها كبر الحجم، والمتانة، والقوة، وأن كل هذا قد حدث نتيجة لقيام نوح عليه السلام، بعمل شاق ومضن، استغرق فى أكثر الروايات تواضعا- أربعين سنة وفى ظروف سبقت الإشارة إليها. نستخلص مما تقدم أن عبادة نوح عليه السلام تسعمائة وخمسين عاما، ودعوته إلى الله تعالى فى هذه السنوات، وقيامه بأعباء الرسالة والتبليغ، كل ذلك لم يشفع له فى ترك أعباء الخلافة- خلافة الله تعالى فى الأرض- وتوقفت نجاته ومن معه على جهدهم وعرقهم وعملهم الشاق، فالعبادة لا تغنى عن الخلافة- العمل العمرانى. وكذلك النجاح فى الخلافة لا يغنى عن العبادة، ولأبد من نجاح المسلم فى العبادة والخلافة على السواء، وهذا هو جوهر دعوة الشيخ- يرحمه الله تعالىوقد ثبت ذلك فى معظم كتبه، وركز عليه فى أحاديثه ومحاضراته، وظل يدعو إلى هذا المنهاج- النجاح فى الدنيا والأخرة- حتى لقى ربه سبحانه وتعالى.

(ب) قصة مريم عليها السلام:

نذرت امرأة عمران ما فى بطنها لله تعالى، وكانت تتمنى أن يكون ذكرا، ولكنها جاءت أنثى وعاشت مريم عابدة طاهرة، وقال الله تعالى فيها(وإذ

¹ الإمام القرطبي: إيلامع لاحكام القرآن ٣٨/٩ ط دار احياء التراث العربى ١٩٨٥.

² ابن كثير 446/3

³ الإمام أبو السعود 3 / 34 ط دار الفكر.

قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين¹، فهذه منزلة لم تصل إليها امرأة قط عبر تاريخ البشرية الطويل. وقد اختار الله تعالى مريم لتحمل معجزة أن يولد لها غلام من غير أب له، وقد تعجبت من هذا، قال تعالى(قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم ألك بغيا. قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آيه للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا)²،

ولم تجد مريم مفرا من التسليم لأمر الله تعالى وقضائه، وتمت المعجزة وحملت مريم من غير زوج، ولكن هل يفهم عامة الناس ذلك، ويسلمون كما سلمت مريم و استسلمت، لقد عانت مريم كثيرا من هذا الحمل، وتعذبت عذابا معنويا لا حدود له.

يقول الإمام ابن كثير: فلما حملت ضاقت ذرعا ولم تدر ماذا تقول للناس، فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به.³

و مضات مريم تعاني متاعب الحمل، و آلام اتهام الناسى لبها بالباطل، حتى جاء وقت المخاض، وعانت فيه من ألم مزدوج، فالأم المخاض أليمة واشد منها ألما مواجهة الناس بطفل ينكرونه، ويرفضونه، ويرفضون وجوده قبل أن يأتى إلى عالمهم، ووضعت وهى فى هذه الحالة النفسية والجسدية السيئة حتى هتفت(.. قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسبيا منسيا)⁴ وهى فى هذه الظروف القاسية وضعت عيسى عليه السلام، وشعرت بعد وضعه بالجوع، وهذا أمر طبيعى لفراغ بطنها من الجنين، فمن يأتياها بالطعام؟ أنها قريبة عهد بالتعامل مع الملائكة فهم الذين أخبروها بخبر وليدها، فأين هم الآن(فناداها من تحتها ألا تخزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا).⁵

¹ آل عمران: 42.

² سورة مريم: ٢٠، ٢١.

³ ابن كثير 3/ 166

⁴ مريم: ١٣.

⁵ مريم: 24، 25

إذن مع كل هذه الآلام والمشاق، وكل هذا لأبد أن تقوم بعمل ما لكى تأكل.¹

لقد امتلأت كتب الصوفية بصور من توفير الطعام للناس من غير عمل، فهذا يأكل حينما يدخل إلى مكان مظلم، وهذا يأكل هو وأهله إذا وضع غطاء فوق إناء، وطلب منه أن يملأ بالطعام، ومنهم من وجد عند الطعام الكثير، ولم يستطع أن يحدد من أن جاءه قصص كثيرة أختزلت حضارة الأمة وحولتها إلى خرافات، فهذه الطاهرة المصطفاة على نساء العالمين بنص القرآن الكريم، تتحمل معجزة تعجز عن تحملها الجبال، وتتهم بسبب هذه المعجزة فى عرضها وشرفها، وعندما تجوع لا تأكل إلا من عمل يدها، هذا هو منطق القرآن الكريم الواضح لكل ذى عقل ودين.

(ج) قصة نبي الله تعالى داود عليه السلام

استطاع نبي الله تعالى داود عليه السلام أن يصل إلى حكم بنى إسرائيل بعد هزيمته لجالوت، وأصبح ملكا على بنى إسرائيل، ولم تمنعه النبوة والملك، من تأسيس دولة من أقوى الدول فى وقتها، وشارك هو فى بناء هذه الدولة، بما قدم من مساهمة فى صناعة الحديد، وهى الصناعة التى تقوم عليها حضارة الدولة وقوتها.

قال تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)² وعن قوة الدولة تحت حكمه يقول الله تعالى (وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب).¹

¹ من المفارقات العجيبة أن مريم عليها السلام، وهى صغيرة كانت تعيش فى المحراب لخدمة بيت الرب، وكان الطعام ياتيها من غير عمل و جهد منها، لاخا كانت ضعيفة لا تقوى على الكسب، وكان نى الله زكريا عليه السلام، يدخل عليها ويتعجب من وجود هذه الأنواع المختلفة من الطعام. يقول الله تعالى فى ذلك (فتقبلها رما بقول حسن وأنبتها نباتا حسنا و كلفها زكريا كلما دخل عليها زكريا الحراب واحد عندها زرقا قال يا مرجم أن لالى هذا قالت من عند الله ان الله يرزق، من ايشاء بغير حساب) آل عمران: ٣٧.

فمع الضعف والصغر يكون الرزق بغير حساب، وهذا يحدث لكل أطفال العالم عن طريق آبائهم، ولكن مريم امتازت عن الجميع بالأنواع المختلفة مثل فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف وأنواع أخرى كثيرة من الطعام.

و هذا ما تعجب منه زكريا عليه السلام.

وونستخلص من هذا أن الله تعالى تكفل يرزق البشر جميعا، فالضعيف والمريض والصغير يحصل على الرزق من غير جهد، وبغير حساب، أما القوى القادر على تحصيل الرزق فلا يصل إليه الرزق إلا إذا بذل جهدا للحصول عليه. وهذا هو ما يدعو إليه الشيخ بأساليب مختلفة.

و ظل سيدنا داود عليه السلام يحكم وى عمل ويخترع، حتى أصبحت الدولة فى غاية القوة، فبدأ يزيد من عباداته التطوعية، حتى استغرقه ذكر الله تعالى، فلم يشعر إلا والخصوم أمامه يسألونه فى مسألة فسمع من أحدهم، ولم يسمع من الآخر، فعوتاب فى ذلاگ، فاستغفر و تائب وأناب إلى الله تعالى، وأدرك أن انشغاله بالعبادة التطوعية عن العمل العمراني هو سبب ما حدث له، فعاد إلى الحكم الجيد والعمل الجيد، والعبادة الجيدة، وظل على ذلك فترة من الزمن، ثم غلبه حنين العبادة والذكر، والانقطاع إلى الله تعالى، وكان ذلك إيذانا بنهاية حكمه، فقد عرضت عليه مشكلة تحتاج فى حلها الى تروا ودراسة، ولكنه تعجل فى حلهاى- حتى يفرغ إلى ذكر الله تعالى- وكانت المشكلة مشكلة الغنم التى اعتدت على الحرث، قال تعالى(وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان...)² أى أنه كانت هناك مشكلة – قضية قضى فيها داود ولكنه لم يوفق وقضى فيها سليمان فوفقه الله تعالى، وذلك لكى يترك داود الحكم ويتفرغ لعبادته التى يريدھا، ويقوم سليمان بأعباء الحكم وخلافة الله تعالى فى الأرض، ولم يشفع لداود أنه كان نبيا، وأنه أقام حضارة الدولة بسواعده من خلال صناعة الحديد، لم يشفع له كل ذلك، حين أهمل فى العمل العمراني غير أو أقيل بالتعبير المعاصر إن العمل الدنيوى له قداسة العبادة فى الإسلام طالما أنه لم يؤثر على العبادة أو يؤخرھا.

وترك داود سلطان الحكم لابنه سليمان حين أثبت أنه هو الجدير به، وعاد داود إلى ذكر الله تعالى بصوته الجميل وأناشيده المباركة وتلمح فى القرآن الكريم أنه يكرم وهو يترك الحكم، قال تعالى:(ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما و علما و سخر نامع داود الجبال يسبحان والطير وكنا فاعلين).

والقصة التى تسببت فى ترك داود للعرش هى قصة أصحاب غنم نفتنفت فى حقل آخرين فافسادته، فحكم داود بالتعويض، وهو: أن يأخذ أصحاب الأرض أغناما يساوى ثمنها الخسارة التى لحقت بحقلهم، وعند عمل حصد لهذه الخسارة وجد أنها تستغرق جميع الأغنام، فحكم داود عليه السلام، بأن يقوم أصحاب الأغنام بتسليم أغنامهم لأصحاب الحقل، ويخسرون المهنة التى عاشوا بها ولها العمر كله، وى تحولون الى متسولين غير منتجين.

وعندما صرخ أصحاب الغنم من قسوة الحكم سمعهم نبى الله تعالى سليمان عليه السلام وكان صغيرا، ولما سألهم عن حالهم وأخبروه، طلب اليهم أن

¹ سورة ص: 20.

² سورة الانبياء: ٧٨، ٧٩.

يخبروا والده داود بأنهم يرتضون حكم سليمان في هذه القضية، و عند ما جلس سليمان على كرسي وانتهى إلى الحكم التالى فى هذه القضية، فقال: يا أصحاب الغنم تأخذون الحديقة لمدة عام تتعهدونها وتقومون عليها وتأكلون من فضلها وتسلمونها لنا سليمة من أى أذى فى العام القادم.

ويا أصحاب الحديقة تأخذون الغنم فترعون بها وتحافظون عليها وتأكلون من أولادها وألبانها وأصوافها، وتسلمونها لنا عددا فى العام لقادم من غير نقص، ففرح الطرفان وهللوا وكبروا وخرجوا من عنده متحابين وعندما رأى ذلك نبي الله تعالى داود عليه السلام، أدرك أن الحكم أسند إلى ابنه سليمان بتوفيق الله تعالى.

ويلاحظ على حكم سليمان أنه أعاد الحياة والنشاط إلى الفريقين، وتعلم كل فريق صنعة جديدة غير الحرفة التى أتقنها طوال عمره، وشعر أصحاب الغنم بقسوة الزراعة ووجوب الحرص عليها وعدم إتلافها، وشعر أصحاب الحديقة بقسوة رعى الغنم ومتابعة شاردتها و واردةها، و عذر كل فريق الفريق الثانى، وعند الأجل المحدد سلم كل عهده، وعادوا أخوة متحابين.

وعن ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحارث، فخراج الرعاع معاهم الكلاب، فقال لهم سليمان كيف قضى بينكم، فأخبروه فقال لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا، فأخبر بذلك داود فدعاه، فقال: كيف تقضى بينهم، قال: أدفع الغنم لأصحاب الحرث، فيكون له أولادها وألبانها، وسيلؤها، ومنافعها، ويبيذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذى كان عليه، أخذه أصحاب الحرث، وردوا الغنم إلى أصحابها.¹

ونخرج من رواية ابن كثير هذه، ومما سبق أن إتقان عمل الدنيا يتوقف عليه ملكها، ويفسر لنا هذا أن الغرب الصليبي حين أتقن عمل الدنيا سيطر عليها، وأن المسلمين حين نظروا للدنيا باستخفاف واحتقار خسروها و انزروا فيها بعد حكم واتساع.

غير أن داود عليه السلام تراث الحكم لابنه سليمان لمزيد من القوة للدولة وتفرغ هو لذكره وحبه وشتان ما بين النموذجين.

(د) قصة سليمان عليه السلام:

تسلم نبي الله سليمان الحكم من والده داود عليه السلام، فوجد أمور الدولة منضبطة، والحياة مزدهرة، ولكنه كان يطمح إلى تقدم أكثر وعلم أغزر، ونظام أحكم، ووجد أن لديه مشكلات لا يمكن تجاوزها بالطرق العادية منها مشكلة المواصلات والتي تعتمد على وسائل العصر المتاحة وبسرعة معينة، ومنها مشكلة استخراج المعادن من الأرض ودراسة أفاق السماء، ولذلك سأل الله تعالى أن يسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، لكي يختصر الوقت ويزيد السرعة في الانتقالات، وسأل الله تعالى أن يسخر له الجن يأمرهم بالغوص والبناء وصناعة الأشياء التي لم يتوصل إلى تصنيعها الإنسان في هذا الوقت، قال تعالى (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواصى و آخرين مقرنين فى الاصفاد، هذا عطاونا فامضن أو أمسك بغير حساب).¹

وهكذا بدأت حضارة أخرى أقوى وأسرع فى ظل حكم سليمان عليه السلام.

وقد فطن نبي الله تعالى سليمان إلى قيمة الوقت فى حياة الإنسان، فحرك الريح لاختصار الوقت، وفطن إلى قيمة العمل فى حياة الناس، فأضاف جهد الجن إلى جهد الإنسان، ولتكثيف القوة المنتجة لصالح الإنسان. وظل نبي الله تعالى سليمان يعمل فى إعمار الأرض وتحقيق الخلافة بجهده وجهد شعبه، والجهود المضافة عن طريق الريح والجن، ظل يعمل حتى وافته المنية و انتهى عمره، ولكنه كان فى موقع العمل خلف العاملين، ولا يزال فى المشروع المنفذ بعض الأعمال التي تحتاج إلى بعض الوقت، فاستبقاه الله تعالى واقفا كما هو، حتى أنهى العمل، ولم لا وسليمان هو الذى أراد تطوير الحياة بأسرع من وسائلها المتاحة، فلا بد أن يبقى فى موقع العمل حتى بعد موته، ليضاف عمر منتج إلى عمره، ويكون سليمان عليه السلام قد ضرب المثل فى استغلال الوقت، وتسخيره فى الإنتاج، فلما انتهى أجله، أضاف الله إليه أجلا منتجا وهو ميت حتى يضيف شيئا إلى الحياة من خارج الحياة قال تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خر تببتات الجن أن لو

¹ سورة ص: ٣٦-٣٩.

كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)¹. فهل بعد هذا العطاء القرآني لتطويع الحياة، وإقامة مشروع الله تعالى فيها، يقول بعض الناس: إن ترك العمل والإنتاج ورع ودين { والحقيقة أن الدين الإسلامي في مصادره القرآن والسنة يأمر بالعمل العمراني ويحض عليه، ولكن ترك العمل والتكاسل، والتخاذل كله فكر بشري عادي حسن به بعضى الناس دينا.

(هـ) نبي الله تعالى موسى عليه السلام:

خرج موسى عليه السلام من مصر هاربا من أهلها، بعد أن قتل المصري، وهو يمنعه من قتل اليهودي، وظل يهيم على وجهه حتى وصل إلى مدين، ووجد الرعاء يجتمعون على الماء، ويسقون وكل منهم يدفع ماشيته للأمام، ولكنه رأى امرأتين تمنعان ماشيتهما من الماء، فسألتهما فأخبرتاه، أنهما تفعلان ذلك حتى يذهب الرعاء، ويصبح الجو مناسبا لهما، فسقا لهما وتجاوز الرعاء، ثم انصرف إلى شجرة يستريح، وعلم والد البنيتين بما حدث من موسى فأرسل إليه، وتعرف عليه وكان رجلا صالحا، وطلب منه أن يزوجه إحدى ابنتيه، في مقابل أن يعمل عنده ثمانى سنوات، أو عشر سنوات، وسواء كانت المادة التي قضاها موسى هي ثمانى سنوات أو عشر سنوات، فالملاحظ أنه لم يحصل على الزواج والإقامة، وهو نبي مرسل، و مصطفى و مجتبي من الله تعالى إلا بالعمل والعمل الشاق لمدة طويلة، فلماذا لم يكن زواجه

وإقامته بطريق الكرامة، التي تتجاوز ناموس الحياة، وتحبط كل جهد إنساني فيها؟ هذا لأن الإنسان خليفة لله تعالى في أعمار الأرض، وسبيله إلى ذلك العمل الإنساني، والرسول عليهم السلام هم قادة الناس، وهم المثل العليا للبشر، فلا بد أن يكونوا مثلا في العمل والجهد المبذول. قال تعالى (قال أنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين)².

هذا الحض على العمل العمراني³ فى القرآن الكريم لا يمكن حصره فى بحث كهذا، وحسبنا الإشارة إليه، حتى تثبت صحة ما ذهب إليه الشيخ.

¹ سورة سبأ - 14

² سورة القصص: ٢٧

³ أنظر: كتاب دراسة عن العمل العمران في القرآن الكريم للمؤلف

3- الدعوة للفقير والترهل بين الفقراء توطيد للظالم. يرى الشيخ أن الدعوة للفقير وحلب الفقر والزهد بين الشعوب الإسلامية الفقيرة توطيد للظلم في بلاد المسلمين وما ذهب إليه الشيخ في هذه النظرية أو المذهب، هو من الأمور التي شغلت أذهان العلماء في الغرب والشرق، خاصة علماء الاقتصاد، لأنهم يعتبرون رجل الدين- إذا توقفت دعوته عند طلب الزهد والصبر من الفقراء- يعتبرونه حجر عثرة في سبيل تقدم الأمة ورخائها، بل يعتبرونه من العاملين الموطئين للظلم، بدعوته للناس بقبول واقع لا عدل فيه، ولا قسط.

ومن المؤكد أن بعض الدعاة يمارس هذا العمل ببراعة وظهر، ولكنه يتفق مع البعض الآخر الذي يحترف هذا العمل مقابل مال أو توجيه يتفق معه في النتيجة وإن اختلف الغرض والهدف عند كليهما وهذا بالنسبة للدعاة في كل مكان في العالم، ولكل الأديان، وربما وجدت بعض الإشارات في بعض الأديان للدعوة إلى الانسلاخ من الحياة والزهد فيها، ولكن الإسلام: (قد استهدف من التعليم تكوين النفس المسلمة، والعقل المسلم، وتحرير هذه النفس وهذا العقل من كل العوائق التي تحول بين المسلمين وبين السعادة والتمكين في الأرض).¹

ولذلك فالإسلام يدعو إلى العدل وإلى المساواة، وإلى حصول كل إنسان على حقه في مقابل جهده، والإسلام من هذه الناحية يطور الحياة ويسمو بالإنسان، واعتبار الإسلام عائقاً أو به عوائق للتقدم، دعوى لا تقوم على بينة، ولا ينهض بها دليل، والدعوة إلى الفقر والزهد والرضا بالظلم هي دعوة غريبة على الإسلام، ولا تمت إليه بصلة، وإذا مارس بعض الدعاة المسلمين هو الدعوة، فإنهم يمارسونها بفكر الغير، ولحساب الغير، وسواء علموا ذلك أم جهلوه، أما دعاة بعض الأديان فإنهم كانوا يطلبون

ممن ضرب على خده الأيمن، أن يحول الضاربه الخد الأيسر، لكي يضربه مرة أخرى، ونسبوا فقر الناس، وما حل بهم من ظلم إلى الله تعالى، وطلبوا مباركة اللاعنين، والصلاة من أجل الجلادين، وهذا ما أثار بعض العلماء، وجعلهم يتهمون الدين- أي دين- بأنه عائق للتطور ومانع منه، إن علمانية ماركس وهي التي تتمثل في المادية التاريخية الإلحادية، هي: هدم الدين كمقدمة ضرورية، لقيام عالم يكون فيه الإنسان سيد نفسه، وتنتهي سيادة الإنسان إلى سيادة المجتمع

¹ أنور ابلندي: الشبهات والاحطاء الشائعة في الفكر الاسلامي صرى ٥ ٣ طر دارالاعتصام ١٩٨١.

والدولة، ووضعهما بالنسبة للأفراد هو وضع المعبود الخالق من الأفراد المخلوقين.¹

و هكذا انتهى تقديم الدين للناسى- فى الغرب- بصورة غير حقيقية إلى تدهور أحوال معتنقى هذا الدين، وثورة العلماء الأيام: الدين أفيون الشعوب ولم يقبل ذلك إلا لأنه رأى أن الدين يستخدم للتوطئة للظلم ولزيادة أرباح الإقطاع والرأسمالية الضارب، والصلاة من أجل الجلاذ اللاعن.

ومن المؤكد أن دعوة بعض الدعاة المسلمين من الصوفية وغيرهم، إلى حلب الفقر والزهد، ونبذ الدنيا، والانسلاخ منها، من المؤكد أن خطر هذه الدعوة لم يقف عند ترضية الجماهير بالفقر، وترك الأغنياء الأقوياء يكتزون ما شأوا من مالا، وحسيبهم أنهم من أهل الدنيا وكفى بهذه بسبة لهم ولعنة، فليتنعموا كما يشاعون، وليبق الفقير العامل المنتج يسبب سرق جهده ويختزل رزقه لصالح هؤلاء الأغنياء فى داخل البلاد الإسلامية، ولم يقف خطر هذه الدعوة عند هذا الحد كما يسبق، بل تعداه إلى خارج البلاد الإسلامية، فالبلاد الصناعية تنتج من كل شى كميات وفيرة، ويهم ما توزيعها داخل البلاد الإسلامية لاستبدالها بالموارد الطبيعية داخل هذه البلاد، وأشد ما يقلق البلاد الصناعية- الغرب

_____ هو وجود إنتاج فى البلاد الإسلامية، يمنعها من _____ من هذه البلاد تماما أو تقليل هذا الاستيراد، بقدر الإمكان، وتقوم حروب خفية فى هذا المجال، لعلها أشد من الحروب العسكرية، وأكثر خطرا لأن الهزيمة فى الحروب العسكرية، يمكن التغلب عليها وتحويلها إلى نصر فيما بعد، وضحاياها أعداد محدودة من البشر، أما الهزيمة فى ميدان الاقتصاد فيصعب التغلب عليها، وضحاياها هم كل أفراد الدولة المسلمة، وفى سيطرة الاقتصاد الغربى على كل بلاد المسلمين، يكون الضحايا هم كل أفراد الأمة الإسلامية الغنى منهم والفقير على السواء.

وفى الدول الاستعمارية تقوم مؤسسات لوضع الخطط الخاصة بالحروب الاقتصادية، ولهم كثير من الوسائل، وعديد من الأساليب، إلا أنه من أخطر الأسلحة فى هذه الحرب هو السلاح المحلى - الداخلى فوجود دعاة يصعدون المنابر ويطالبون الجماهير بترك الدنيا والزهد فيها ونبذها، ويكثرون من الأدلة على ذلك، وجود هؤلاء الدعاة ييسر مهمة الاستعمار الاقتصادى فى بلاد المسلمين، ويجعل العاملين المنتجين فى البلاد الإسلامية ينظرون إلى عملهم نظرة استخفاف، وإذا عملوا لا يلتزمون الدقة ولا يحاولون ذلك، وهذا ما يفسر لنا وجود إنتاج فى

¹ د. محمد البهى. الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ص ٢١ مكتبة وهبة ١٩٧٨ م.

بعض البلاد الإسلامية، يوزع محليا، ولكنه لا يرقى إلى العالمية، أى إلى التصدير إلى بلاد العالم المختلفة.

ولقد ألحت على فكرة جيدة وهى: لماذا لا يقوم الدعاة الذين يصرفون الناس عن الدنيا، برفع دعوى ضد الدول الصناعية الكبرى، لحصول على حق هم عمولتهم- فى توزيع السلع المنتجة فى البلاد الصناعية داخل البلاد الإسلامية، لأن مساهمتهم فى نشر هذه السلع وتوزيعها أمر واقع لا يحتاج إلى كثير من الأدلة، وسيجدون - إن أحسنوا التخطيط لهذه الدعوى- اعترافا عالميا بعلمهم وعملهم فى هذا الشأن ويكونون بذلك قد حصلوا على شئ من الدنيا التى زاهدوا الناس فيها، بما ألقوه على سمعهم من مواعظ، وحكايات، لأن سؤال الدعاة فى الآخرة، سيكون عن جهدهم فى دعوة الناس إلى التفوق فى الدين والدنيا على السواء.

ملاحظات:

أولاً: أن ما سبق من سطور لا يشمل جميع الدعاة إلى الله تعالى لأن منهم من يدعو إلى الله تعالى على بصيرة، ويحاول النهوض بأمته، وتبصيرها بدينها ودنياها، وهؤلاء لهم جهد مشكور فى إبقاء الحياة فى الجسد الإسلامى حتى يأتى الله تعالى بالفتح أو أمر من عنده، إلا أن هؤلاء عددهم قليل وتضيع أصواتهم أحيانا فى الزحام:

ثانياً: أن كل ما جاء عن الدعوة للزهد فى الدنيا فى القرآن الكريم والسنة الشريفة، فإنه جاء لعلاج بعض الأمراض النفسية عند بعض الناس، ولم يأت لاختزال مستقبل الأمة الإسلامية، فمثلاً: قارون أعطاه الله تعالى فاغتر بالعطاء فكان وعظه بالزهد مطلوباً، وصاحب الجنتين فى سورة الكهف، أعطاه الله فاغتر بالعطاء حتى كفر بالله تعالى، فوعظه صديقه و طلالب منه عدم الاغترار بالدنيا، لأنها لا تدوم وهكذا يمكن توجيه النصح والموعظة المغترين بالدنيا فى كل زمان وكان، أما مطالبة الجماهير فى المساجد الجامعة بهذا، فهو دواع أشد من المرض الذى صرف له بكثير.

ثالثاً: عاش المسلمون فى العصر الأول والعصور التى تلتها وهم يحفظون القرآن الكريم، ويفهمونه، ويحافظون على السنة الشريفة ويتعقلونها، وكانوا لا يجدون فى القرآن الكريم والسنة الشريفة ما يمنعهم عن تكوين الأمة وبناء الدولة، والانطلاق بقوة فى كل مجالات الحياة، حتى سادوا وقادوا وسيطروا و نشروا نور الله تعالى فى كل مكان، بل كانوا ايجدون فى القرآن الكريم والسنة الشريفة ما يدفعهم للعمل وبذل الجهد بأقصى طاقة لإعمار الحياة، فالقرآن الكريم يأمرهم بالانصراف من المساجد بعد قضاء الصلاة مباشرة،

ودون تأخير لى يستأنفوا عملهم الدنيوى لأعمار الأرض وإقامة الخلافة، قال تعالى(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون¹).. وفى السنة الشريفة: قال رسول الله ﷺ: "أن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفل فلها بذلك أجر²"

هل بعد كلام الله تعالى وسنة رسوله من كلام؟

لا شك أننا إذا أردنا أن ننهض بأمر الدين والدنيا، فيجب علينا أن نعود إلى عصر النبوة والصحابة والتابعين، حتى نستطيع أن نحدد لنا مكانا بين الأمم المتقدمة، كما حصل به على القيادة والريادة التى كانت لنا يوماً من الأيام.

¹ سورة الجمعة 10

² رواه البخارى فى الأدب المفرد ورواه أحمد فى مسنده 3/ 9 ط: دار الفكر بيروت.

الباب الثالث قضية المرأة

(الباب الثالث: قضية المرأة)

الفصل الأول: الوضع العام

يتلخص فكر الشيخ محمد الغزالي بالنسبة للمرأة المسلمة في الفقرات التالية والتي تعتبر مقدمة لقضية المرأة عنده، وهو يبدأ الموضوع بهذا السؤال: أننى أسأل أولاً: هل عوملت المرأة في العالم الإسلامى وفق تعاليم الإسلام؟
ويجيب ما أظن ذلك وقع إلا لمأماً..

إن الحاكم فى مستدركه روى حديثاً موضوعاً حكم العالم الإسلامياً¹ أكثر من ألف عام، يقول هذا الحديث: "لا تعلموا النساء الكتابة ولا تسكنوهن الغرف"، أى إذا كان البيت مكوناً من طبقات، لم يجر إسكان النساء فى الطبقات العليا، حبسهن ظهر الأرض أو تحتها أن أمكن..

وتطبيقاً لهذا الحديث المكذوب، لم تفتح مدرسة لتعليم البنات فى قرية أو مدينة خلال القرون الماضية، وأصبح تثقيف النساء من الفضول، بل من المناكر المحظورة..

وروى عبد الله بن عمر قول رسول الله ﷺ:

"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"²

وفى رواية أخرى، ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد فقال ابنه معترضاً التوجيه النبوى، اذن يتخذنه دغلاً،- أى مهرباً لاقتراف المفسد- والله لنمنعهن، فركز عبد الله ابنه فى صدره، وأشدت عليه غضبه، وقال أقول قال رسول الله، ويقول: لا.. وقاطعه إلى آخر حياته.

والغريب أن العالم الإسلامى لم يكثرث لرواية ابن عمر على صحتها وتبع رأى ابنه.³

¹ المقصود حكم فكر العالم الإسلامى.

² صحيح البخارى عين نافع عن ابن عمر كتاب المعة ٧/٢ ط دارالفكر بدون و عن ابن عمر عن النى صلى الله عليه وسلم قال: "إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن" صحيح كتاب الأذان أن باب خروج النساء إلى المساجد بالليل ٢/٢٤٧. وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: كانت امرأة لعمر تشيد صلاة الصبح والعشاء فى الجماعة فقيل لها لما تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار، قالت ما يمنع أن ينهان؟ قال يمنع قول رسول الله ﷺ "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله". وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ "ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد" صحيح البخارى كتاب المعة باب: هلى على من يشهد المعة غسل" ٣٨١/٢، ٣٨٢ ط الكتبة السلفية.

³ تم تغيير اللفظ لأنه لا يناسب الصحاب المذكور المؤلف.

وبعد جهاد سنين طويلة للسماح بصلاة المرأة فى المسجد، أمكن فتح 10 % من بيوت الله لاماء الله، أما الكثرة الساحقة من مساجد القرى والمدن فهيهات أن يدخلها النساء..

وفى الريف كان أغلب النساء يفقدن ميراثهن الشرعى، فتقسم الأرض على الذكور وحدهم، ويقول الأخوة الذين اجتاحتوا الأرض: كيف تترك غريبا ينزل بأرض أبينا؟ ويعنون بالغريب زوج أختهم، فإذا حدث أن طالبت الأخت بميراثها الشرعى قاطعها إخوانها إلى الأبد.

والأسر الشريفة لها تقليد عجيب- أعنى الأسر التى تدعى الانتساب إلى البيت النبوى- فى المرأة تموت عانسا بانسة إذا لم يطلبها الكفاء من الأشراف، أما الرجل فله حق الزواج من الإنكليز والأمريكان.

ويظهر أن بنات العم سام أو العم جون، لهن شرف يضارع شرفه، أما النساء اللاتى نكبين بالدم الشريف، فلا كفاء لكن على المدى البعيد إلا الموت. وروى البخارى عن الربيع بنت معوذ قالت: كنا نغزو مع النبى صليب الله عليه وسلم، فنسقى القوم، و نخدمتهم، و ترد الجرحى والقتلى إلى المدينة.¹

ويبدو أن هذا التقليد كان قصير العمر جدا، فاستخفى فى أيام الحرب والسلام على السواء.. وإذا كان النساء قد منعين المساجد، أفكان يؤذون لهن بالذهاب إلى ميادين القتال؟.. أريد أعمال النصوص المكتوبة، أو المفهومة من سيرة الرسول ﷺ وسلفه الأول.. لقد رأيت فى قضية المرأة أحاديث موضوعية، وأحاديث واهية صححها الغرض المدخول، وأحاديث صحيحة حرفت عن موضعها.

واستغربت وأنا أقرأ الفقهاء أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد الحرام، أو المسجد النبوى..

وقلت لو كان الأمر كذلك فلم أشرف الرسول ﷺ على تنظيم صفوفهن فى مسجده؟ ولم جعل لهن بابا خاصا بهن، ولم ذهب إليهن فعلمهن وحثنهن على الصدقة²، ولم حذر "البعض" أن يحرص على القرب من صفوف هن؟؟ الواقع أن

¹ من أخرجه البخارى كتاب الجهاد باب رد النساء الجرحى والقتلى 6/ 80 المكتبة السفلية.

² يشير هنا إلى الحديث الذى رواه عطاء عن جابر قال سمعته يقول: قام النبى ﷺ يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة، ثم خطب فلما فرغ فأتى النساء فذكرهأن، وهو يتوكأ على يد بلال باسط ثوبه يلقى فيه النساء الصدقة، قلت لعطاء زكاة يوم الفطر، قال: لا، ولكن صدقة يتصدقن حينئذ، تلقى فتحها، ويلقن قلت: أترى حقا على الإمام ذلك؟ ويذكروهن قال: أنه لحق عليهم، وما لهم لا يفعلونه؟ أخريجه البخارى وى كتاب العيديات، ١٧/٢ طر دارالفكر.

المرأة أولى بها أن تصلى في البيت، إذا كانت مسئولة التغذية أو التربية تفرض عليها ذلك، أما إذا تخففت من هذه الواجبات لسبب أو لآخر، فلا يمنعها بشر من الذهاب إلى المسجد ليلاً أو نهاراً.

إن صلاة الجمعة ليست مؤكدة في حقها كالرجال، ولا يفيد ذلك فرض حصار قاتل على حياتها العملية والعبادية، وتحويلها إلى مسخ لا مكان لها في دنيا ولا دين، كما انتهت بذلك الأوضاع الاجتماعية في العالم الإسلامي.

عند ما فتح النبي ﷺ مكة خرج النساء لمبايعته، و تلقى تعاليم الاسلام منه، ولم يحتابسن في بيوتهن قع بودا عن هذا الغرض، أى أن علاقة المرأة بالحياة العامة كانت قائمة، وكانت من الناحية العملية تسير في خط يحتاذى علاقة الرجل، ولا يتطابق معه.

وقبل فتح مكة اهدت نساء كثيرات إلى الإسلام ورفضن البقاء مع أزواجهن الكفار، ففرون الهجرة إلى المدينة، وحدث ذلك لثأفى و قلت كان المسلمون فيه ملزمين برد كل من يلحق بهم من مكة فارا بدينه تنفيذا لمعاهدة الحديبية¹ ولكن القرآن نزل يستثنى النساء من ذلك الحكم فقال تعالى(يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن الله أعلم بإيمانهن. فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار)².

ورد أن عمر بن الخطاب كان في ذلك الامتحان يحلف المرأة المهاجرة بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض، وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله³

ماذا ترى في هذا القسم؟ وفيمن أدته؟ ألا ترى شخصية مستقلة، واضحة الوجهة، محترمة المسلك، تحارب وتسالم، وتقيم أو تسافر وفق ضميرها وتفكيرها؟

اين هذه الشخصية التي و انقبت الرسول في مكة، والتي هاجرت إليه في المدينة، من شخصية المرأة المسلمة في القرون الأخيرة؟ المرأة التي لا تعرف كتابا ولا إيمانا ولا صلاة ولا ثقافة عامة، بل التي يعتبر من العيب الفاضح أن يعرف لها أسم، أو يبدو لها شبح؟ لأنها لا وظيفة لها إلا إعداد الطعام وإرضاء البعل⁴.

¹ والنص عند ابن هشام هو: على أنه من أتى محمد مسى قريش بغير إذن اوليه رده عليهم، و من جاء قريشا ممن مبع محمد له يردوه عليه. سيرة ابن هشام ١٢/٦/٢١٦ ط دار التوفيقية

² .المتحنة: 10.

³ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 4/4. ط دار المعرفة بيروت. وقد أخرج البخارى عن عائشة نفس الحديث مع الاختلاف في الألفاظ في حار ص - 11 في كتاب التفسير باب(إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات).

⁴ الشيخ محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام: 1 - 4: ٤٢٥ ط: دار ثابت 1984 م.

فى هذه التقدمة تتضح ملامح قضية المرأة عند الشيخ محمد الغزالى؁ فهو يحدد ملامح توجهه فى هذه القضية على النحو التالى:

1 - لم تعامل المرأة فى العالم الإسلامى وفق تعاليم الإسلام الصحيحة وإنما عوملت وفق التقاليد الموروثة؁ واستند الذين فرضوا هذه التقاليد إلى بعض المرويات التى لم يسلم الشيخ بصحتها مثل الحديث الذى أخرجه الحاكم فى مستدركه(لا تعلموا النساء الكتابة؁ ولا تسكنوهن الغرف)؁ وإذا عوملت المرأة وفق تعاليم الإسلام؁ فإن ذلك لم يحدث إلا فى القليل النادر؁ ويتعبير الشيخ(إلا لمأما).

٢- إن صلاة النساء فى المساجد مفيدة جدا؁ للمجتمع الإسلامى؁ لأن المرأة فى المسجد؁ وفى جوه الروحى تتشرب تعاليم الاسلام؁ التى تمدّها بالزاد الطيب فى حياتها؁ و فى حياة أسرتها؁ ومع هذا تمنع المرأة من الخروج للصلاة فى المساجد؁ استنادا إلى رأى يخالف حديثا صحيحا ورواه عبد الله بن عمر رضوان الله تعالى عليهما؁ وبعد جهاد سنين طويلة لم يسمح فى العالم الإسلامى إلا بفتح؁ 1 % من المساجد للنساء.

3- ويعامل المجتمع الإسلامى المرأة وكأنها فى مرتبة أقل من الرجل؁ وفى ريف مصر لا يورثون النساء فى أغلب الأحيان؁ وإن تم التوريث يكون فى أقل من حق المرأة المفروض.

4 - وعند الأشراف الذين ينتسبون إلى البيت النبوى لا تتزوج المرأة إلا من شريف؁ ويمكن أن تبقى عانسا طوال حياتها؁ فى حين يتزوج الشريف بمن يشاء من النساء العربيات والأجنبيات.

ومحنة المرأة عند الغزالى فى هذه التقدمة تتجلى فى أنها محرومة- فى أغلب الأحيان- من حقها فى العبادة- الصلاة فى المساجد- ومن حقها فى الميراث؁ ومن حقها فى الحياة الطبيعية كزوجة وأم لأطفال فيا بعد؁ ويتم هذا فى الأحوال الثلاثة بدافع من التقاليد؁ وليس بشارع من الإسلام؁ أى أن المرأة فى المجتمع الإسلامى تعامل بالتقاليد؁ ولا تعامل بالإسلام.

ومن أجل حالة المرأة فى المجتمع الإسلامى التى سبقت الإشارة إليها؁ جعلها الشيخ قضية من قضاياها التى أراد أن يخدم بها دعوة الإسلام؁ وينهض بالمجتمع الإسلامى فى كل المجالات؁ وقضية المرأة عند الشيخ ليست قضية عادية؁ بل هو يرى أنها من القضايا ذات الأهمية والبعد(الاستراتيجى)فى النهوض بالمجتمع الإسلامى؁ ولا غرابة فى

ذلك، فالمرأة نصف المجتمع الإسلامى، بل تعتبر فى جميع الظروف والأزمان أكثر من النصف، بسبب خروج الرجال للحروب، والمهام الشاقة وتحمل كثير من الأعباء المعيشية وغيرها، ولا يجوز إهمال أكثر من نصف المجتمع الإسلامى، إذا أريد لهذا المجتمع النهوض والثوب إلى الأمام فى اتجاه قويم.

وليس هناك مبرر للتضحية بأكثر من نصف الأمة والتمسك فى ذلك بتقاليد لا تصل ولا تتصل بالإسلام من قريب أو بعيد.

ويقسم الشيخ الغزالى قضية المرأة العامة إلى قضايا فرعية ويبحثها فى كل مؤلفاته دون استثناء وسنوف نجمعها و نرتبها فى نسق متكامل كحبات اللؤلؤ تبدو جميلة وهى متناثرة، ولكنها تكون أجمل وهى منتظمة فى عقد واحد.

ويفيد هذا التنظيم الدراسات العملية لفكر ومنهاج الشيخ، ويقدم لطلاب العلم نسقا منتظما مترابطا للقضية التى يريدون دراستها. وسوف تأتى هذه القضايا تباعا، تحت عنوان يخص موضوعا بعينه حتى تتكون القضية العامة من هذه العناصر الجزئية، فإذا كان العنوان الفرعى قضية المرأة فى التعليم- يكون داخل النسق حق المرأة فى التعليم- ومن هذه العناصر تتكون قضية المرأة داخل المجتمع الإسلامى، وسوف تفصل كما يلى:

1 - حق المرأة فى التعليم:

يهتم الشيخ بحق المرأة فى التعليم أبلغ اهتمام، لأنه يرى أن تعليم المرأة وتنقيفها روحيا وعلميا يؤدى إلى السمو بالمرأة فى روحها وذاتها، ويعود بالنفع على أسرتها، وعلى أمتها على السواء، ويرى كذلك أن تجهيل أكثر من نصف الأمة الإسلامية ليس من مصلحة أحد، إلا أعداء الإسلام المتربصين به الدوائر والأوقات والأزمان فيقول: كنت أتحدث فى أحد الأندية عن حقوق المرأة المسلمة، فقلت: إن لها حق الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، و تدريس هدايات الاسلام و مجادلة الملحدين فيها.. فإذا يقول شخص لصاحبه: كنا نظن هذه المحاضر رجلا صالحا، فتبين أنه ألعن من قاسم أمين.

ونذكر ما قاله الأستاذ/ أحمد موسى سالم عن قاسم أمين، وعن الدور الذى قام به فى الدفاع عن الإسلام ضد الغزو الثقافى الفرنسى الذى حمى و اشتاد فى عصره..

وكان دور قاسم أمين فى هذا الحوار جاهزا: ¹ وكان محوره الأساسى هو المرأة ² فى الشريعة الإسلامية، وكانت المبادرة التى خاضها مع الخصم الفرنسى دوقدار كور" الذى اصدر سنة ١٨٩٣ كتابا عنوان به مصر و المصريون "تن اول فيه حياة المجتمع المصرى أيام الحكم المملوكى، والتركى وهى فترة بلغت ستة قرون عجاف، تراجعت فيها خصائص الحياة عن جمهرة الأمة الإسلامية، مما جعل "دوق دراكور" يبسط قلمه بالأذى ويرسم صورة قاتمة، وبذيئة للشعب كله، ويخص المرأة بمزيد من التجريح والريزية.. ويرد ذلك كله إلى طبيعة الإسلام، والمتأبىة على الترقى والحضارة.

ماذا فعل قاسم أمين ليدافع عن دينه وأمتة؟ سارع إلى تأليف كتاب بالفرنسية فند فيه أقوال خصمه، وشرح حقوق المرأة فى الإسلام، وما كلفه الدين لها من كرامة مادية وأدبية، ووازن قاسم أمين بين حجاب السترة والاحتشام عندنا، وبين تبذل المدنية الحديثة، وما أحاطت به أوضاع المرأة من انحلال وتهتك. إن ما فعله قاسم كان مملوكا بأمرين أولهما الدفاع عن الإسلام المفهوم من مصدرية الرئيسيين، والآخر الاعتذار عن تخلف المرأة من تقاليد غريبة عن التوجيه الالهى، ناشئة عن أخطاء الشعوب وما يستطيع الرجل أن يفعل إلا هذا. هاب أن أوربا أو أمريكا اتهم الإسلام بأنه يحظر على المرأة الذهاب إلى المسجد، وأن الإسلام بهذا الحظر دين شاذ، لأن الأديان كلها لا تمنع النساء من التردد على بيوت الله تعالى، أو على معبدها الخاص بها، فماذا أقول له؟ أصدقه فى اتهامه؟ أم أقول له: أن هذا الحظر ليس من تعاليم الإسلام، وإنما هو من تقاليد بعض البيئات. أدافع عن الإسلام صادقا؟ أم أدفع عن المنتمين إليه كاذبا؟ ³ فى الفقرة السابقة يوضح الشيخ حاجة المرأة المسلمة إلى التعليم، وأنه حق من حقوقها الشرعية والإنسانية، وأن أعداء الإسلام استغلوا تخلف المرأة المسلمة للهجوم على الإسلام، و اتهمه بالتخلف، ثم يظهر تعاطفه مع قاسم أمين فى دفاع به عن المرأة فى

¹ الجدل الدائر حول الإسلام وأنه ضد المرأة.

² يعرض الشيخ الغزالى صورة طيبة لقاسم أمين.

³ الشيخ محمد الغزالى: قضايا المرأة بين التقاليد الرائدة والوافة ص ١٧، ١٨ طر دار الشروق، ١٩١٩ م.

الإسلام، وأن تخلفها ليس من الإسلام، وإنما هو من تقاليد وعادات الشعوب الإسلامية، وأن الإسلام كفل للمرأة الحرية والكرامة والتعليم مثل الرجل سواء بسواء، ولسهل مرد الفعل عند قاسم أمين كان قويا مما عرضه للانتقاد فيما بعد.

إلا أن ما يلفت النظر أن الشيخ بدأ حديثه بإيراد حق المرأة في الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدریس هدايات الإسلام، وكلها أمور لا تتم إلا بالتعليم والتثقيف للمرأة، ويساور النفس هاجس أن المرأة لو اشتغلت بالدعوة إلى الله تعالى وكثر عدد النساء اللاتي يمارسن الدعوة بين اخواتهن من النساء، فإن عدد المثل الأعلى الطيب كان سيزداد في المجتمع الإسلامي، فالمرأة الآن حينما تنظر إلى المتفوقات من النساء فستجد أنهن تفوقن في مجالات كثيرة إلا التفوق في العلم الديني، وربما استحوذ على فكرها المثل السيبي بين النساء فنظرت إلى تفوق بعض النساء في أعمال تدور كلها حول الشهوة وأسعار نارها في نفوس الآخرين.

ويعقب الشيخ الغزالي على تعليم المرأة لتقوم بواجب الدعوة قائلا: (وقد رأيت في أواخر عصر الجاهلية، وبدايات عهد الإسلام، أن المرأة حضرت بيعه العقبة دون اعتراض، وبايعت على الموت تحت الشجرة أو على عدم الفرار، وكان مستحيلا أن

يؤذن بذلك في أواخر التاريخ الإسلامي، فماذا يعنى هذا الوضع¹

وعن الظروف التي مرت بها المرأة المسلمة في مصر يقول: (إن تعليم البنات في مدارس خاصة، بدأ بعد الاحتلال البريطاني لمصر، فإن التقاليد السائدة كانت تفرض الأمية على النساء باسم الإسلام.

ومع غزو المرأة للفضاء في العصر الحديث، فإن أناسا عندنا يقاتلون دون أن تصلى المرأة في المسجد، يقولون بيئتها أولى بها، ويوم يتقرر هذا الموقف في الأرض الإسلامية، فإن مجون الحضارة المنتصرة لن يجد أمامه عائقا أبدا.²

ويرى الشيخ أن ترك تعليم المرأة لا يساعد سترها واحتشامها، كما يظن أولئك الذين فرضوا عليها الأمية، بل تعتبر أمية المرأة وجهلها طريقا سهلا لوصول الضار من الحضارة الحديثة إليها، خاصة فيما يتعلق بزينة المرأة وتبرجها وسفورها، ولا يعصم المرأة من الانزلاق إلى الدرك الأسفل من الأخلاق إلا العلم وبلوغ أعلى الدرجات فيه.

¹ المصدر السابق ص. ١٩.

² المصدر السابق ص ٢٢.

ويغضب الشيخ لنقل مرويات- ليست حقيقية- عن كبار الصحابة تقف ضد تعاليم المرأة فيقول: غضبى يشتد عندما أرى كلاما يخدش كرامة الإنسان، وينال من رسالته، فقد سألتني أحد القراء عن حكم قرأه في مصدر إسلامي مهم، أن عمر منع النساء من تعلم الخط، وكأنه يرى الأمية أولى بسهن، فأجبت ساخرًا: ولم تكون الأمية حكرًا عليهن وحدهن، ينبغي أن تشمل الزوجين الذكر والأنثى تمشيا مع الفهم الأعوج لحديث "نحن أمة أمية"¹ إن الحديث الذي يمنع النساء من تعلم الكتابة مكذوب، وكل خير يهون من شأن العلم بما في الأرض والسماء لا يوثق به، وقد ورد وصف الأمية في الكتاب والسنة للعرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، على أنه واقع معروف عالميا، ومحليا، وهذا الواقع زال مع نزول القرن الكريم، وانهمار غيولت من المعارف مع آياته البينات (ولكن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم، مالك من الله من ولى ولا نصير)²

(بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون)³ وعلى الرجال والنساء أن يزدادوا علماء وألا يشبعوا من فنون الثقافات التي تتاح لهم).⁴

ثم يقول عن العادات التي يقيمها الناس ثم بألفونها بعد فترة من الزمن: (هل هذه تقاليد إسلامية أم عادات أنشأها الناس من عند أنفسهم، ثم جعلوها دينًا؟ وباسم الحجاب قامت تقاليد تزدرى المرأة وتؤخرها، وترفض منحها الحقوق الأدبية والمادية التي أقرها لها الإسلام فماتت إنسانيتها على مر القرون، وتولى كبر ذلك كله متدينون جهلة، يحسبون التقوى تجهيل المرأة وإذلالها.

¹ الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال حديث رقم به ١ ج ٧٩١/٢ ط الحلى.

² سورة البقرة: 120

³ سورة العنكبوت: 45

⁴ الصدر السابق ص ٢٣، ٢٤.

إن أى مطالع للقرآن الكريم والسنن الصحاح، يرى المرأة جزءا حيا من مجتمع حى، فهي تتعلم وتتعبد، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجاهد إذا شاعت - فى البر والبحر، وتتؤخذ منها البيعة على معاهد الإيمان والأخلاق، وتعارض الحكم أو تؤيده.. إلخ.

ودخل التحريف على تعاليمنا وتقاليدينا، فإذا المرأة "كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير" ..

وقال لى صديق: عندما أمر الملك فيصل البنات تحولت أسرع عن البلد الذى أنشئت فيه أول مدرسة، وكرهت أن ترى هذه البدعة المنكرة.

ولا يزال نفر من علماء الدين يكرهون وجه المرأة، ويحملونها مسئولية خروج آدم من الجنة، كما زعم اليهود فى كتبهم، ويرون الدين امسالك النساء فى البيوت حتى يتوفاهن

الموت، وحرمانهن من أى نشاط عام.. وأعتقد أن هؤلاء العلماء القاصرين لو كانوا على عهد رسول الله ﷺ، لطالبوه بطرد السيدتين اللتين حضرتا بيعة العقبة الكبرى وقالوا له: ما للنساء وهذه الشئون؟ ولو كانوا موجودين عند فتح مكة لقالوا له:

حسبك بيعة الرجال، وهم يعلمون نساءهم، أما استخراج النساء للبيعة فقد يكون سببا فى غرورهن وجراتهن.

هذه العقلية المتخلفة فرضت نفسها طويلا على دين الله تعالى، وبعد أن أعانت أقدار حسنة على زلزلة سلطانهم، رأيناهم يستमितون فى إخراج المرأة المسلمة، وتعكير مستقبلها بفتاوى مكذوبة على الإسلام¹

يركز الشيخ على تحكيم التقاليد و العادات فى سلوك المسلمين، وأوضح صورة لهذا التحكم هو ترك المرأة بدون تعليم، ويوضح ما كان للنساء من شأن فى نهاية الجاهلية وبداية الدعوة الإسلامية، حيث كانت المرأة تتابع على الإيمان والأخلاق، وتتابع على بذل النفس والمال وكانت تتعلم وتعلم فى أن واحد، وكأنه يوجهنا إلى أن المرأة لم تحصل على حقها- ففى نهاية القرن الرابع عشر الهجرى- الذى حصيلات عليه فى بداية القرن الأول وقد استشهد بحديث صحيح- لا تمنعوا أماء الله مساجد الله- وذهاب المرأة إلى المسجد يساعدها على التعليم والعبادات فى وقت واحد.

¹ الشيخ محمد الغزال: دستور الواحدة الثقافة بين المسلمين ص ١٣٢: ١٢ ط دار الشروقى ١٩٩٧ م.

ثم هو يركز على أن ترك المرأة بدون تعليم فيه مخالفة للشرع وإهدار
لكرامة المرأة وموت لإنسانيتها.

أضف إلى ذلك أنه تجهيل لنصف الأمة أو يزيد، ولهذا أثاره التي تتداعى مع
الزمن فتسبب الضعف والوهن فى جسد الأمة الإسلامية.

ونخرج من هذا إلى أن الشيخ يركز فى تعليم المرأة على ما يلى:

1 – أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

٢ – أن القرآن الكريم والسنة الصحيحة يحضنان على طلب العلم بكل الوسائل
المتاحة.

3 – أن الأمة الإسلامية لم تعد أمة أمية بعد نزول القرآن الكريم وتفجر
المعارف العلمية والعالمية من فهمه وتطبيقه.

4 – أن ما جاء من أحاديث تنهى عن تعليم المرأة هى أحاديث لا تصل إلى
مرتبة الصحة.

هـ – أن تضافر المجتمع الإسلامى فى عدم تعليم المرأة يعود إلى العادات
والتقاليد ولا يعود إلى الإسلام.

6 – أن المرأة الجاهلة خطر على نفسها وقومها فى أن واحد.

7 – أن المرأة الجاهلة تكون طيعة القياد يسيرة الانحراف مقلدة لكل ما تجد من
عناصر الحضارة المنتصرة حضارة أعداء الإسلام.

8- لا يكتفى بتعليم المرأة فقط، بل يطلب منها التفوق فى العلم الذى تدرسه،
وتصل فيه إلى ما يساعد هذه الأمة وينهض بها من كبوتها.

9 – على المرأة القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى وتعليم بنات جنسها هدايات
الإسلام، وما فيه من خير لكل البشر.

حق المرأة فى العمل:

حق المرأة فى العمل من الأمور التى يوليها الشيخ اهتماما خاصا، لأنه لا
يتصور الأمة الإسلامية وهى تعمل بشطرها فقط، ولكنه يضع الكثير من
الضوابط على الخروج للعمل من قبل المرأة مع التنبيه المتكرر على أن عمل
البيت بالنسبة للمرأة يعتبر أهم أعمالها على الإطلاق حيث رعاية الزوج،
وتربية النشئ تربية جيدة، فإذا تخففت المرأة من هذه المسئوليات لسبب أو لآخر
وتفوقت فى جانب من جوانب العمل العمراني، أو لم تجد

من يعولها ويعول أطفالها فى حالة فقد الزوج، فلا بأس بخروجها للعمل،
وسيضاف جهدها إلى حصيلة أمتها من عمل الأفراد العام، وهناك كثير من

المهن يفضل فيها النساء على الرجال مثل تطبيب النساء النساء وتعليم الأطفال في المراحل المبكرة من العمر، وهكذا هناك خروج للضرورة الخاصة، وهناك خروج للضرورة العامة، فالضرورة الخاصة: حاجة المرأة نفسها للعمل والارتزاق، والضرورة العامة: حاجة المجتمع المسلم لعمل المرأة وتقديم ما عندهما من علم وخدمة وخبرة لهذا المجتمع.

وفى هذا يقول الشيخ: إن للمرأة أن تخرج للصلوات الجامعة خمس مرات في اليوم، ولها أن تخرج إلى حوائجها في الأسواق والمحال التجارية، ولها أن تخرج مع الجيش، إذا كانت لديها مهارة عسكرية أو طبية أو هندسية، والعصر الذي نقنّدى به أو نقنّس منه هو عصر النبوة فهو خير القرون يقينا، أما عصور الانحراف أو الجهالة فلا يقاس عليها، ولا يتأسى بها..

كتب الزعيم السلفى عبد الحميد بن باديس¹ عن "الربيع بنات معوذ" فقال إنها حضرت بيعة الرضوان وكانت ممن يغزون مع النبي ﷺ، مع نساء أخريات، يخدمن الجيش، ويسقين الماء، ويداوين الجرحى، ويحملنهم إلى المدينة..

ثم قال ابن باديس بعد ما شرح موقف الدين من المرأة، إنه لا بد من مراعاة ما يفرضه عليهن الإسلام من تصون، وعدم تبرج، وعدم اختلاط، ولن تكتمل حياة الأمة إلا بشطريها، الذكر والأنثى، وكشف الرجل عن قيمة ما رواه الطبراني عن عائشة مرفوعا- في شأن النساء- "لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل، وسورة النور"²

وقد أعلننا نحن أسانا من أن هذا الحديث الموضوع يحكم المجتمع الإسلامى من قرون، أما السنن المتواترة والصحيحة والحسنة، فقد تم تجميدها بطريقة غريبة، وبذلك يتدحرجون إلى العالم الثالث، ويتزاحمون في ذيل القافلة البشرية، لفقدان التربية الصحيحة، ولا تربية مع جهالة المرأة، وعزلها عن العلم والعبادة ودعوات الخير وشئون المسلمين.

¹ الشيخ / عبد الحميد بن باديس راند الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة (1306هـ/ 1359هـ) (1889م/1940م)

² هذا الحديث موضوع - أنظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكان ص 114 حيث يقول: (رواه الخطيب عن عائشة رضى الله تعالى عنها - مرفوعا - وفي أسناده محمد بن إبراهيم الشافعى كان يضع الحديث. ملاحظة: يأتى القرطى هذا الحديث في الجامع لأحكام القرآن صدر سورة النور، ويتركه بدون تعليق ليوهم من يقرأ أن الحديث صحيح، أى أن هذا النهج لا يقتصر على القرطى وحده يتغياه بعض المفسرين، ويؤدى هذا إلى خلط كثير وى عقول السلمين. المؤلف.

1980 أنظر له إلامع لأحكام القرآن ٨/١٢ طر دار احياء التراث العربى 1985

وأنظر أيضا تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة بزيادة (وعلموهن الغزل) 2/ 209

وإيضاح أخير: أن الرجل قد يقول عن نفسه: أنا لا أذهب إلى المقاهي والاندية، حياتي بين عملي و بيتي، ان دلالة هذا القول معروفة، وهي لاتعنى أبدا أنه لا يذهب إلى المساجد، أم لا يتردد على الأسواق، كذلك الأمر بقرار المرأة في البيت، أنه

لفت إلى وظيفتها العتيدة، من حيث هي ربة بيت وقيمة على الأسرة، ولا يعنى ذلك أبدا أنها سجينه لا تخرج إلا إلى القبر.. أو الزوج..¹ ويقول: فالمسجد والشارع وأرجاء المجتمع يوجد فيها الجنسان تحكمهما هذه الأداب، عدم التبرج والاثارة، غض البصر والتزام العفة، انشغال كل مسلم ومسلمة بالأغراض المشروعة التي خرج من أجلها.

وقد تواتر ذلك في حياة السلف الأول فوجدت المرأة في المساجد، بل تبعت الجيوش المقاتلة، يحيط بها سياج من آداب الإسلام المقررة، وأعرف أن هناك آثارا واهية نبذها أصحاب الدقة العلمية في تمحيص المرويات، و لم يذكرها عالم ببيروى الصحاح، ولا احترمها فقيه ينقل حقائق الإسلام، مثل ما روى عن فاطمة"إن المرأة لا ترى رجلا ولا يراها رجل".

ومثل حديث منع الرسول بعض نسائه"أن يرين عبد الله بن أم مكتوم"² وتلك كلها أخبار لا تساوى الحبر الذى كتبت به، وهي ظاهرة التناقض مع مقررات الكتاب والسنة المقطوع بثبوتها ودلالاتها.

ولكن هذه الروايات المنكرة من الناحية العلمية، هي التي صنعت الفكر الإسلامى في العصور الأخيرة وفرضت الأمية والتخلف لا على المرأة وحدها، بل على نظام الأسرة وكيان المجتمع، وطبيعة التشريع..

أن هناك عقولا معتلة تتعشق الآثار المعتلة، وتبنى عليها ما تهوى من أحكام، والإسلام النقى برى من هذه الانحرافات. أننا في عصر شاركت المرأة الرجل غزو الفضاء، فلا يجوز أن تترك القاصرين يثيرون على ديننا التهم، وينقلون إلى الناس مافى نفوسهم من علل³.

و يقول: المرأة عندنا ليس لها دور ثقافى ولا سياسى، ولا داخل لها فى برامج التربية، والا نظم المجتمع، و لا مكان لها فى صحن المساجد، ولا ميادين الجهاد.

¹ الشيخ محمد الغزالى: الحق المرخصى 60، 61 ط ٢ دارالحيل بيروت ١٩٨٧

² أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب قوله تعالى(وقال للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) 4/ 63، 64 ط المكتبة المصرية بيروت

³ الشيخ محمد الغزالى: الق المر ص ١١٨، ١١٩ ط دارالشروق ١٩٨٩

ذكر أسمها عيب، ورؤية وجهها حرام، وصوتها عورة، وظيقتها الأولى والأخيرة إعداد الطعام والفراش. المرأة اليهودية تشارك مدنيا وعسكريا في قيام إسرائيل، وهاهى توشك أن تكون ملكة فى البيت الأبيض تضع المسات الأخيرة فى الإجهاز علينا ولا يزال نفر من أدعياء التدين يجادلون فى حق المرأة أن تذهب إلى المسجد تحضر الجماعات، أننا نموت قبل أن يحكم علينا غيرنا بالموت، فهل نعى ونرشد¹؟

ويقول: والإسلام لم يمنع المرأة من الجهاد، إذا قدرت عليه، وأوجه عليها وعلى الرجال جميعا عند الدفاع عن دار الإسلام. إن شخصية المرأة ولدت مع مجى الرسالة الإسلامية..

جاء فى دفاع الشيخ عن حق المرأة فى العمل، أن المرأة اليهودية تتشارك مدنيا وعسكريا فى قيام إسرائيل، والحقيقة أن الصراع الحضارى بين الإسلام وأعداء الإسلام، يحتاج إلى جهد كل إنسان مسلم رجلا كان أو امرأة، والجدل الدائر حول المرأة يدل دلالة واسعة على المناخ السائد فى الفكر الإسلامى فى العصر الحديث فالمرأة عملت فى القرآن الكريم وفى أصعب الظروف التى يستحيل معها العمل، وكان العمل شرطا لإنقاذ حياتها، فها هى مريم عليها السلام وهى تعالج المخاض- فى ظروف قاسية- تحتاج إلى الطعام فيأمرها من تحتها بهز النخلة من جذعها لكى تنزل عليها الرطب، قال تعالى(وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)² وكان من الممكن أن تسقط هذه الرطب من غير جهد يذكر، ومع هذا طلب من مريم بذل الجهد للحصول على الرزق وهذا ليس أبلى دليل على عمل المرأة فحسب، بل على وجوبه فى بعض الأحيان.

ووجد نبي الله تعالى موسى عليه السلام إمرأتين(.. تذودان قال ما خطبكما قالت لا نسيقى حتى يصدر الرعاع وأبونا شيخ كبير)³ امرأتان تمارسان العمل وقد ساعدهما نبي الله تعالى موسى عليه السلام فى عملهما وعمل المرأة فى السنة الشريفة متواترة ولا ينكره أحد خاصة فى خير القرون قرن النبى ﷺ.

¹ الشيخ الغزالى: قضايا المرأة بين التقاليد الرائدة والوافدة ص ٢٢

² سورة مريم: ٢٥

³ جزء من الآية ٢٣ سورة القصص

وقد ساق الشيخ- فى دفاعه عن عمل المرأة- فكرة جديدة و جريئة فى نفس الوقت، وهى اعتبار القرار فى البيت التزاما بالواجب الأول للمرأة- رعاية الأسرة- وليس سجننا لا يعنى الخروج نهائيا، والمعنى فى القرآن الكريم(و قرن فارسى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى..¹)

وحكى الإمام القرطبى مذهبين عن النحاس، أحدهما ما حكاه الكسائى بمعنى البقاء فى المنزل والآخرين عن على بن سلمان:(وهو من قررت به عينيا أقر، والمعنى: وأقررن به عينيا فى بيوتكن قال وهو وجه حسين)²، بمعنى أن تعيش فى حالة من الرضا، وعلى هذا يكون رأى الشيخ فى القرار بمعنى الالتزام بواجبات الأسرة، وأن هذا لا يمنع الخروج للعمل والعبادة، رايًا صحيحًا له وجاهته من هذه الزاوية على قول على بن سلمان. ويرى الاستاذ سيد قطب أن(قرن فى بيوتكن)من وقر يقر: أى تقل واستقر، وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحها إطلاقًا، إنما هى إيماء لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل فى حياتهن)³.

إلا أن الأستاذ سيد قطب يتشدد فى خروج المرأة للعمل ولا يبيحه الا للضرورة القصوى و كتب فى ذلك كلاما طيبا يمكن الرجوع إليه لمن أراد الاستزادة.

إلا أن بيت القصيد فى كلامه: أنه لا يجعل(قرن)بمعنى ملازمة البيوت وهو يتفق مع الشيخ الغزالى فى الدلالة اللفظية لكلمة(قرن)ويختلف معه فى التفرع عليها. وبهذا يتضح أن الشيخ الغزالى يجعل حق العمل حقا ثابتا للمرأة فى حالة الضرورة الخاصة أو العامة على السواء.

حق المرأة فى الخروج من البيت للعبادة وغيره أم لا الحاجات المشروعة: يهتم الشيخ بقضية خروج المرأة من بيتها لحاجتها الشرعية اهتماما شديدا، وهذه الفكرة تلح عليه فى كثير من كتبه لأنه يعتبر مساهمة المرأة فى البناء العلمى والحضارى للأمة الإسلامية مساهمة مطلوبة تفرضها الحاجة وتحتمها الظروف، لكنه يضع بعض القيود بحيث يجعل هذا الخروج فى خدمة الدين والدنيا للمسلمين، ومن خلال التحشم ومراعاة الأداب الإسلامية لأقصى درجة ممكنة، ومن هنا يفهم موقف الشيخ من خروج المرأة أنه خروج للاسلام، وليس

¹ سورة الأحزاب:33

² الإمام القرطبى: الجامع لأحكام القرآن 14 / 179 ط دار أحياء التراث العربى ١٩٦٤ م.

³ ظلال القرآن ٥/٢٨ طدار الشروقى

خروجاً عليه، وفي السطور التالية سوف تتجسد فكرة خروج المرأة عند الشيخ والضوابط التي وضعها لهذا الخروج.

يقول: (ومن ثم كانت الجماعة من معالم الدين، وبعض الفقهاء يرى الجماعة فرضاً للصلوات الخمس ولا يسقطه إلا عذر صحيح، ولكن الذي عليه الجمهور أن الجماعة سد سنة مؤكدة..

فهل هي سنة مؤكدة للرجال والنساء على السواء؟ كذلاه. يقول الظاهرية، ولكن الأمر يحتاج إلى تأمل.

فقد صح في السنة أن المرأة راعية في بيتها وهي مسئولة عن رعيته¹

ولا ريب أن شئون الأولاد خصوصاً الرضع، وإعداد البيت لاستقبال الرجل العائد من عمله، كل ذلك يحول دون انتظام المرأة في الجماعات الخمس، ولذلك نرى أن حضور الجماعات مطلوب منها بعد أن تفرغ من وظائف بيتها، فإذا قامت بما عليها فلا يجوز لرجلها أن يمنعها من الذهاب إلى المسجد وقد جاء في الحديث (لا تمنعوا أماء الله مساجد الله). ونحن موقنون بأن النبي ﷺ جعل أحد أبواب المسجد خاصاً بالنساء، وأنه أقامهن في الصفوف المؤخرة من المسجد- وذلك أصون لهن في الركوع والسجود- وأنه زجر الرجال الذين يقتربون من صفوفهن كما زجر النساء اللاتي يتقدمن قريباً من صفوف الرجال وقد بقيت صفوف النساء في المسجد طيلة العهد النبوي، وأيام الخلافة الراشدة، لم يشغب عليها شاغب، تبدأ مع الفجر وتنتهي عند العشاء، وربما قامت للنساء جماعات حاشدة لصلاة التراويح في رمضان، ومعروف أن اشتراكهن في صلاة العيد وسماع الخطبة من شعائر الإسلام.

بيد أن الازدهار الذي أحدثه الإسلام في عالم المرأة أخذ يتعرض للذبول والتلاشي، فوضع حديث يمنع تعليم النساء الكتابة، كي يبقين على أميتهن الأولى.

لحساب من تعود هذه الجاهلية؟ وعندما يفرض على نصف الأمة الجهل والعمى، فكيف تنشأ الأجيال المقبلة؟ ثم شاع حديث آخر يأبى على النساء حضور الجماعات كلها، بل طلب من المرأة إذا أرادت الصلاة في بيتها أن

¹ صحيح البخارى 1/1 لك الجمعة وأول الحديث (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)

تختار المكان الموحش المعزول، فصلاتها في سرداب أفضل من صلاتها في الغرفة، وصلاتها في الظلمة أفضل من صلاتها في الضوء.

ورأى هذا الحديث يطوح وراء ظهره بالسنن العملية المتواترة عن صاحب الرسالة، وينظر إلى المرأة المصلية وكأنها أذى يجب حصره في أضيق نطاق وأبعده، ولنقرأ هذا الحديث الغريب كما ذكره ابن خزيمة وغيره: (عن أم حميد امرأة حميد الساعدي أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معاك، قال: قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجد)¹ قال الراوى فأمر فبنى لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصل سياسى فيه حتى لقيت الله عز وجل.

والبيت في الحديث هو غرفة النوم، والحجرة غرفة الجلوس، والصلاة في الأولى أفضل من الصلاة في الأخرى، وكلما ضاق المكان واستوحش كانت الصلاة فيه أفضل، ويجعل ابن خزيمة عنوان الباب الذي ذكر فيه هذه القضايا صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في مسجد رسول الله، و أن قول النبي عليه الصلاة والسلام "صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد" إنما أراد به صلاة الرجال دون صلاة النساء.²

والسؤال الملح: إذا كان هذا الكلام صحيحا، فلماذا ترك النبي النساء يشهدن معه الصلاة طوال عشر سنين من الفجر إلى العشاء ولماذا خص أحد أبواب المسجد لدخولهن؟ ولماذا لم ينصحن بالبقاء في البيوت، ولماذا قصر صلاة الفجر على سورتين صغيرتين عندما سمع بكاء رضيع مع أمه حتى لا ينشغل قلبها؟، ولماذا قال "لا تمنعوا أماء الله مساجد الله" ولماذا استبقت الخلافة الراشدة صفوف النساء في المساجد بعد وفاة الرسول الكريم؟.. ولم يجى في أحد الصحيحين ما يفيد منع النساء من الصلاة في المساجد.. وقد أتت على المسلمين عصور ماتت فيها السنة الصحيحة، ولا تزال هذه الماساة باقية تتعصب لها بيئات لا تعرف إلا المرويات المتروكة والمنكرة.

1 - الحديث أخرجه ابن خزيمة عن أم حميد. وفي نفس السياق روى الإمام أبو داود بسنده عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاته في حجرًا وصلًا في مخدعها أفضل من صلاها في بيتها، أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب التشديد في ذلك 1/1 هـ ط المكتبة العصرية بيروت زوربما عالج هذا الحديث جانباً آخر من صلاة المرأة في حالة خوف الفتنة ولا علاقة له بصلاة الجماعة لأن صلاة الجماعة تضمن العفاف للمرأة.

² الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده 1/ 284، 2/ 528، 3/ 343 ط دار صادر بيروت

ولا يقبل زاجر المرأة عن حضور الجماعات إلا إذا كانت متبرجة، فإن الذهاب للمساجد ليس استعراضاً للزينات، وبعثرة للفتن، أنه سعى لمرضاة الله تعالى، وغرس للتقوى، وحجز النساء عن هذا الشر هو بتنفيذ وصية رسول الله ﷺ "يخرجن تفلات"¹ أى فى ملابس عادية وهىئة طبيعية لا تعطر ولا تبخر.. أما إصدار حكم عام بتحريم المساجد على النساء فهو مسالك لا صلة له بالإسلام.² فى نهاية الفقرة السابقة يتضح منهج الشيخ فى دعوته لخروج النساء للمساجد وللحاجات الشرعية ومنها العمل وكسب الرزق فى بعض الأحيان، ويتبسط بح هذا من تعليقه على الخروج بحديث (يخرجن تفلات) ويتبع الحديث بقوله: أى فى ملابس عادية وهىئة طبيعية لا تعطر ولا تبخر، ويقول: يجلب منع النساء عن المساجد فى حالة الخروج —، لأن الذهاب للمساجد ليس استعراضاً للزينات، وبعثرة الفتن.

وخلاصة منهجه أنه مع الخروج المتسق مع شارع الله تعالى، وضد الخروج على شرع الله تعالى، وسنة رسوله الله عليه وسلم.

يضيف الشيخ إلى آرائه السابقة بعض الصدور التي ويحسبها القارئ تكراراً لما سبق، ولكنه نوع من تحديد الملامع داخل الصورة المعروضة لمزيد من الإيضاح والتحديد فيقول: (منذ افتتاح المسجد النبوى بعد الهجرة إلى أن لحق النبى ﷺ بالرفيق الأعلى، والنساء يصلين فيه، والباب المخصص لهن لم يغلق قط، أى أنهن أدير فيه، بين سبعة عشر ألف ثمانية عشر ألف صلاة وهذا من المتواتر المستيقن.. وقال بعضهم: لقد روى عن عائشة أم المؤمنين (لو رأى رسول الله

ﷺ - ما أحدث النساء بعده لمنعهن كما منعت نساء بنى إسرائيل)³

إن عمر بن الخطاب أمر سلمان بن أبى حثمة أن يؤم

النساء فى مؤخرة المسجد فى شهر رمضان، وكان على رضى الله عنه يأمر النساء بالقياسام فى رمضان فيجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً. قال: عجرة - الروى فأمرنى فأمت النساء.

¹ الحديث أخرجه ابو داود فى كتاب الصلاة باب ما جاء فى خروج النساء إلى المساجد 1 / 155

² الشيخ محمد الغزالي: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 11 - 14 ط دار الشروق ١٩٨٩ م

³ الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب التشديد فى ذلك ١/ ١٠٦، ١٠٦ ط المكتبة العصرية. بيروت.

وروى الزهري: أن عاتكاسة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب، كانت تشهد الصلاة في المسجد، وكان عمر يقول لها: والله أنك لتعلمين أني ما أحب هذا، فقالت: والله لا أنتهي حتى تنهاني، قال عمر: فإني لا أنهاك، فلقد طعن عمر يوم طعن وإنها لفي المسجد.

أما ما روى عن عائشة من رفض صلاة النساء في المسجد، فهو يفتح بابا لإلغاء شعائر الإسلام، ومن الممكن أن يقول أى إنسان: لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجره إقامة الحدود من تهم للإسلام لألغى الحدود.

إن هذا القول يعنى أن بعض أحكام الإسلام موقوت، يبقى لظروف خاصة، فإذا انتهت الظروف ألغيت، والظروف الجديدة الطارئة لا يعلمها صاحب الرسالة فى حياته ولذلك لم يحدث لها تشريعا..

وهذا التفكير باطل كله لأن الله تعالى يعلم ما كان ويكون، وقد أذن للنساء بالصلاة فى الجماعات، وأمرهن بالذهاب للمسجد محتشمات قانتات عابدات. ومن خرجت على حدود الأدب، ومطالب الحياء منعت من دخول المسجد، وكان ذلك عقابا لها.. أما الحكم على جميع النساء بعدم الصلاة فى المساجد لأن إحداهن قد تكون متبرجة فهذا تعميم مرفوض.. والغريب أن النساء من عن المسجد وحده، أما غشيان الأسواق والانطلاق فى الشوارع، فلا حرج فيه.

أن تحريم المساجد على النساء كما تفعل شعوب إسلامية كثيرة (وقف) وراء الانهيار الخلقى، وفقدان التربية الذى أودى فى هذه الحياة.¹

ويقول: لو قام فى هذا العصر مجتمع إسلامى واضح المعالم، فى بيان مكانه المرأة، وميدان عملها، ومجال نشاطها لاخفى من الدنيا فساد كبير. إن أصحاب الطباع السليمة يكرهون الاختلاط المسعور والتكشف الفاضح هناك، واستخفاء جو الأسرة، وانطلاق الغرائز دون ضابط وهم يتطلعون إلى بديل أفضل فلا يجدون.

والغلاة- من المسلمين- يخفون عن عمد وسوء قصد أن المسلمات كن يصلين فى المسجد الصلوات الخمس من الفجر إلى العشاء، وكن يشاركن فى معارك النصر والهزيمة، وكان يشهدن البيعات الكبرى، وكان يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، كانت المرأة إنسانا مكتمل الحقوق المادية والأدبية، وليست نفاية اجتماعية كما يفهم أولئك المتطرفون الجاهلون.

¹ الشيخ محمد الغزالي: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافده ص 196، 197

ويقول الأستاذ أحمد موسى سالم: "الشرع في حكمة الخالق وعدله هو نصير المرأة ومنصفها ومائحها كل الحقوق التي تقررات الرجل، والتي تكفل حرية ارادتها في علاقتها به وتعاملها معه، وهذا المعنى يؤكد قاسم أمين في كتابه تحرير المرأة حين يقول¹: (سبقت الشريعة الإسلامية كل شريعة أخرى في مساواة المرأة بالرجل، فأعلن الإسلام حريتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، ومنحها كل حقوق الإنسان، وأعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها، وهذه المزايا لم تصل إليها حتى الآن بعض النساء الغربيات).

إن حاجة العالم إلى الإسلام ملحة، بيد أن أناسا من ذوى الجهالة والجرأة لا يعلمون ويكرهون من يعلم، ولا يعملون ويكرهون من يعمل، وقفوا في هذا العصر سدا أمام تيار الإسلام، يعكرون صفوه، ويمنعون ورده، ويصدون الأمم عنه.²

ويقول: كلما رجعت إلى السيرة النبوية ازدادت معرفة بما كان للمرأة من مكانة وبما كفله الإسلام لها من حقوق، لقد كانت لها شخصية مقدوره وأثر يحسب. يقول المحدثون: لما نزل قول الله لنبيه (وأندر عشيرتك الأقربين) صعد رسول الله ﷺ الجبل ونادى: "يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من

الله، يا صفية عمة رسول الله، ويا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله، فإني لا أغنى عنكما من الله شيئا سلاني من مالي ما شئتما³.

إن نداء المرأة بهذا الصوت الجهير شئ مستنكر في عصرنا الأخير، كنا نعد اسمها كشخصها عورة لا يجوز أن يعرف..

لكن المرأة في صدر الإسلام عرفت قدرها، ولما سمعت مناديا يدعو إلى الإيمان سارعت إلى تلبيةه.

¹ وفي النفس شئ من استشهاد الشيخ بكتاب تحرير المرأة لقاسم أمين لأن الأخير ينشد حرية للمرأة قد تتجاوز ما يسمح به الشرع أو ما يرجوه الشيخ الغزالي نفسه. المؤلف

² قضايا المرأة ص ٣٠، ٣١.

³ الحديث. أخرجه الترمذی في كتاب الزهد باب ما جاء في إنذار النبي صلى الله عليه وسلم قومه 554/4، 555 ط مصطفى الحلي.

ويحكي المؤرخون: أن أخت عمر بن الخطاب كانت أسبق منه إلى الإسلام لقد أدمى وجهها عندما علم بإسلامها وهاجمها بقسوة، فقالت له: يا عمر ان الحق في غير دينك، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم أسلم عمر بعدها.

ودخل النساء والرجال في دين الله، وأعطوا المواثيق على اعتناق الحق والعمل به، وانتظمت الصفوف في المسجد النبوي تستوعب الرجال والنساء على سواء.

روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: "ما أخذت (ق. والقرآن المجيد) إلا من لسان رسول الله ﷺ يوم الجمعة يقرأ بها على المنبر في كل جمعة¹ أى أنها حفظت السورة كلها عن ظهر قلب من شدة انتباهها وهى تسمع الخطبة.

وروى البخارى عن سهل بن سعد قبال: كانت منا امرأة تجعل في مزرعة لها "سلقاً" فكانت إذا جاء يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله في قدر ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه، فتكون أصول السلق عرقية (مرقة) قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنى يوم الجمعة الطعامنا ذلك، ولم يكن في الطعام لحم ولا دهن"²

هذه امرأة مؤمنة سمحة تدخل السرور على الناس بما آتاه الله من فضله، ولو فعلت ذلك في عصرنا لأنكر المتزمتون عليها، ولقال كل جري على الفتوى، كيف يلقي عليها السلام؟ وكيف تردده؟ وكيف تلقى الضيوف؟ أن تقاليد المسلمين في معاملة النساء لا تستند إلى كتاب أو سنة³

ويقول: ولست مع ابن حزم في أن النساء والرجال جميعاً سواء في سنة الجماعة، والذي أراه أن المرأة راعية في بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيته، فإذا احتاج الرجل أو الأولاد إلى إعداد طعام أو تهيئة راحة ظلت المرأة في بيتها، ولم يجر لها ال غالب إلى المسجد، وترك البيت مهما ضائعا، ولها ثواب الجماعة التي تخلفت عنها لعذر شرعى، أما إذا قامت

¹ الحديث رواه مسلم في كتاب الجمعة ٢/١٢ ط دار الفكر - بدون.

² الحديث أخرجه البخارى في كتاب الجمعة باب فإذا قضيت الصلاة.

³ قضايا المرأة ص 56، 57

بأمانات البيت كلها فلها أن تلحق بالمسجد، وتشارك في الجماعة، وليس الرجل أن يمنعها، كما جاء في الحديث: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله).¹ قبل التعليق على خروج المرأة إلى الحاجات الشرعية ومنها المسدساجد، نقف على أراء بعض العلماء لحساسية هذا الموضوع.

المغنى: لا يعترض على صلاة الجماعة في المساجد للنساء ولكنه يتحدث عن تنظيمها: "إذا كان مع الإمام رجال ونساء، فالمستحب أن يثبت هو والرجال بقدر ما يرى أنهم انصرفن ويقمن هن عقيب تسليمه قالت أم سلمة:

ان النساء في عهد رسول الله ﷺ كن إذا سلم من المكتوبة قمنا، وثبت رسول الله ﷺ ومن ثبت من الرجال قال الزهري فترى والله أعلم، لكي يبعد من ينصرف من النساء² ولأن الإخلال بذلك من أحدهما، يفضي إلى اختلاط الرجال بالنساء فإن لم يكن معه نساء في يستحب له إطالة الجلوس³

عمل الزوجة خارج المنزل:

يوافق د/أحمد حمد على عمل المرأة خارج المنزل ويقول:

والاتفاق بين الزوجين على أن تعمل الزوجة خارج البيت، يسقط حق الزوج في استقرار زوجته في البيت، أما إذا كان عملها خارج البيت بدون إذن من زوجها فقد اتجه الفقهاء الى القول بإسقاط نفقتها⁴ الإجماع على خروج النساء للمساجد.

ويتضح مما تقدم من نصوص السنة الصحيحة وأقوال الفقهاء أن للنساء الحضور إلى المساجد لصلاة الجماعة، من اعتزالهن صفوف الرجال، ويكون متأخرات عنهم، ولهن الخروج لطلب العلم الضروري لأمر دينهن.

كما يتضح أن أحدا من الفقهاء لم يقل بنسج تلك الأحاديث (التي تسمح للنساء بالخروج إلى المساجد، وغيرها مما ورد في كتب السنة والسيرة، ومن قال بكراهة حضورهن إلى المساجد، مردود عليه بوجوب أداء فريضة الحج على من استطاعت منهن، وبإجماع الفقهاء على من أدت منهن صلاة الجمعة في المسجد، أجزأتها عن صلاة الظهر ولو كان حضورها إلى المسجد محرما

¹ المصدر السابق 125

² رواه البخارى في كتاب الأذان باب انتظار الناس قيام الإمام ٢/٢٤٩ وأخرج عن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام النساء حين يقضى تسليمه وهو يمكث في مقامه يسيرا قبل أن يقوم. أخرجه البخارى وى كتاب الأذان باب صلاة النساء خلفى الرجال ٢/٢ هـ ٣

³ ابن اقدامه القدسى: الغين ١/٩٠ هـ طر عالم الكتاب"بدون.

⁴ د/ احمد جيد: الاسرة ص ٢١٣ ط دار الكتب الامعية طر ١٩٨٩/٢

لبطلت صلاتها الجمعة، ولم ينقل لك عن أحد ممن يعتد به من الفقهاء، بل ولا عن الصدر الأول في الإسلام.

هذا: ولا ينبغي أن يذهب أحد من المسلمين إلى القول بنسخ أحكام ثابتة عن رسول الله ﷺ في كتاب الصحاح من السنة، إذ من يقول بهذا يعتبر كاذبا على رسول الله ﷺ وفي دين الله تعالى.

وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)¹

ومع القول بإجازة صلاة النساء الجماعة في المساجد متأخرات صفوفهن عن الرجال، ينبغي أن يفرد لهن باب للدخول والخروج²

ويرى الدكتور / يوسف القرضاوى أن "صلاة التراويح بالنسبة للمرأة والرجل جميعا، ويجوز أن تؤدى في البيست، ويجوز أن تؤدى في المسجد إلا أن صلاة المرأة في بيتها - بصفة عامة - أفضل.

ولكن إذا كانت المرأة تستفيد في المسجد درسا علمياً أو تسمع موعظة تنتفع بها في دينها، صلاتها في المسجد أفضل لها، فإن طلب العلم والتفقه في الدين فرض عليها.

والحقيقة أنى أرى النساء في هذه الايام محروماتمن التوجيهات الدينية النافعة. والدروس التى تفقها في دينها وتعرفها حق رابها وواجب طاعته، وعبادته والاستقامة على نهجه، كما تعرفها حق زوجها، وحق أولادها.³

التعليق:

بعد استطلاع آراء بعض العلماء قدامى ومحدثين، يتضح بجلاء أن الشيخ محمد الغزالي في دفاعه عن خروج المرأة لتشهد الجماعة في المساجد، وخروجها لحاجاتها الشرعية لم يكن مبتدعا، بل كان مرتكزا على أصل أصيل في الإسلام.

ويلفت النظر أن الشيخ لثقته من عدالة القضية التى يدافع عنها، لم يلجأ إلى إيراد كثير من النصوص التى تعضد موقفه، وتويده و استعمل نصوصا قليلة ما فتى يكررها في كلى كتاب من كتبه يتناول فيه قضية المرأة وخروجها للمساجد

¹ مسلم و كتاب الزهد باب التثبيت في الحديث 4 / ٢٢٩٨، ٢٢٩٩ رقم ٧٢ و احرجهاى مايحة في المقدمة باب التغليظ في تعدد الكذب على رسول الله ﷺ 1 / 13.

² الشيخ جواد القى شيخ الازهر: عوت و فتاوى ٣٧٣/١: ه ٣٧ ط دارالتعاون ١٩٩٢ م.

³ د/ يوسفى القرضاوى: فتاوى معاصرة ٣٣٨/١ ط دارالقلم بالكويت 1996

وللحاجات الشرعية، مثل زيارة الوالد والوالدة، والقيام بالعمل وتحصيل العلم، إذا دعت الضرورة لذلك.

ولكى يصل إلى حل لهذه المعضلة (خروج المرأة) اتجه لحل معضلات أخرى تقف في طريق هذا الخروج مثل: كشف وجه المرأة وصوت المرأة، وهل كشف وجه المرأة وكفيها حلال أم حرام؟ كذلك صوت المرأة هل هو عورة أم ليس كذلك؟

(الفصل الثاني)

حق المرأة في المساواة بالرجل

لك حق، وأحياناً تدخل ضمن قضايا التبشير، ويراد بها إفساد تست الاجتماعى فى بلاد المسلمين.

والشيخ حين يتصدى لهذه القضية يقصد من وراء ذلك القاع عن الإسلام فى مواجهة الخصوم، ورفع الظلم عن المرأة التى لا تجد المساواة بحجة أنها امرأة وهذه هى القضية التى اما الشيخ ضمن قضايا المرأة العديدة.

يقول الشيخ: "هل صحيح أن الدين جعل المرأة أقل رتبة سرل مكانة من الرجال؟"

إن الذين يذهبون إلى هذا الزعم يستشهدون عليه بأن الإسلام جعل نصيب الرجل في الميراث ضعف نصيب المرأة، كما جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل والحق أن في هذا الاستشهاد مغالطة فإن الإسلام لو لم يجعل نصيب المرأة في كرات نصف نصيب الرجل لاختل ميزان المساواة والأصبحت كفة المرأة المادية أرجح.

ذلك أن الرجل مكلف في الإسلام بالإنفاق على المرأة، ويسوق المهر لها إن أراد الزوج، ومعنى هذا أن ماله سوف

يستهلك في الواجبات التي كلف بها على حين يجمد مال المرأة فلا ينقص، فلا أقل من استدراك هذا الحال بزيادة نصيبه في الأرث.

فهذه الزيادة ليست تفضيلاً أدبياً، وإنما هي تعويض مبادئ بحيت.. أما مسائل الشهادات فإن شهادة المرأة تعتبر نصاباً فيما هو من شئون النساء. أما في الأمور الاجتماعية، وشئون المعاملات العامة فالذى لا شك فيه أن الإسلام يجعل وظيفة المرأة أكثرها في البيت، وأقلها في ميدان الحياة الصاخبة.. ومن ثم فهو بهذا الإجراء يريد صرفها إلى ما خلقت له، وإلى ما يناسب خصائصها العتيدة، من أمومة وتربية، ورعاية لجانب خطير في المجتمع الإنساني، وجانب لا يصلح غيرها له.. أما المرأة والرجل بعد ذلك فهما صنوان في المساواة¹ استجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم بعض.²

جادلته شخص وقال له: الله تعالى يقول (وليس الذكر كالأنثى) فقال له الشيخ: (الآية التي ذكرتها بقية كلام لامرأة عمران التي كانت حاملاً فنذرت مافى بطنها سادناً للمسجد، وكانت تنتظره رجلاً، والرجل أقدر على إمامة الناس وإقامة الشعائر من المرأة فلما جاء المولود أنثى هي مريم الصديقة، اعتذرت إلى الله تعالى عن الوفاء بنذرهما قائلة (رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ولكن الرجل قال له: الذكورة على كل حال أشرف من الأنوثة، فقال له الشيخ ؛ تعنى أنك أفضل من مريم لأنك رجل وهى امرأة؟ أن امرأة فرعون أرجح فى ميزان التقوى منك، وإن كنت رجلاً، وكانت هى زوجة جبار من الدعاة إلى النار.

¹ الشيخ محمد الغزال: هذا ديننا ص 44، ط دار الشروق ١٩٨٧ في ط دار الكتب الإسلامية ص. 4: 41.

² سورة آل عمران: ١٩.

ويقول بعد أن شرح موقف الحضارة الغربية من المرأة وأنها تجعلها للمتعة فقط سواء عند اليونان أو الرومان أو فى الحضارة الأوروبية التى تسيطر على العالم الآن: (إن الذى يتدبر القرآن الكريم يحس المساواة العامة بين الذكور والإناث، وأنه إذا أعطى الرجل حقا فلقاء واجب أثقل، لا لتفضيل طائش.¹

تحت عنوان قضية المرأة عندنا وعندهم يقول الشيخ فى الكتاب الضخم الدارس لخطط التنصير بين شعوب المسلمين، نقرأ بابا خاصا بالمرأة، كتبه المؤلفون واهمين أن قضية المرأة ثغرة فى تعاليم الإسلام، يمكن النفاذ منها...

على أننا قبل الشروع فى رد الشبهات، نريد أن نسأل: ما موقف النصرانية من قضية المرأة؟ ونترك الإجابة للكتاب المقدس الذى يشرح علاقة حواء بالخطية الأولى: (فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذى فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتنى فأكلت.. فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية

وقال للمرأة: تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك²

تورد التوراة لعنة أدام بسبب امرأته وإنها ستجازى بحبسه لها وتسلبه عليها. ويؤكد القرآن الكريم أن المرأة بريئة، وأن آدم هو الذى نسى وضعف وأضاع الأمر الألهى، بعد الأكل من الهجرة.

ويؤكد القرآن الكريم أيضا أنه لا حيدر ولا تسلط، بل قوامة من الرجل على بيته الذى تتبادل فيه الحقوق والواجبات³ (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)⁴

ويقول: (فى سيرة الرسول ﷺ - رأينا عجا يوم حنين، لقد انهزم الطلقاء، وأسلموا سيقانهم للريح، وثبت مع المؤمنين الراسخين بضعة نسوة، قاتلن بشرف

¹ الغزالي: الحق المر، ص ١٢٩، ١٢٧ ط دار الشروقى ١٩٨٩ بتصرف.

² التوراة العمرانية: سفر التكوين ص 7 ط دار الكتاب المقدس وفى السامرية ص ٢٨ ط دار الأنصار مع اختلاف فى اللفظ إذ يقول: وإلى رجلك عودتك وهو المسئول عليك.

³ الشيخ محمد الغزالي: صيحة تحذير من دعاة التنصير ص ١٢٩، ١٢٧ ط دار الصوحة ١٩٩١ بتصرف.

⁴ - سورة البقرة: ٢٣٨.

وبسالة، ودافعين عن نبيهن أشرف دفاع.. ورأهن النبي ﷺ وهن كالأساد حوله. واقترحن أم سليم- بعد انتهاء المعركة- أن يقتل الرسول الفارين ولكن الرسول عفا.

قال المقریزی يصف قتال النساء في معركة حنين: وكانت أم عمارة في يدها سيف صارم، وأم سليم معها خنجر قد حزمته على وسطها، وهي يومئذ حامل بعبد الله بن أبي طلحة، وكانت أم سليم وأم الحارث حين انهزم الناس تقاتلان، وأم عمارة تصيح بالأنصار:

آى عادة هذه... مالكم وللفرار، و شدت على رجل من هوزان فقتلته وأخذت سيفه¹

وقال رسول الله ﷺ الهند زوجة عمرو بن الجموح "أن منكم معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره"

ثم مكث رسول الله ﷺ حتى قبر الشهداء ثم قال: يا هند قد ترافقوا في الجنة - زوجها وأبنها وأخوها- قالت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني معهم²

ويقول عن المساواة: (إن الأعمدة التي تقوم عليها العلاقات بين الرجال والنساء- في الإسلام- تبرز في قوله تعالى) لا أضيع عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض³ وقوله (من عمل صالحا من ذكر أو

أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)⁴ وقول الرسول الكريم: (النساء شقائق الرجال)⁵

و هناك أمور لم يجى في الدين امر بها أو نهى عنها، فصارت من قبيل العفو، الذى سكت الشارع عنه ليتيح لنا حرية التصرف فيه سلبا وإيجابا وليس لأحد أن

¹ المقريرزى: امتاع الاسماع 1/ 408، 409

² الشيخ محمد الغزالي: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ١٢٦، ١٢٧ بتصرف.

³ سورة آل عمران: ١٩٥.

⁴ سورة النحل: ٩٧.

⁵ رواه أبو داود في كتاب الطهارة باب: الرجل يجد البلة في منامه 1 / 11 ط المكتبة العصرية، بيروت. وقال إسناده -حسن.

وبالبحث في هذا الحديث اتضح أن الراوى هو: عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب "أبو عبد الرحمن العمرى: ولاد اختلف فيه علماء الجرح والتعديل بين معدل ومجرح قال عنه ابن نعيم: ليس به بأس وقال النسائى: ضعيف الحديث و قال ابن عدى صدوق. (ا نظر فذيب لابن حجر العسقلانى ٢٢٩/هـ، ٣١٧ ط دار الفكر العربى).

يجعل رأييه هنا ديناً، فهو رأى وحسب، ولعل من ذلك قول ابن حزم: إن الإسلام لم يحظر على امرأة تولى منصب ما، حاشا الخلافة العظمى.

وسمعت من رد كلام ابن حزم بأنه مخالف لقول الله تعالى (الرجال قوامون على للنساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أتفقوا من أموالهم)¹ فالآية تفيد- فى فهمه- أنه لا يجوز أن تكون المرأة رئيسة رجل فى أى عمل، وهذا رد مرفوض والذي يقرأ بقية الآية الكريمة، يدرك أن القوأمة المذكورة هلى للرجل فى بيته، وداخل أسرته.

وعندما ولى عمر بن الخطاب قضاء الحسبة فى سوق المدينة للشفاء كانت حقوقها مطلقة على أهل السوق رجالاً ونساء، وتحلل الحلال وتحرم الحرام وتقيم العدالة وتمنع المخالفات.

وإذا كانت للرجل زوجة طيبية فى مستشفى، فلا دخل له فى عملها الفنى، ولا سلطان له على وظيفتها فى مستشفاه.

قد يقال كلام ابن حزم منقوض بالحديث: (خاب قوم ولوا أمرهم امرأة)² وجعل أمور المسلمين للنساء يعرض أمور الأمة للخية فينبغى ألا تسند اليهن وظيفة كبيرة ولا صغيرة، وابن حزم يرى الحديث مقصوراً على رئاسة الدولة، أما ما دون ذلك فلا علاقة للحديث به.

ويجعل الشيخ مناسبة هذا الحديث هى: تعيين ملكة للفرس فى ظروف كانت البلاد تحتاج إلى حاكم قوى، وأدى ذلك إلى نهاية الدولة نفسها، وكان ذلك تصديقاً لقول النبى الكريم ﷺ:

وقد قرأ النبى عليه الصلاة والسلام سورة النمل على الناس فى مكة، وقص عليهم فى هذه السورة قصة ملكة سبأ، التى قادت قومها إلى الإيمان والفلاح بحكمته وذكائها.

وقد دعاها سليمان إلى ونهاها عن الاستغفار والعناد، واستشارت رجال الدولة الذين سارعوا إلى مساندتها فى أى قرار تتخذه، ولم تغتر المرأة الواعية بقوتها ولا بطاعة قومها لها، بل قالت نختبر سليمان هذا لنتعرف أهو جبار من طلاب

¹ النساء: 344

² الحديث اخبرجه البخارى وى كتاب الغازى باب كتاب النى صليب الله عليه وسلم ال كسرى و قيصر ١٢٩/٨ والنسائى قى كتاب القضاء باب ٨.

الثروة، أم هو نبي صاحب إيمان ودعوة؟.. ثم قررت طرح وثنيتهما الأولى، والدخول في دين الله تعالى، هل خاب قوم ولوا أمرهم من هذا الصنف النفيس؟ إن هذه المرأة أشرف من الرجل الذي دعتة ثمود لقتل الناقة، ومراغمة نبيهم صالح عليه السلام.

ومرة أخرى أؤكد أنني لست من هواة تولية النساء المناصب الضخمة فإن الكاملة من النساء قلائل، وتلك المصادفات هي التي تكشفهن، وكل ما أبغى هو تفسير حديث ورد، ومنع التناقض بين الكتاب والآثار الواردة.

إن انجلترا بلغت عصرها الذهبي أيام الملكة (فكتوريا) وهي الآن بقيادة ملكة ورئيسة وزراء، وتعد في قمة الازدهار الاقتصادي، والاستقرار السياسي، فأين الخيبة المتوقعة لمن أختار هؤلاء النسوة؟

وقد تحدثت في مكان آخر عن الضربات القاصمة التي أصابت المسلمين في القارة الهندية على يد امرأة (أنديرا غاندي)¹ وكيف شطرت الكيان الإسلامي شطرين فحققت لقومها ما يصحبون إليه.. على حين عاد المرشال يحيى خان يجر أذيال الخيبة.. أما مصدب العرب التي لحقت بهم يوم قادت (جولدا² خائير) قومها فحدث ولا حرج، وقد تحتاج إلى جيل آخر لمحوها.

أن القضية ليست قصة أنوثة وذكورة، أنها قصة أخلاق ومواهب نفسية، لقد أجرت (أنديرا غاندي) انتخابات لترى أختارها قومها للحكم أم لا؟ وسقطت في الانتخابات التي أجرتها بنفسه ثم عاد قومها فاختاروها من تلقاء أنفسهم دون شائبة إكراه. أما المسلمون فكأنهم متخصصون في تزوير الانتخابات للفوز بالحكم ومغانمه، برغم أنوف الجماهير.

أي الفريقين أولى برعاية الله وتأييده والاستخلاف في أرضه؟ ولماذا لا نذكر قول ابن تيمية: إن الله قد ينصر الدولة الكافرة- بعدلها على الدولة المسلمة بما يقع فيها من مظالم؟

ما دخل الذكورة والأنوثة هنا؟ امرأة ذات دين خير من ذى لحية كفور، إننا لسنا مكلفين بنقل تقاليد عبس وذبيان إلى أمريكا وأستراليا إننا مكفلون بنقل الإسلام وحساب³

¹ رئيسة وزراء الهند حينذاك

² رئيسه وزراء اسرائيل حينئذ

³ الشيخ محمد الغزالي: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 4 ه وما بعدها ط دار الشروق ١٩٨٩ م.

التعليق:

إن المساواة كاملة في الإسلام بين الرجل والمرأة، والحقوق والواجبات، وأن قوامه الرجل، لا تعنى التفضيل إنما تعنى التنظيم وإن الزيادة التى يحصل عليها فى الميراث تقابلها أعباء يتحملها الرجل فى قوامته على المرأة.

ويرى الشيخ أن حديث (خاب قوم ولوا أمرهم امرأة) حديث صحيح ولكنه قيل فى مناسبة تولى امرأة على الفرس، وأدت هذه التولية إلى ضياع الدولة نفسها، وكان هذا الاستكناه للغيب من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام التى سجلها له التاريخ.

وقد ضرب الأمثلة على مقدرة المرأة وقوة إيمانها وحكمتها فى الماضى والحاضر وفى الماضى ضرب مثلاً: بمریم ابنة عمران، وبلقيس ملكة سبأ، وفى حاضر ضرب مثلاً بأنديرا غاندى، وفكتوريا، وجولدامائير، وغيرهن من النساء.

وهو لا ينادى بأن تترك المرأة بينها وتتجه لأى عمل، بل هو يجعل الأساس لعمل المرأة هو البيت وتربية النشئ. ويقول: أكره البيوت الخالية من رباتها، وأن ربة البيت روح ينفت الهناءة والمودة فى جنباته ويعين على تكوين إنسان طيب، وكل ما يشغل المرأة عن هذه الوظيفة يحتاج إلى مراجعة، ولكنه يكره إلزام المرأة بهذا النمط من العيش دون الاهتمام بتعليمها وتنقيفها واحترام مواهبها العملية وذكائها الممنوح من الله تعالى فيقول: أنى أكره وأد البنت طفلة، ووأدها وهى ناضجة المواهب، مرجوة الخير لأمتها وأهلها.. فكيف نوفق بين الأمرين – رعاية الأسرة والنبوع العلمى – إذا كان هناك مائة ألف طبيب أو مائة ألف مدرس، فلا بأس بأمر أن يكون نصف هذا العدد من النساء والمهم فى المجتمع المسلم قيام الآداب التى أوصت بها الشريعة. و صيانت بها حدود الله تعالى، فلا تبرج ولا خلعة، والا مكان لا اختلاط ماجن هابط، أعرف أم هات فاضلات مديرات لمدارس. ناجحة. واعرف طبيبات ماهرات شرفن أسرهن ووظائفهن، وكان التدين الصحيح من وراء هذه كله.

فالشيخ يرى البيت أولاً ويجب أن تيسر المرأة له، ومع هذا يرى أن المرأة تستطيع أن تؤدى خدمات أخرى فى وظائف أخرى للمجتمع المسلم وفى بعض المهن تكون هى أقدر من الرجل على أداء هذه الوظيفة مثل طبيبات النساء والتوليد، ومدرسات الفتيات وكل ما يتعلق بشئون المرأة. أما المساواة فى

التقوى والعلاقة بالله تعالى فلا هو - الشيخ - ولا غيره يجادل فيها لأنه الحق تعالى (هو أعلم بمن أتقى) ولذلك يقول:

"إن هناك نشاطا نسائيا عالميا فى ساحات شريفة رحبة، لا يجوز أن ننسأه لما يقع فى مساحات أخرى من تبذل واسفاف".

فهو يرى أن المرأة يجب أن تشارك فيما يعود على أمتها والإنسانية بالخير محليا وعالميا مثلها مثل الرجل تماماً، ولكن فى حدود ما يناسب استعدادها للبذل والعطاء، إلا أن النسبة التى يرغبها الشيخ فى عدد المعاملات بالنسبة للرجال نسبة مبالغ فيها، ولا تتفق مع رغبته فى جعل البيت هو العمل الأساسى بالنسبة للمرأة.

شهادة المرأة:

ويلحق بالمساواة عند الشيخ حق المرأة فى أداء الشهادة وأهمية ذلك بالنسبة للمجتمع، فهو يرى أن شهادة المرأة مقبولة فى أمور كثيرة ويعرض لذلك فيما يلى: يقول الشيخ: إن قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشمل الرجال والنساء على السواء وذلك ظاهر قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله..)¹

إن الأمر والنهي والصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله ليست حكرا على أحد الجنسين، والزعم بأن المرأة تصلى وتركى وتسكات فى ميدان النصيحة زعم باطل..

فابن جرير يجيز للمرأة القضاء فى كل شى يجوز للرجل أن يقضى فيه دون استثناء.

ويقول الأحناف- كما جاء فى البدائع- إن الذكورة ليست شرطا لتقلد منصب القضاء فى الجملة، إلا أنها لا تقضى فى الحدود والقصاص لأنها لا شهادة لها فى ذلك، وأهمية القضاء تدور مع أهمية الشهادة وهنا نسال ما قيمة المرأة فى الحدود والقصاص؟

والجواب أن جمهور الأئمة يردها..

جاء عن الزهرى رضى الله عنه: مصاد- السنة من رسولى الله والخليفتين بعده أنه لا تجوز شهادة النساء فى الحدود والنكاح والطلاق، وفى رواية أخرى

¹ سورة التوبة: 71

والدماء. ويرفض ابن حزم هذا الكلام كله، ويجيز شهادة النساء في كل ما ذكر إذ يقول في حديث الزهري: أنه بلية، وإن إسناده منقطع وهو من طريق اسماعيل بن عياشى - وهو ضعيف- عين الحجاج بن أرطاة- وهو هالك تلك قيمة حديث الزهري.

ويرى ابن حزم قبول شهادة المرأة في كل قضية بعد مضاعفة النصاب فيقبل في حد الزنا ثمانى نساء بدلا من أربعة فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل".¹ "وما رواه البخارى أليس شهادة المرأة نصف شهادة رجل؟ قلنا بلى"²

وأبادر إلى القول بأنى لست ظاهريا، لكنى أتباع الدليل حيث كان وكثيرا ما أرفض اجتهادات لابن حزم ولغيره من أئمة الفقه لأن وجهات نظر أخرى بدت لى ارجح، و غايتى خدمة الإسلام".³

وعن المرونة المطلوبة في تقديم الإسلام كدعوة عالمية إلى الناس يقول الشيخ:(والمرأة في أوربا تباشر زواجها بنفسها، ولها شخصيتها التى لا تتنازل عنها، وليست مهمتنا أن نفرض على الأوروبيين مع أركان الإسلام رأى مالك أو ابن حنبل، إذا كان رأى أبى حنيفة أقرب إلى مشاربهم فإن هذا تتطع أو صد عن "سبيل الله..

وإذا أرتضوا أن تكون المرأة حاکمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة، فلهم ماشاؤا، ولدينا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك كله، فلم الإكراه على رأى منا؟ إن من لا فقه لهم يجب أن يغلقوا أفواههم لنلا يسيؤا إلى الإسلام بحديث لم يفهموه وكان ظاهر القرآن ضده).⁴

ويرى الشيخ أن تقديم الإسلام كدعوة عالمية يتطلب الاستفادة بكنوز الإسلام والأراء المتعددة فى المسألة الواحدة، لأن ذلك يؤثر فى قوة الدعوة وتدفعها بين الشعوب، ولا يوافق على هذا الدفع من الشيخ إلا من عانى مشاكل الدعوة الإسلامية، ولذلك فالشيخ هنا يتكلم عن اختيار رأى من داخل الفقه الإسلامى، ومن داخل اجتهادات علمائه.

¹ الحديث رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح لك الإيمان 1 / 61 ط دار الفكر.

² الحديث أخرجه البخارى ك الحيض ٢ / ٨١ ط دار الفكر. وأخرجه مسلم في ك الإيمان ب نقصان الإيمان بالطاعلت ٨٩/١ حديث رقم ١٣١، والدار مى فى له الوضوء باب 104.

³ الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ص ٢٦ 4 وما بعدها ط دار ثابت ١٩٨٤.

⁴ الشيخ محمد الغزالى: السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 60 ط دار لشروق ١٩٨٩.

أما حديثه عن تعارض السنة مع القرآن فسوف توج إلى مناقشة هذا الأمر حتى نناقشه في الباب الخاص بهذا الموضوع.

وعن تعليل ضعف شهادة المرأة:

يقول الشيخ: (ومعروف أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، وقد علل القرآن الكريم لذلك، بأن المرأة قد تنسى أو تحار أو يشتبه عليها وجه الحق، وعندما تكون معها امرأة أخرى فسوف تتعاونان على الإدلاء بالحقيقة كاملة).

وقد بحثت في هذا الموضوع فأدركت أن المرأة في عاداتها الشهرية تكون شبه مريضة، وأن انحراف مزاجها واضطراب أجهزتها الحيوية يصيبها ببعض الارتباك: والتثبت في أداء الشهادات واجب، وذلك سر قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى)¹

وكان يجب أن يقف الأمر عند هذا الحد، لكن تيارا نشأ في الفكر الديني يستبعد شهادة المرأة استبعادا تاما، في أهم ميادين التقاضي- وهو ميدان القصاص والحدود أى فيما يتصل بالدماء والأعواض.

وإذا كان اللصوص يسرقون البيوت ليلا أو نهارا، فما معنى رفض شهادة المرأة في حد السرقة، وإذا كان العدوان يقع على النفس أو الأطراف في حالات كثيرة بمشهد من النساء فما معنى أن ترى المرأة مصرع اقرب الناس إليها ثم ترفض شهادتها؟ ولماذا لم يلتزم نصاب الشهادة كما ذكره القرآن.

و ابن حزم في تصحيحه للآثار المروية يؤكد أن رفض شهادة المرأة والقصاص لا يوجد له أصل في السنة النبوية... معنى التطويح بكرامة خمسمائة مليون امرأة لقول أحد من الناس.

المأساة أننا نحن المسلمين مولعون بضم تقاليدنا وآرائنا إلى عقائد الإسلام وشرائعه لتكون دينا مع الدين، وهداية من لدن ركب العالمين وبذلك نصد عن سبيل الله تعالى.²

أهمية تولى المرأة القضاء إذا كان ذلك في صالح الإسلام:

¹ البقرة: ٢٨٢.

² قضايا المرأة: النزالي ص ٦٦، ٦٧.

يقول الشيخ: جاء صحافى يسألنى هل تتولى المرأة القضاء؟ ما حكم الإسلام فى ذلك؟ قلت: إن شرائع الإسلام اليوم مطاطة فى القصاص والحدود، فإذا تولت المرأة القضاء وأحيت ما مات من أمر الله تعالى، فالإسلام يرحب بالمرأة قاضية. وكان يسمعنا واحد من علماء الدين التقليديين فسألنى على عجل: ماذا قلت؟ فأجبته: هو ما سمعت. فقال: لا.. تبقى الأحكام معطلة ولا تحييها امرأة. قلت له: إنك، امرؤ فيك جاهلية.

إن الأحناف قالوا: يصح قضاء المرأة، فيما تصبح شهادتها فيه، والظاهرية قالوا تشهد فى الحدود والقصاص.¹

ويؤسس الشيخ موقفه من شهادة المرأة فى كل شى على عناصر كثيرة منها موقف ابن حزم من حديث: (مضات السنة من النبى ﷺ ومن أبى بكر، وعمر أن لا تجاوز شهادة النساء فى الطلاق ولا فى النكاح ولا فى الحدود).

ويقول ابن حزم عن هذا الحديث: إنه بلية لأنه منقطع من - طريق إسماعيل بن عياش وهو ضعيف، وقد رواه عن الحجاج بن أرطاة وهو هالك²

وابن حزم يرى أن الأدلة التى ساقها العلماء الذين يرون عدم استقلال النساء بالشهادة، وعدم السماح لهن- بالشهادة فى الطلاق والحدود أدلة متهافئة لأنها تقوم على حديث الزهرى الذى رواه إسماعيل بن عياش وهو لم يصلح. إلا أن أبرز نقطة فى مذهب ابن حزم- فى شهادة النساء- هى استقلال النساء بالشهادة فى حالة مضاعفة العدد ويسوق عليها أدلة كثيرة منها: ما روى عن عمر بن الخطاب أن مكان كل شاهد رجل امرأتين "فلا يقبل فيما يقبل فيه رجلان، إلا أربع نسوة وعن على بن أبى طالب

مثل ذلك، وهو قول الشعبى والنخعى فى أحد قوليهما، وعطاء.. وقتادة فى قوله جملة، وأبن شيرمة، الشافعى وأصحابه، وأبى سليمان وأصحابه، إلا أنهم قالوا: تقبل فى الرضاع امرأة واحدة، وقول عثمان البستي: لا يقبل فيما يقبل فيه النساء منفردات إلا ثلاث نسوة لا أقل وقالت طائفة: تقبل امرأتان من كل ما تقبل فيه النساء منفردات و هو قول الزهرى الألفى الاستهلال- التوليد خاصة، فإنه يقبل فيه شهادة القابلة وحدها³

ويرى الشيخ أنه لا بأس بالأخذ برأى ابن حزم فى شهادة النساء، وهى مضاعفة العدد بنسبة للرجال، وليس معنى هذا أن الشيخ يسلم بكل ما يذهب إليه ابن حزم

¹ الشيخ محمد الغزالي: مستقبل الاسلام خارج ارضه ص ٢٩ دار الشروقى ١٩٩٧.

² ابن حزم: الحلى 403/9 ط دار الفكر.

³ المرجع السابق ٣٩٩/٩.

خاصة والظاهرية عامة بل يقف مع الحق في ذاته، ومع قبول هذا الحق دعويا، وهذه المشكلة يعانيتها الدعاة المخلصون حين يبحثون عن الصيغة المقبولة دعويا، والتي لا تغادر الحق المتفق نهجه مع القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، وعند الرجوع إلى الفقه الإسلامي نرى أن الشيخ لا يقبل رأيا منفردا العالم بعينه، بل يقبل الرأي القائل به جمع من العلماء.

فابن رشد ينقل آراء العلماء في شهادة النساء بقوله: (وأما شهادة النساء منفردات: أعني النساء دون الرجال فهي مقبولة عند الجمهور في حقوق الأبدان التي لا يطلع عليها الرجال، غالبا ما يل الولادة، والاستهلال وعيوب النساء، ولا خلاف في شئ من هذا إلا في الرضاع، فإن أبا حنيفة قال: لا تقبل فيه شهادتهن إلا مع الرجال، لأنه عنده من حقوق الأبدان التي يطلع عليها الرجال والنساء، والذين قالوا بجوار شهادتهن منفردات، في هذا الجنس اختلفوا في العدد المشترط في ذلك منهم:

فقال مالك: يكفي في ذلك امرأتان، قيل: مع انتشار الأمر، وقيل: إن لم ينتشر. وقال الشافعي: ليس يكفي في ذلك أقل من أربع، لأن الله تعالى قد جعل عدل الشاهد الواحد امرأتين، وقال قوم: يكتفى في ذلك بأقل من ثلاث¹).

في الآراء السابقة التي ساقها العلامة ابن رشيد القول بشهادة النساء منفردات واستقلالهن بها في أمور خاصة، وإن كان ابن حزم يرى جواز ذلك في كل الأمور بعد مضاعفة العدد.

قضاء المرأة:

وعن تولى المرأة القضاء يقول ابن رشد:

(وقال أبو حنيفة: يجوز أن تكون المرأة قاضيا في الأموال. قال الطبري: يجوز أن تكون المرأة حاكما على الإطلاق في كل شئ).

قال عبد الوهاب: ولا أعلم بينهم اختلافا في اشتراط الحرية، فمن رد قضاء المرأة شبهه بقضاء الإمامة الكبرى، وقاسها أيضا على العبد لنقصان حرمتها، ومن أجاز حكمها في الأموال فتشبيها بجواز شهادتها في الأموال، ومن رأى

¹ ابن رشد: بداية المختهد وفاية المقتصد 465/2 طالملى ١٩٨١ م.

حكمها نافذا في كل شيء قال: أن الأصل هو أن كل من يتأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى¹

والقول هنا يتأرجح بين جواز قضاء المرأة، منعها من ذلك، أو جواز قضائها في كل شيء إلا الإمامة الكبرى.

ويرى الإمام القرطبي أن شهادة المرأتين جائزة مع وجود رجال آخرين وليس كام ستوهم قبول شهادتين مع عدم وجود الرجال فيقول: (بل الظاهر منه قول الجمهور: أي أن لم يكن المستشهد رجلين، أي أن أغفل ذلك صاحب الحق، أو قصده لعذر ما فليستشهد رجلا وامرأتين، فجعل تعالى شهادة المرأتين مع الرجل جائزة، مع وجود الرجلين في هذه الآية).²

والأقوال السابقة تؤكد ما ذهب إليه الشيخ، وأنه لم يكن يتحدث من فراغ أو عن هوى، وانما كان يريد توضيح أمور أجاز غيره من العلماء، وهي تتعلق بقطاع كبير من الأمة الإسلامية، ولها شأنها في الإسلام عن الشعوب الأخرى، وهذه القضية الأخيرة كانت تشغل حيزا كبيرا من فكر الشيخ- يرحمه الله تعالى.

صوت المرأة:

ويتعلق بحركة المرأة في الحياة الإسلامية، موقف بعض العلماء والدعاة من صوتها واعتباره عورة، والشيخ لم يسلم بهذا أبدا في كل مؤلفاته، فهو يقول عن صوت المرأة:

(كان شاب قريبا مني يكاد يتميز من الغيظ، ونحن نستمع إلى بحث تلقيه إحدى السيدات، قلت له: ما بك؟ هل في الكلام خطأ؟ فرد على عجل: أتقر هذا؟ أليس صوت المرأة عورة؟ فاجبت في برود:

هذا كذب لا أصل له في دين الله تعالى. أسمع حكم الإسلام في كتاب الله تعالى، ويقول الله تعالى لأمهات المؤمنين: (.. لا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض³)، فهل يصمتن فلا ينيسن بنت شفه، لأن الصوت عورة؟ كلا.. (وقلن قولا معروفا) أي ليكن الكلام طبيعيا ليست به نغمة مريبة، ولا لحن مثير. وعندما جاءت المؤمنات مهاجرات من مكة بعد الحديبية عقد لهن امتحان شفوي لتعرف أحوالهن، هل هن فآزات بدينهن

¹ المرجع السابق 2 / 460.

² الامام القرطبي: ايلامع لاحكام القرآن ٣/ ٣٩١ ط دار احياء التراث العربى ١٩٨٥ م.

³ سورة الأحزاب: ٢٢.

حقاً؟ أم لهن مآرب أخرى تبين من النقاش إيمانهم قبلن في المجتمع الإسلامي(فإن عملتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار)¹.

ولم يدر بخلد أحد أن صوت المرأة عورة، وعندما جاءت المجادلة تشرح لرسول الله ﷺ قضيتها، وتراجعها في الحكم، لم يقل لها اسكتي ان صوتك عورة.. وعند ما جاءت بنت شعيب- التي صارت زوجة لموسى عليه السلام فيما بعد- تقول له(أن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)² لم يقل لها موسى كيف تتحدثين معنى هكذا، وصوت المرأة عورة.

وعندما دخلت ملكة سبأ قصر سليمان عليه السلام وأراها العرش الذي استحضره من اليمن إلى القدس وسألها:(أهكذا عرشك قالت كأنه هو).³

قال المفسرون: عرف من إجابتها ذكاءها لأنها مع إحساسها بأنه عرشها استبعدت أن يطير آلاف الأميال لتقله هنا، ولم يقل عالم ولا جاهل أن صوتها عورة.

وعندما خرجت و زينب بنت رسول الله ﷺ على المسلمين في المسجد، وأعلنت أنها أجازت زوجها، الذي أسره المسلمون في بدر استمع الناس إلى الصوت الراجي المحزون، وقال الرسول الكريم في رقه: لم نتفق على هذا، وإن شئتم رددتم إليها زوجها،⁴ ولم يقل أحد إن صوتها عورة.

إننى أكره من أعماق فؤادى علاقة الرجل بالمرأة فى الحضارة المادية التى أقامها الغرب- الصليبي والشيعي: بيد أن هذه الحضارة سوف تبقى بأرجاسها وأدرانها، ما بقى المتحدثون عن الإسلام يقدمونه بهذا الجهل والعمى. إن صوت المرأة ليس عورة، العورة هى فى هذا التفكير الذى لا سند له والذى يصرح به شباب جهول، باسم الاسلام المظلوم.¹

¹ الممتحنة:10

² سورة القصص: ٢٥.

³ سورة النمل: ٤٢.

⁴ ابن هشام ٢/ ٢٢ ط المكتبة التوفيقية وفي نفس السياق روى أبو داود بسنده عن ابن عباس قال: حدثني أم هان بنت أبي طالب أها أجازت رجلا من المشركين يوم الفتح فأتت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فقال: قد أجرنا من أجرت وآمنا من آمننا. أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب أمان المرأة ٢/٨٤، ٨٥ ط دار الفكر.

ويقول: (إن التقاليد العربية الجاهلية التي كانت تجتاح الأنوثة قديما، وتجاوز حقوقها المادية والأدبية، عز عليها أن يطفر الإسلام بالمرأة هذه الطفرة، فعادت تسلب ما منح الدين، وتنكر ما أقر، وتعامل المرأة على أنها متعه وحسب.

وصدرت فتاوى مكذوبة بأن وجه المرأة عورة - ولو من غير فتنة وصوتها عورة، وأخذت الفتوى حكم الأمر اللازم، وليس الرأي الاحتمالي وقيل أن المرأة إجمالا لا علاقة لها بالنشاط الثقافي والاجتماعي أما سائر الأنشطة المدنية والعسكرية، فالوجود النسائي فيها منكر غليظ جملة وتفصيلا. ولحق أن للشريعة الإسلامية في شئون النساء تخرج من بين فرث، ودم، فالجاهلية العربية التي فرضت نفسها مئات السنين- ربما يقصد آلاف- مرفوضة، والجاهلية الأوربية الوافدة مرفوضة هي الأخرى، وبعض المتحدثين بالإسلام يبغي العودة بالمرأة إلى التقاليد البدوية، أو الأوضاع الجاهلية المزدرية للأنوثة، كما أن بعضا آخر يريد تقليد أوربا في كل شيء، وأحكام الإسلام أشرف من أن يثرثر بها هؤلاء وأولئك.²

يركز الشيخ في حديثه عن صوت المرأة، وأنه ليس بعورة على أمور توضح منهجه منها:

1- إن المرأة تعامل بالتقاليد العربية ولا تعامل بالإسلام.

٢- استخدام الشيخ أدلة ساقها من القرآن الكريم والسنة الشريفة، واستخلص منها الأحكام مباشرة، وهي طريقة فريدة تعد من — منهج الشيخ- يرحمه الله تعالى- فقد ذكر عدة مواقف من القرآن الكريم تبين جهر المرأة بصوتها، وكذلك موقف من السنة- حادثة زينب بنت رسول الله ﷺ- عندما أجارت زوجها، ومع هذا تبقى مواقف كثيرة في القرآن الكريم، وسيرة السلف الصالح مثل: كلام الكثير من النساء في القرآن الكريم، وفي السيرة المرأة التي راجعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو على المنبر، وهي في مكان النساء في آخر المسجد، وهكذا..

وربما ذكر الشيخ هذه المجموعة هنا على سبيل المثال لا الحصر، ومع هذا فالموقف يحتاج إلى مزيد من الإيضاح باستطلاع بعض الآراء الفقهية، في هذه

¹ الغزالي: قضايا المرأة ص ٢٨، ١٢٩.

² الشيخ محمد الغزالي: سر تأخر العرب والمسلمين ص 42، 43 ط دار الريان للتراث ١٩٩٧.

المسألة- صوت المرأة لبيان موقف الشيخ بعد تأصيله وتفصيله، وهل هو اجتهد فأصاب وأخطأ، أم نقل إلى الناس الصحيح من الدين وجاهد من أجله.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى:

(وقالوا فيما قالوا أن صوت المرأة عورة، فلا يجوز لها أن تتكلم مع رجل غير زوج ولا محرم، لأن صوتها بطبيعته الناعمة يغرى بالفتنة، ويوقظ فى القلب الشهوة، وسألناهم عن الدليل فلم نجد لهم دليلاً يعول عليه ويستند إليه. ترى هل جهل هؤلاء أن القرآن الكريم أجاز سؤال أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب، رغم التغليظ فى أمرهن حتى حرم عليهن ما لم يحرم على غيرهن، ومع هذا قال الله تعالى(وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب).¹

والسؤال يقتضى جواباً، وهو ما كانت تفعله أمهات المؤمنين حيث كان يفتين من استفتاهن، ويروين الأحاديث لمن يريد أن يتحملها عنهن. وقد كانت المرأة تسأل النبى ﷺ فى حضرة الرجال، ولم تجد فى ذلك حرجاً، ولا منعها النبى ﷺ.²

هذا القدر من كلمات د/ يوسف القرضاوى يفى بالغرض لأنه بعد هذه الفقرة ينقل تقريباً ما كتبه الشيخ الغزالى وورد فى الفقرات السابقة، فى صلب كلمات الشيخ والتي دارت حول حديث المرأة فى القرآن الكريم، بنت العبد الصالح مع موسى، وسليمان مع ملكة سبأ، والمجادلة وهكذا

وجه المرأة:

يرى الشيخ أن الحديث عن كشف وجه المرأة من غير تبرج يعتبر من الأمور التى تيسر لها الحركة المشروعة داخل المجتمع فيقول:(ذكر ابن كثير فى كتابه"البداية والنهاية"³ أن عبد الرحمن بن عوف ظل ثلاثة أيام يستشير النساء فيمن يخلف عمر بعد مقتله- من الستة المرشحين- فلم يبق رجل ولا امرأة يعتقد برأيه إلا أستشاره..

¹ سورة الأحزاب 53.

² د/ يوسف القرضاوى: فتاوى معاصرة ٢/هـ ٢ ط دارالوفاء المنصورة ط ٣ سنة: ١٩٩٠.

³ ابن كثير البداية والنهاية ٧/٧ هـ ١ ط دارالمعرفة بيروت ١٩٩٨ و النص هكذا:(و مجمع رأى المسلمين برأى رؤس الناس، وأقيادهم جميعاً وأشتاتاً، وقمئى وفرادى، ومجتمعين، وسراً وجهراً حق خلص إلى النساء المخدرات فى حجاجن، وحين سأل الولدان فى المكاتب، وحتى سأل من يرد من البركان والأعراب إلى المدينة فى مدة ثلاثة أيام بليليتها، فلم يجد أثنتين يختلفان فى تقدم عثمان بن عفان). أهـ المؤلف.

كانت النساء تستشار، ولم لا وقد استشار النبي ﷺ أم سلمة، عندما تقاعس الناس عن التحلل من عمرة الحديبية..

أما المرأة المسلمة في العصر الأخيرة فقد ماتت أدبيا. وراء تقاليد جاهلية ليست من الدين حتى دهمتنا الحضارة و بمنازعها المادية، ومسالكتها الإباحية، فلم يدر أهل الدين ما يفعلون لقد طلعت في السيرة أحاديث تبرز المجتمع الأول في صورة. أرحم وأرحب من الصورة التي يرسمها بعض الناس للمجتمع المسلم وهي صورة قاتمة موحشة.

روى مسلم في صحيح به أن جارا فارسيا للنبي ﷺ كان طيب المترق، فصنع لرسول الله ﷺ طعاما- ثم جاء يدعوه فقال: وهذه أى عائشة- فقال الفارسي: لا، فقال رسول الله ﷺ: لا- أى لا أذهب معك وحدى- فعاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ وهذه.. قال: لا فقال رسول الله ﷺ لا، ثم عاد يدعوه للمرة الثالثة فقال رسول الله ﷺ: وهذه. قال الفارسي: نعم فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله¹

روى البخارى: (أن أباسعد الساعدي دعا النبي ﷺ لعرسه، وأصحابه رضى الله تعالى عنهم، فما صنع لهم طعاما ولا قربه إليهم إلا امرأته أم سيد، فقد بلت من الليل تمرات فى تنور- اناء من حجارة- فلما فرغ النبي ﷺ، أما شقه له أى هرسته بيدها - فسقته تتحفه بذلك وكانت امرأته خادمتهم يومئذ وهى عروس).²

النقاب: ستر الوجه:

وقد زعم البعض أن النقاب كان مضروبا على الوجه، فلم يبد من المرأة شئ قط.. وهذا زعم مردود، فقد قرأت نحو اثنى عشر حديثا فى أصح كتب السنة، تشير إلى أن النساء كان يكشفن وجوههن وأيديهن أيام النبي ﷺ، فما أمر واحدة منهن بتغطية شئ من ذلك، وكذلك كان أصحابه رضوان الله تعالى عليهم يفعلون.

(مات سعد بن خولة فى السنة العاشرة للهجرة وترك امرأته حاملا- وشاء الله تعالى أن تضع قبل عدة الوفاة- قبل أربعة أشهر وعشرة أيام- فتركت

¹ الإمام مسلم: الجامع الصحيح بح ٢ ص 116 طبعة دار الفكر - كتاب الأشربة

² الإمام البخارى: صحيح البخارى

المرأة حدادها، وتجملت للخطاب- اكتحلت وتخضبت وتهيات - فلقبها رجل اسمه أبو السنابل، وأنكر عليها ذلك وقال لها: لعلك تريدين الزواج؟ بعد الأربعة أشهر وعشر، قالت: فأتيت النبي ﷺ وذكرت له ما قيل، فقال لها: قد حللت حين وضعت¹.

وهذه القصة وقعت في آخر حياة الرسول ﷺ ولا مساع للزعم أنها قبل الحجاب.. إن شيئاً آخر غير دين الإسلام يراد فرضه على الأمة الإسلامية، والذين يريدون ذلك يخضعون لدوافع نفسية لا لشواهد علمية. والشئ الوحيد الذى يذكرونه هو التأسى بأمهات المؤمنين ونقول لو كان التأسى بهن مطلوباً في هذه القضية فلم تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابته، ولم تركوا الوجوه مكشوفة دون اعتراض؟

والواقع أن تنظيم البيت النبوى خضع لظروف خاصة، وقد صرح القرآن الكريم بذلك، عندما قال لزوجات الرسول ﷺ (لستن كأحد من النساء)² وظاهر هذا التنظيم خاص بأمهات المؤمنين، وأنه بعد نزوله رأت النساء المؤمنات مقاتلات في حنين، ورئين في مناسبات كثيرة في المسجد وغيره سافرات الوجوه، فما أنكر عليهن أحد، ومن الناس من يحظر رؤية النساء للرجال، والرجال للنساء مطلقاً، واستدل لرأيه بما روى من كراهية الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يرى نساؤه عبد الله بن أم مكتوم، ويرى ابن حجر أن ذلك كان لسبب خاص، هو أن عبد الله أعمى لا يحسن تعهد ثيابه، وستر بدنه كله، وهو تعليل اضطر إليه ابن حجر، لما رأى الحديث يخالف الصحاح. إن ابن حجر رد حديث (أفعمياوان أنتما) بطريقته الخاصة فتغاضى عن السند وتناول المتن.. لكن ابن العربى رفض الحديث سنداً ومتناً..

وقال عن انبهان- راوى هذا الحديث- إنه مجهول.. ونبهان هذا كان خادماً لأم سلمة رضى الله عنها، ولم يعرف بين أهل العلم بشئ، و حديثه اذا كان قد خالف ما رواه البخارى فى رؤية عائشة للأحباش عند عرضهم

¹ الحديث اخبرجه البخارى فى كتاب الغزى باب فضل من شهد بدر ٣١٠/٩ طالكنبة السلفية.

² سورة الأحزاب جزء من الآية ٢٢.

الرياضي، فهو قد خالف واقعة أخرى رواها مسلم أيضا، تتصل بينت عام لابن أم مكتوم، أمرها النبي ﷺ أن تقضى عدتها عنده.¹

روى مسلم عن فاطمة بنت قيس أن زوجها عمر بن حفص طلقها البتة، طلبة الثالثة، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال

(تلك امرأة يغشاها أصحابي) اعتدى عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده.. وفي رواية اتقلبي إلى أم شريك- وهي امرأة غنية من الأنصار واسعة النفقة في سبيل الله تعالى، ينزل عندها الضيفان- فقلت: سأفعل، ثم بدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام أمر آخر، فقال: لا تفعل، إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان، فإنني أكره أن يسقط خمارك، أو ينكشف الثوب عن ساقيلث، فيرى القوم منلت بعضي ما تكراهين، ولكن انتقلي إلى ابن عمها عبد الله بن أم مكتوم، فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك - الوضع الإنزال والكشف² - فانتقلت إليه فقالت: فلما انقضت عدتي، سمعت نداء المنادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قضى صلاته جلس على المنبر، فقال: اني و اشه ما جمعتكم لرغبة و لا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وبايع وأسلم.³ قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: ووجه دلالة الحديث على أن الوجه ليس بعورة ظاهرة، وذلك لأن النبي ﷺ، أقر فاطمة بنت قيس على أن يراها الرجال وعليها الخمار- وهو غطاء الرأس⁴ - فدل هذا على أن الوجه منها ليس بالواجب ستره، كما ستر رأسها، ولكنه ﷺ خشي عليه أن يسقط الخمار عنها، فينظر منها ما هو محرم بالنص، فأمرها عليه الصلاة والسلام بما هو الأحوط لها، وهو الانتقال إلى دار ابن أم مكتوم الأعمى. وقال(وهذه القصة وقعت في آخر حياته ﷺ لأن فاطمة بنت قيس ذكرت بعد انقضاء عدتها: سمعت النبي ﷺ

¹ أخرجه مسلم ونصه: عن مسلمة أنه قال: سألت فاطمة بنت قيس فأخبرتني ان زوجها المخزومي طلقها فأبى أن ينفق عليها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقال(لا نفقي لك فاذهي إلى ابن مكتوم فكون عنده، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده، أخرجه مسلم في كتاب الطلاق بابا المطلقة ثلاث لا نفقة لها ٢/١١١ .

² وضع الشئ إذا القاه. لسان العرب ٣٩٩/٨ ط دار صادر بيروت ١٩٩٢ .

³ اخراجه مسلم وى كتاب الفان باب قصة الاسة / ٢٢٩١ حديث رقم ١١٩ .

⁴ أخرجه البخارى وى كتاب الحج باب وجوب الحج و فضله ٣/٣٧٨ و مسلم فى كتاب الحج حديث رقم 407

يحدث تميم الدارى أنه جاء وأسلم، وإسلام تميم كان سنة تسع للهجرة، فدل ذلك على تأخر القصة عن أية الحجاب، فالحديث إذن نص كذلك على أن الوجه ليس بعورة). وفى السنة العاشرة للهجرة، وبعد نزول أية الحجاب بست سنوات وقعت قصة (الختعمية) وهى امرأة جميلة الوجه جاءت إلى النبى ﷺ يوم النحر، وهو فى حجة الوداع تريد أن تستفتيه فى شأن ما من مناسك الحج.. قال الرواة: وكان الفضل بن العباس رديف النبى ﷺ فلقتة جمال المرأة. حدث الفضل عن نفسه - كما جاء فى مسند أحمد يقول: فكنت أنظر إليها، فنظر النبى ﷺ فقلب وجهى عن وجهها، حتى فعل ذلك ثلاثا وأنا لا أنتهى).

وأصل هذه القصة ثابت فى البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى¹ كانت المرأة وضيئة الوجه، لم يرو أحد عن صاحب الرسالة صلوات الله عليه أنه زجرها عن كشف وجهها، أو أتهمها ببث الفتنة وقلة الحياء، ولكن الملكيين أكثر من الملك، يريدون الاستدراك على المشرع الأعظم، وإطلاق ألسنتهم فى الناس، ويريدون طى هذه السنن الصحاح، وإبراز آثار منكرة تفيد أن المرأة تغطى عينا وتبدي أخرى، أو تغطى جسدها كله من الوجه إلى القدم، فلا يرى منها شتى ولا يسمع لها صوت لأن الصوت هو الآخر عورة. إن هذا الغلو أعقب- على امتداد القرون- أثماراً اجتماعية سيئة قتلت شخصية المرأة وإنسانيتها، وأساعات ولا تزال تسمى إلى الإسلام.. يقول البعض لا بأس أن تضع المرأة تقابلها على وجهها اقتداء بنساء الرسول ﷺ. نقول: ولا بأس أيضا من تحريم الزواج على المرأة إذا ماتت زوجها امتداد لهذه الأسوة.

إننا نريد التزام خط إسلامى صحيح لا علاقة له بتبرج الغربيات ولا بهوان الشرقيات المسلمات وإهدار آدميتهن.. إن الغضب لله تعالى على العين والرأس.. أما الغضب لتقاليد ملصقة بالوحى دخيلة عليه فشيا لا تكثر له، ولا نخشى أصحابه.

قال لى صديق: إن الطريقة التى تعرض بها قضايا المرأة تخالف تقاليد قوية، ومذاهب مستقرة، وهذا يسئ إليك وقد يعوق آراء صالحة شرحتها للناس فى ميادين أخرى..

قلت نصيحة مقدورة وأحب أن أذكر لك ما عندى لتدرك ما هنالك.. إننى فى هذه القضية وفى غيرها أرفض الأحاديث الموضوعة والواهية ولا أحترم التقاليد التى تبنى عليها.. أن العرف السائد يحكم عليه، ولا يحتكم إليه، والأساس

¹ البخارى ٣/٣٧٨، مسلم رقم 407.

المرعى هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. وإننى أعوذ بالله أن أكون قد خرجت عليهما، إن المتواتر يحكمنى.. والصحيح يلزمنى.. أما المرويات الأخرى فلا أكثرث.

أنهار العالم الإسلامى كله، وأصبح رجاله ونساؤه أمثلة مزرية للتخلف، فإذا جاء من يعيد الكرامة الأدبية والعقلية للمرأة ويعيد الأمة إلى معالم سلفها الأول قيل له: لا، والدليل؟ فقه مغشوش... أو نقل مريض، أو رأى امرئ يريد التقدم بين يدي

الله ورسوله، ليجعل من سلوكه وادراكه النهج الذى يفرض على الكتاب والسنة، ولا نهج غيره.. إننا نؤكد أن النصوص على العين والرأس، وأن الخلاف الفقهي وجهات نظر تخضع للموازنة والترجيح ولا قداسة لأحدهما، وأن من حق المسلمين فى أى بلد أن يدعوا رأيا تبين من تطبيقه أنه حطهم فى الداخل وأزرى بهم فى الخارج.. ولا يوصف أبدا ترك هذا رأى بأنه ترك للدين، بل أن أغلب ما يشيع بين المسلمين فى المجال الإنسانى مخالف للدين، وليس وراءه أتباع محترم.¹

تحت عنوان معركة الحجاب يقول الشيخ: (نريد للصحة الإسلامية المعاصرة أمرين):

أولهما: البعد عن الأخطاء التى انحرفت بالأمة وأذهبت ريحها وأطمعت فيها عدوها.

والآخر: إعطاء صورة عملية للإسلام، تعجب الرائيين، وتمحو الشبهات القديمة وتنصف الوحي الالهي.

ويؤسفنى أن بعض المنسوبين إلى هذه الصحة فشل فى تحقيق الأمرين، بل ربما فى إخافة الناس من الإسلام، ومكن خصومه من بسط ألسنتهم فيه..

قرأت كتيباً فى إحدى دول الخليج يقول فيه مؤلفه:

إن الإسلام حرم الزنا وإن كشف الوجه ذريعة إليه، فهو حرام لما ينشأ عنه من عصيان..

¹ الشيخ محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام ص. ٤٨ وما بعدها ط أولى ١٩٨٤ دار ثابت.

قلت: إن الإسلام أوجب كشف الوجه في الحج، وألفه في الصلوات كلها، أفكان بهذا الكشف في ركنين من أركانه يثير الغرائز ويمهد للجريمة؟ ما أضل هذا الاستدلال..

وقد رأى النبي ﷺ الوجوه سافرة في المواسم والمساجد، والأسواق، فما روى عنه أنه أمر بتغطيتها، فهل انتم أغير على الدين والشرف من الله ورسوله؟

ولننظر إلى كتاب الله تعالى:

1- إذا كانت الوجوه مغطاة فمما يغض المؤمنون أبصارهم كما جاء في الآية الشريفة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم¹ أيغضونها عن القفا والظفر؟ الغضب يكون عند مطالعة الوجوه بدهة، وربما رأى الرجل ما يستحسنه من المرأة فعليه ألا يعاود النظر عندئذ

كما جاء في الحديث: قال رسول الله ﷺ ولعلّى رضى الله عنه: (يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الأولى وليست لك الأخرى)².

”وقد رأى النبي ﷺ من تستنار رغبته عند النظر المفاجى، وعندئذ فالواجب على المتزوج أن يستغنى بما عنده كما روى جابر عن النبي ﷺ: (أذرايى أحكم امرأة فأعجبته فليأت أهله – أى ليذهب إلى زوجته – فإن ذلك يرد ما فى نفسه)³ فإن لم تكن له زوجته فليتبّع قول الله تبارك وتعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من: فضله)⁴

وقد حكى القاضى عياض عن علماء عصره- كما روى الشوكانى أن المرأة لا يلزمها ستر وجهها وهى تسير فى الطريق، وعلى الرجال غض البصر كما أمرهم الله تعالى.

¹ سورة النور: ٣٠.

² الحديث أخرجه الترمذى من حديث شريك في كتاب النكاح باب ما جاء في نظرة المفاجأة 101/5 وقال حديث ه غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك.

³ الحديث رواه الامام مسلم عن جابر ١٣٠/٢ كتاب النكاح ط دارالفكر.

⁴ سورة النور: ٣٣.

قال البعض: إن الأمر بكشف الوجه في الحج، أو في الصلاة يعطى أن الوجه يجلب ستره فيما وراء ذلك، وأن على المرأة ارتداء النقاب والقفازين. ونقول: هل إذا أمر الله تعالى الحجاج بتعريية رؤسهم في الإحرام كان ذلك يفيد أن الرؤس تغطى وجوبا في غير الإحرام؟ من قال ذلك؟ من شاء غطى رأسه ومن شاء كشفه.

عن سهل بن سعد رضى الله عنه: أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله جئت لأهلب لكي إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه - لم يجبها بشى - فلما رأت أنه لم يقض فيها بشى جلست..⁽¹⁾، وفي رواية أخرى أن أحد الصحابة خطبها، ولم يكن معه مهر فقال له النبي ﷺ التمس ولو خاتما من حديد، وانتهت القصة بزواجه منها والسؤال: فيم صعد النظر وصوبه إن كانت منقبة؟

على أن قوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن)⁽²⁾ يحتاج إلى تأمل، إذا لو كان المراد إسدال الخمار على الوجه لقال: ليضربن بخمرهن على وجوههن، ما دامت تغطية الوجه هي شعار العالم الإسلامى، وما دامت للنقاب هذه المنزلة الهائلة التى تنسب إليه.. وعند التطبيق العملى لهذا الفهم، اضطرت النساء لاصطناع البراقع، أو حجب أخرى على النصف الأدنى للوجه كى يستطعن السير، فإن إسدال الخمار من فوق يغشى

العيون، ويعسر الرؤية، ومن ثم فنحن نرى الآية لا نص فيها على تغطية الوجوه.

ولا شك أن بعض النساء في الجاهلية، وعلى عهد الإسلام، كن يغطين أحيانا وجوههن، مع بقاء العيون دون غطاء، وهذا العمل كان من العادات لا من العبادات فلا عبادة إلا بنصر، ويدل على ما ذكرنا أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ يقال لها (أم خالد) وهى منتقبة تسأل عن ابنها الذى قتل فى إحدى الغزوات، فقال لها بعض أصحاب النبي ﷺ جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت المرأة الصالحة: إن أرزافى أبنى قلم أرزأ فى حيائى، واستغراب الاصحاب التنقيب المرأة دليل على النقاب لم يكن عبادة⁽³⁾

¹ متفق عليه.

² سورة النور: ٣١.

³ الحديث أخرجه ابو داود فى كتاب ابلهاد باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم 3/ 5، 6

قد يقال: إن ما روى عن عائشة يؤكد أن النقاب تقليد إسلامي، فقد قالت: كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات فإذا جازوا بنا سدلت إحداها جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزنا كشفناه¹

ونجيب بأن هذا الحديث ضعيف من ناحية السند، شاذ من ناحية المتن فلا احتجاج به. والغريب أن هذا الحديث المردود يروج له دعاة النقاب مع أنهم يردون حديثا خيرا منه حالا، وهو حديث عائشة أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي

ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه²) ونحن نعرف أن الحديث مرسل، ولكن الحديث قوته روايات أخرى، وهو أقوى من الحديث الذي سبقه.

ويقوم الشيخ آراءه فيقول: (هل ما قلته رأى انفرادت به؟ كلا أنه رأى المذاهب الأربعة- الفقهاء الأربعة الكبار- ورأى أئمة التفسير البارزين.. إن المشاغبين على سفور الوجه يظاهرون رأيا مرجوحا، ويتصرفون في قضايا المرأة كلها على نحو يهز الكيان الروحي والثقافي والاجتماعي لأمة أكلها الجهل والأعوجاج لما حكمت على المرأة بالموت الأدبي والعلمي.³

وظيفة الثياب:

وعن وظيفة الثياب يقول الشيخ: (إن تعرية المرأة حينا، وحشرها في ملابس ضيقة حينا آخر، وعمل لم يشرف عليه علماء الأخلاق وإنما قام به تجار الرقيق، ولكي توفر تربية شريفة

للجنسين يجب أن نعترض هذا الموكب الساخر من الكاسيات العاريات.

أن من حق المرأة أن تتجمل، ولكن ليس من حقها أن تتبرج، ولا أن ترتدى ثوب شهرة تختال فيه وتستلقت الأنظار، بل أن الإسلام رفض ذلك من الرجال والنساء جميعا.

¹ رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقي.

² رواه أبو داود وحسنه الألباني في حجاب المرأة المسلمة، وإرواء الغليل و صحيح الجامع الصغير وتخريج الحلال والحرام.

³ من الشيخ محمد الغزالي: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث سر 44 وما بعدها بتصرف.

قال رسول الله ﷺ: "لا ينظر الله يوم القيامة- إلى من جر ثوبه خيلاء"¹ وإنها لطفولة عقلية سخيقة أن يرى أمراً ما مكانه في حذاء لامع، أو رداء مطرز بالحريير أو الذهب..... إذا لم يتحصن المرء في نصاب كبير من العلم أو الخلق فلن يغنى عنه جمال الثياب ولين الأهاب.. وللملابس وظيفتها المقررة، ولا يجوز أن تكون وسيلة للاغراء المكروه، أو التطاول المعيب.²

نماذج مرفوضة:

في الوقت الذي يدافع فيه الشيخ بشدة عن حقوق المرأة، لا يقبل النماذج التي تخرج بها المرأة عن الحياء، وعن أساس دورها الطاهر العظيم في المجتمع، وعن هذه النماذج المرفوضة يقول:

(في عصرنا الحديث افتن الذين يتبعون الشهوات في عرض مفاتن النساع، واقحامهن في كل ميدان، دونما حاجة الى هذا الاق حمام... عند عرضى راديو"جديد قالوا: صوت به صوت سيدة، وعند عرض شراب بارد، جاؤا بامرأة تضع عنق الزجاجة في سها، وعند عرض ثوب للعمل أو الراحة، جاعوا بامرأة ترتديه في أوضاع شتى، وعندما شاعوا خدمة ركاب الطائرات جاعوا بفتاة تحسن التلطف في تقديم الطعام، وعندما أرادوا مزيدا من الإقبال على شراء السلع جاعوا بامرأة تجلس إلى الخزانة وتقبض النقود، وعندما يريد مدير عظيم أن يبرز سطوته وأناقته يجئ بمرأة تكون (سكرتيرة) لمكتبه..

وقال لى بعض من يعرفون أوروبا: إن هناك دورا للبقاء توضع النساء فيها وراء الزجاج، لى تنتظر الذئاب الجائعة، ثم تختار ما يعجبها..
إننى لا أظن البشرية عرفت عصرا أمكن فيه السطو على المرأة و استباحتها ظاهرا وباطنا، كهذا العصر الذى نحيا فيه..

فهل هذا هو تحرير المرأة؟ أن المسافة واسعة بين ابتذال المرأة كما يريد البعض، وبين ضمان حقوقها الإنسانية التي كفلها الوحي، وضمن بها البعض..
إن ما يقع الآن في الغرب ونقلده في الشرق، هو فيضان مشاعر مسعورة وأهواء جامحة، تريد المرأة لمباذل سيئة، وليس من وراء هذا احترام الدين، أو رغبة في أنصاف النساء وصون إنسانيتهن.. والذى يدعو إلى الأسى أن بعض المتدينين عندنا لا يفهم من تحرير المرأة إلا هذه الصورة التي ننكرها ونلعن

¹ الحديث أخرجه البخاري لك: اللباس

² الشيخ محمد الغزالي: قضايا المرأة ص ١٩٣ طر دار الشروقي ١٩٩٠ م.

أصحابها، وقد تكون رد فعل لحبسها الطويل في الظلام، وعجزها عن الأخذ
لنفسها، وقدرة بعض الرجال الأشرار على دفعها إلى الهاوية.

المرأة في الإسلام:

إن الإسلام نسق آخر في الفكر والسلوك، بعيد عن هذا الشطط، أساسه أن
النساء شقائق الرجال، وأن بينهن وبين الرجال حقوقا متبادلة، وكرامات
متساوية: (لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)¹
وعلى هذا الأساس طار المجتمع الإنساني- الإسلامي- إلى أهدافه العليا بجناحين
من الذكورة والأنوثة، ووسع المسجد الجنسين معا، يطلبان العبادة والمعرفة.

فهم مخالف:

يقول الشيخ: المصيبة أن بعض المتدينين دون مستوى الفهم لطبيعة المجتمع
الإنساني. ولوظيفة المجتمع الإسلامي. وقد رفع عضديه في الأيام الأخيرة من
يقول: لا عمل للمرأة إلا أن تضع الأولاد.. وعندما تكون المرأة بقرة للانجاب
فقط، فلا بد أن يكون رجلها ثوراء ولأبد أن تنحدر الأمة كلها إلى أن تكون حديقة
حيوانات.

هل الإسلام رسالته إلى العالمين بمجتمع من هذا النوع الهابط..؟ إننا نرفض المجتمع
المنحل، ونرفض كذلك المجتمع المختل، ونرفض أن تكون المرأة دابة للنسل،
وتنتهي رسالتها في الدنيا إلى هذه الغاية المهينة..

وظائف المرأة في الإسلام:

المرأة تتعلم وتتعب وتجاهد، ولها الحقوق في أن تدرس وتطبخ وتتاجر،
وتقوم بأعمال شتى تتناسب بداهة مع طبيعتها الأنثوية، وعملها الأول والأهم
أن تكون ربة بيت وحاضنة أسرة وهذا العمل يتطلب ثروة من الأدب والعلم
لا حصر لها، وإلا فإن المرأة الجهول لن تنشئ إلا ذرية أسوأ..

إن المرأة في صدر الإسلام عندما أمنت بالله تعالى ورسوله ﷺ، أسهمت بكل
قواها المادية والأدبية في نصرة الدين وإعلاء رايته، بدءا من قعر البيت إلى
طلب الجهاد في البحر على ظهر الاسطول الاسلامي، في نطاق محكم من
تعاليم الإسلام الموفرة للعفاف والطهر.

وينقل الشيخ عن الأستاذ عبد الحليم أبو شقة قوله عن المرأة:

- يا ليتهم سترُوا وجهها فقط ولم يحجبوها عن المسجد.

¹ سورة آل عمران: ١٩٥

- يا ليتهم سترُوا وجهها ولم يحجبوها عن الاحتفال بالعيد.
- (أمرنا نبينا أن نخرج العواتق وذوات الخدور ليشهدن الخير.....)¹
- يا ليتهم سترُوا وجهها و لم يحجبوها عن المحاضرات والندوات.
- (جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله: فقال: اجتمعن يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا).²
- يا ليتهم سترُوا وجهها ولم يمنعوها عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (قالت أم الدرداء لعبد الملك بن مروان: لعنت خادمك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة).³
- يا ليتهم سترُوا وجهها ولم يحجبوها عن العمل والكسب:
- قال رسول الله ﷺ للمرأة في فترة العدة:
- (جدي نخلك فأنت عسى أن تصدقي أو تفعلی معروفًا).⁴
- يا ليتهم سترُوا وجهها ولم يحجبوها عن الإسهام في الجهاد:
- يا ليتهم سترُوا وجهها ولسم يجبوها عن النشاط الاجتماعي والسياسي:
- أن الحجاب الذي يعنون بينه وبين الإسلام بعد المشرقين وإن تحديد الموقف الإسلامي من قضايا المرأة- كما شاء الله
- تعالى- يوصد أبواب الشبه التي يلج منها المنصرون.. وينقذ أمتنا من عواقب الإفراط والتفريط⁵
- نقل الشيخ هنا كلاما كثيرا عن الأستاذ عبد الحليم أبو شقة⁶

¹ الحديث أخرجه البخاري وى كتاب العيدين باب اذا ليكن لها جلباب وى العيدين ١٩٩/٢.

² أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام باب تعليم النى ﷺ أمتة من الرجال والنساء ٢٩٢/١٣.

³ الحديث خرجه مسلم في له البر والصلة: ٢٠٠٩ حديث رقم ٥ ٨، ٨٩ و احمد في مسنده 448 /9

⁴ الحديث أخرجه ابو داود ولى كتاب الطلاق، ٢٨٩/٢ باب في التوبة

⁵ الشيخ محمد الغزالي: صيحة تحذير من دعاة التنصير ص 1٢4 وما بعدها بتصرف ط دار الصحوة للنشر 1941.

⁶ (الأستاذ عبد الحليم أبو شقة له موسوعة عن المرأة بعنوان تحرير المرأة في عصر الرسالة" أقدم لها الشيخ محمد الغزالي والدكتور يوسف القرضاوي وطبعها دار القلم. وهي دراسة لقضايا المرأة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. وقد أثنى عليها كثير من الباحثين منهم د/ محمد بلتاجي.

مكررا نداءه(يا ليتهم)، إلا أن الكلام بعد هذه الفقرة يحمل أدلة سبق عرضها عن طريق الشيخ نفسه دون الرجوع إلى الأستاذ(أبو شقة). والفقرات السابقة من كتاب صحيحة تحذير تحمل مفهومي متغايرين، مفهوم حرية المرأة عند الغرب ومن يقلدهم من بلاد المسلمين وهذا مرفوض تماما عند الشيخ.

والمفهوم الآخر هو مفهوم حرية المرأة وحقوقها في الإسلام، في إطار من الشرع والعفة والطهر، وهذا المفهوم يدافع عنه الشيخ بقوة، وقد يضطره هذا الدفاع إلى الوقوف من بعض الأحاديث موقفا لا يرضى كثيرا من علماء الحديث. وسوف يأتي التعليق على هذه القضية عند الحديث عن موقف الشيخ من السنة الشريفة.

مصادر الشيخ في كشف الوجه:

يقدم الشيخ لمصادره في كشف وجه المرأة بتقدمة غاية في البراعة فيقول: (لقيني رجل فوق الأربعين يتحدث وكأنه يافع غر. قال لي بصوت مهتاج: أنت الذي تفتي بأن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة قلت بهدوء: نعم قال: أما تتقي الله؟ قلت: أوصيك ونفسي بتقوى الله.. قال إنك مخطئ فيما تذكره للناس ويجب أن تتوب.

قلت: لست وحدى المعلوم، فإن كبار¹ المفسرين سبقوني الى هذا الخطأ، كما سبقني إليه رواية عشرة من الأحاديث الصحاح وشاركني في خطئي أيضا أئمة المذاهب الأربعة وعدد من المذاهب الفقهية الأخرى.. أولئك جميعا هم الذين أستقيت منهم قولي، أو تابعتهم في غلطهم، ولا أشعر بغضاضة إذا كنا جميعا أصحاب تهمة واحدة..

قال الرجل وهو دهش: ماذا تقول، أهؤلاء جميعا يفتون بأن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة؟ قلت نعم. ولكنكم تؤثرن التقاليد السائدة بأراء مرجوحة، ولتفرض جدلا، أن في المسألة قولين، اخترت أنا أحدهما فلم الغضب ولم التحامل والشتم؟؟ هل سمعت حديث سلمان وأبي الدرداء؟ قال: لا قلت: أسمع(روى البخاري عن أبي جحيفة قال: أخى النبي صلى الله عليه وسلم بن

¹ من المفسرين الذين ذهبوا إلى أن الوجه والكفين ليسا من العورة: الأئمة الطبري والجصاص والواحي والبيهي والزمخشري وابن العربي والفخر الرازي والقرطبي والخازن والنيسابوري وأبو حيان وأبو السعود وابن باديس. ومن هذا يعلم أن الشيخ الغزالي لم يأت ببديع من القول بل سبقه إلى رأيه أفاض المفسرين.. فكيف يصفه الخصوم بأنه متأثر ومبهور

بالحضارة الغربية؟(المؤلفا).

سلمان الفارسي وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة- عليها ثياب لا جمال فيها- فقال لها: ما شأنك؟ لماذا هذا المنظر؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في النسلع. وجاء أبو الدرداء وصنع طعاما، وقال لسلمان: كل فأني صائم فقال: ما أنا بأكل حتى تأكل فأكل- أفطر لأداء حق الضيف- فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال له نيم فنام، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قسم الآن، فصليا جميعا، وقال سلمان: إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، وإن لأهلك - زوجتك - عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى أبو الدرداء النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صادق سلمان).¹ و الذي يعينني من سرد الحديث الحوار الذي جاع في صدره فلو أن هذا الحوار وقع في عصرنا لضرب الزائر، وقتلت المرأة.. ولقيل للرجل: ماذا يعينيك من النظر إلى ملابس الزوجة؟ ولماذا تتطفل بهذه الملاحظة، ولقيل للزوجة: كيف تشكين زوجتك وتكشفين للآخرين انصرافه عنك؟ لكن سلامة الفطرة في عصر

الصحابة تنفي كل شبهة، ولا تدع لظنون السوء مكانا، فلما فسدت النفوس جاء قول الشاعر: إذا سماع فعل المرع ساعت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم. وعلى هذا الأساس وجدنا الطباع المريضة تصف كشف الوجه بأنه فجور، وأنه حرام لأنه باب إلى الكبائر² والعياذ بالله تعالى. حسنا فعل للشيخ حين ساق أدلته على أن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة، فقد سبقه- كما قال- أئمة المفسرين وعشرة من رواة الحديث، والمذاهب الأربعة، وبعض المذاهب الأخرى، ويرجع الشيخ غياب هذه الحقائق الدينية إلى تحكيم التقاليد السائدة في قضايا المرأة، وربما كان هذا في الماضي البعيد، ولكن في عصرنا الحاضر، يضاف إلى التقاليد السائدة، حرية المرأة في الغرب وخوفا بعض المسلمين من هذه الحرية- الإباحية- ولكن الشيخ نفسه يرفض هذه الإباحية ويطالب بحرية إسلامية، وهو يقول: إن تجاهل حقوق المرأة من عبادة في المساجد، وتعليم وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، كل هذا لا يؤثر على المرأة وحدها حين يفقدها إنسانيتها، ولكنه يؤثر على الأمة الإسلامية كلها في رحلتها إلى أهدافها الخالدة.

¹ الحديث أخرجه الترمذي في ك الزهد ب 63 ج 608/4، 609 وقال هذا الحديث صحيح.

² الشيخ الغزالي: الحق المر 3/ 61

الفصل الثالث المتابعة

يرى الشيخ أنه لم يأت بجديد في كشف وجه المرأة، وأنه تابع كبار المفسرين والفقهاء وعشرة من رواة الأحاديث الصحيحة.. وسوف تؤصل لهذه القضية كما يلي:

أولاً: أولاه سيقبض إلى الفرنسرين: الإمام القرطبي:

يرى الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: (... ولا يبين زينتهن إلا ما ظهر منها..¹)، أستثنى ما يظهر من الزينة.

واختلف الناس في ذلك، فقال ابن مسعود: "ظاهر الزينة هو الثياب" وزاد ابن جبير الوجه.

وقال لدي عيد بن جبير وعطاء والأوزاعي: الوجه والكفان والثياب.

وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة: ظاهر الزينة هو الكحيل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرط والفتنخ، ونحو هذا فمباح، لأن تبديده المرأة لكل من دخل عليها من الناس.

قال ابن عطية: "ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بألا تبدي وجهها، وأن يجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فلا بد منه، أو إصلاح شأن ونحو ذلك فمسا ظهر على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه".

¹ سورة النور: ٣١.

يقول القرطبي عن قول ابن عطية: قلت: هذا قول حسن، إلا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة، وذلك في الصلاة والحج فيصلح أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما، وهذا أقوى في جانب الاحتياط، ولمراعاة فساد الناس، فلا تبدي المرأة من زينتها إلا ما ظهر من وجهها وكفيها والله الموفقى لأرب سواه".
وقد قال أحد علمائنا: (ابن خويز منداد): "إن المرأة إذا كانت جديلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك، وإن كانت عجوزاً أو قبيحة جاز أن تكشف وجهها وكفيها"¹

الإمام ابن كثير:

(إلا ما ظهر منها): عن ابن عباس: وجهها وكفيها والخاتم. وعن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك (الوجه والكفين). إن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير (ما ظهر منها) بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند الجمهور².. ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه: أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ينفي وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال: "يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا" وأشار إلى وجهه وكفيه³.

قال أبو داود وأبو حاتم الرازي: هو مرسل لأن خالد بن دريك لم يسمع من عائشة. هكذا نقل عنهما ابن كثير.

النيسابوري:

يقول في قوله تعالى: (إلا ما ظهر منها) إلا ما يظهر الإنسان على العادة الجارية، وذلك في النساء الحرائر الوجه والكفان، وفي الإماء كل ما يبدو عند المهنة، وفي صوتها (المرأة) خلاف، الأصح أنه ليس بعورة، لأن نساء النبي يق كن يروين الأخبار للرجال⁴.

تفسير أبو الكتب هوكر:

في قوله تعالى: (إلا ما ظهر منها): عند مزاولة الأمور التي لابد منها عادة، كالأخاتم والكحل والخضاب ونحوها فإن في ستترها حرجا بينا، وقيل: المراد بالزينة مواضعها، على حذف المضاف أو ما يعلم المحاسن الخلقية والتزينية والمستثنى هو الوجه والكفان لأنهما ليسا يعورة. (وليضربن بخمرهن على

¹ الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن [1 / 1 / 228، 229] ط دار إحياء التراث العربي ١٩٨٥ م.

² الإمام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم [3 / 283] ط دار المعرفة بيروت ١٩6٩ م.

³ سنن أبي داود.

⁴ النيسابوري: غرائب القرآن [3 / 2491] ط دار الصفوة ١٩٩٥ م.

جيوبهن) إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواضيع الزينة بعد النهي عن إبدائها وقد كان النساء على عهد الجاهلية يستدلى خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوس عزاء، فأمرن بإرسال خمرهن إلى جيوبهن سترا لما يبدو منها¹.

في تفسير (ما ظهر منها) يقول: فإن قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة؟ قلت: لأن سترها فيه حرج، فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن، وهذا معنى قوله (إلا ما ظهر منها) يعني إلا ما جرت العادة والجملة على ظهوره، والأصل فيه الظهور²

- تفسير الطبري:

يرى ابن جرير في قوله تعالى: (إلا ما ظهر منها) إلا الوجه والكفين إلا أن الشيخ محمد علي الصابوني والدكتور صالح أحمد رضا لهما رأي آخر: "أن الوجه من العورة والمقصود من الآية ما ظهر من غير قصد"³

- في ظلال القرآن:

يقول الأستاذ/ سيد قطب في: (إلا ما ظهر منها): "والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها، فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدو جميلة والزينة تختلف من عصر إلى عصر، ولكن أساسها في الفطرة واحد، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكمالها، وتجليته للرجال، والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية، ولكنه ينظمها ويضبطها ويجعلها تتبلور في الاتجاه بها إلى رجل واحد- هو شريك الحياة- يطلع منها على ما لا يطلع أحد سواه.. فأما ما ظهر من الزينة في الوجه واليدين فيجوز كشفه لأن كشف الوجه واليدين مباح"⁴

يقف الشيخ في استناده إلى كثير من آراء المفسرين في كشف الوجه للمرأة، موقفا فيما، مؤيدا من أكثرهم ولو كان الشيخ يرحمه الله تعالى يذكر مصادره الصحيحة دائما، لوضع الأساس لأرائه وآراء المعارضين له وبقي الحكم بالصواب أو خلافه لمن يطالع الرأيين معا، لأن من يقرأ للشيخ ولا يجد ذكر المصادر يظنه يصدر عن

¹ تفسير أبي السعود 1 / 4 / 84، 82 ط دار الفكر. بيروت.

² الامام الزمخشري: الكشف [3 / 61] ط الحلبي ١٩٧٢

³ مختصر تفسير الطبري [٢ / ٩٩، ٩٧] ط دار القرآن الكريم. بيروت.

⁴ الاستاذ سيد قطب: في ظلال القرآن [2512/4] ط دار الشروق ١٩٨٧.

رأيه فيما يقول، أو يملك جراحة تتجاوز المعقول ولكن تأصيل آراء الشيخ كما جاء في الفقرات السابقة يثبت أن الشيخ داعية مخلص لدينه ولدعوته في أن واحد

ثانيا: الآراء الفقهية:

الشافعية: قالوا حد العورة (في الصلاة) من المرأة الحرة جميع بدنها حتى شعرها النازل على أذنيها، ويستثنى من ذلك الوجه والكفان فقط ظاهرهما وباطنهما.

الحنابلة: قالوا: في حد العورة للمرأة كما قال الشافعية، إلا أنهم أسستوا من الحرة الوجه فقط، وما عداها منها فهو عورة.

المالكية: قالوا عن عورة المرأة: أما الوجه والكفان ظهر أو بطناً فهما ليستا من العورة مطلقاً.

عورة المرأة خارج الصلاة:

إذا كانت بحضرة رجل أجنبي أو امرأة غير مسلمة، فعورتها جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين فإنهما ليسا بعورة في حل النظر لهما عند أمن الفتنة.. وصوت المرأة ليس بعورة لأن نساء النبي ﷺ كن يكلمن الصحابة وكانوا يستمعون منهن أحكام الدين، ولكن يحرم سماع صوتها إن خيفت الفتنة، ولو بتلاوة القرآن¹.

وفي كتاب آخر للفقه على المذاهب الأربعة تتفق المذاهب على ما يلي:

في حضرة الأجانب (عورتها جميع بدنها، ما عدا الوجه والكفين فإنهما ليسا بعورة، فيحل النظر لهما عند أمن الفتنة)، يخرج عن هذا الاتفاق الشافعية فيقولون: "إن وجه المرأة وكفيها عورة بالنسبة للرجل الأجنبي أما بالنسبة للمرأة الكافرة فإنهما ليسا بعورة.. وكذلك ما يظهر من المرأة المسلمة عند الخدمة في بيتها كالعنق والذراعين"².

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "وأنا ممن يرجحون أن الوجه والكفين ليسا بعورة ولا يجب تغطيتهما وأرى أن أدلة هذا الرأي أقوى من أدلة الرأي الآخر، ومعني في هذا الرأي كثير من علماء هذا العصر مثل الشيخ ناصر الدين الألباني في كتابه "حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة" وجمهور علماء الأزهر في مصدر، وعلماء الزيتونة في تونس، والقرويين في المغرب، وغير قليل من علماء باكستان والهند وتركيا وغيرها" ويقوم الدكتور يوسف القرضاوي بسرد آراء المعارضين لكشف الوجه ويخلص إلى ما يلي: "فإذا وجد من بنات المسلمين من تقتنع بهذا الرأي (المعارض) وتوى أن كشف الوجه حرام، وأن تغطيته فريضة، فكيف نفرض عليها الرأي الآخر

¹ عبد الرحمن الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة [1 / 172] وما بعدها ط دار الكتب العلمية. بيروت بتصرف

² عبد الوهاب خلاف: الفقه على المذاهب الأربعة ص 100 ط دار الشعب.

الذي تراه هي خطأ ومخالفا للنصر؟ اننا ننكر عليها حقا إذا رأت أن تفرض هي رأيها على الآخرين أو الأخريات، وأن تحكم بالإثم أو الفسق على من عمل بالرأي الآخر، وتعتبر هذا منكرا يجب محاربته، مع اتفاق المحققين من العلماء على أن لا إنكار في المسائل الاجتهادية الخلافية.

لو فرض أن هذه المسلمة لا ترى وجوب التغطية للوجه، وإنما تراه أروع وأتقى خروجاً من الخلاف، وعملاً بالأحوط فقط، فمن ذا الذي يمنعها من أن تأخذ بالأحوط لنفسها ودينها، وكيف يسوغ أن تلام على ذلك ما دام هذا لا يؤدي أحداً، ولا يضر بمصلحة عامة ولا خاصة؟

ويختم بقوله: "وأود أن أبادر هنا فأؤكد حقيقة لا تحتاج إلى تأكيد، لأنها عند أهل العلم معروفة غير منكورة، مشهورة غير مهجورة، وهي أن القول بعدم وجوب النقاب وبجوار كشف الوجه والكفين من المرأة المسلمة أمام الرجل الأجنبي غير المحرم لها هو قول جمهور الفقهاء الأئمة- ربما يقصد المذاهب- منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم- فلا وجه إذن للضجة المفتعلة والزوبعة المصطنعة التي أثارها بعض المخلصين من غير أهل العلم، وبعض المتشددین من طلبة العلم، ضد ما قاله الداعية الإسلامي" يـخ محتند الغزالي في بعض كتبه، أو بعض مقالاته كأنما أتى ببدع من القول، أو جديد من الرأي وما هو إلا قول الأئمة المعترين والفقهاء المعدودين"¹

جاءت كلمات د/ يوسف القرضاوي عن الشيخ خاتمة جيدة لهذه المتابعة فقد أعطى لأراء الشيخ قيمتها حين ردها إلى أصولها، وركز على نقطة هامة

هي أن الشيخ متبع وليس مبتدعاً، وهذه الفكرة يغفل عنها بعض الناس حيدر يناقشون آراء الشيخ في كثير من المسائل المعروضة والتي يقول فيها الشيخ رأياً معيناً

حق المرأة في اختيار زوجها:

يبرر الشيخ تصديه لهذه القضية وانحيازه إلى رأي فقهي معين بأنه يسعى إلى تقوية الأسلوب الدعوي الذي يعطي للإسلام حقه بين الأديان، فالإسلام كما يرى الشيخ دعوة عالمية يجب ألا تعرض بأسلوب محلي يستصحب معاً لعادات والتقاليد والأراء الفقهية التي تتسجم مع هذه العادات والتقاليد، هكذا يرى الشيخ ويعبر عن ذلك بقوله: "هناك سباق قائم بين عدة أديان كي يثبت كل منها أنه أولى بالحياة وأجدر بالبقاء، والغريب أن بعض المنتمين إلى الإسلام يجهل هذا الواقع، ويرتكب حماقات تسي إلى دينه، بل تنفر منه و تصند عنه، ولعله مطمئن- من الناحية النفسية- إلى صديق عقائده وسلامة تعاليمه، فعلى الناس أن يؤمنوا به إذا شاعوا، أو يذهبوا إلى حيث ألفت.

¹ د/ يوسف القرضاوي: فتاوى معاصرة [٢/ ٣١٣] اوما بعدها ط دارالوفاة - الثالثة 1994م.

و هذا جهل وطيش فإن السلعة النفيسة قد تكسد بسوء العرض، وقصدور الإعلان وتسبقها سلع أخرى أحسن أصحابها الدعاية لها واجتذاب الأبصار إليها".

حق المرأة في اختيار زوجها:

كنت اناقش رجلا كنديا يسألني بضيق عن موقف الإسلام من المرأة، فجاء في حوارني، المرأة حرة في اختيار زوجها، ولا يكن إكراهها على قبول من تكره، ولها أن تباشر عقدها أو توكل فيه كما تشاء.. وكان هناك من يرقيتا وهو ساخط، وحمدت الله تعالى أنه لاذ بالصمت، فلما انتهى الحوار اقترب مني المعترض- المؤدب- قائلا: لا يجوز أن تباشر المرأة عقدها، بل الدين ضد هذا.

قلت: رأيك ضد هذا، قلدت فيه بعض المذاهب الفقهية، ورجحت أنا وجهة النظر الأخرى، واعتقدت أنها أقرب إلى عقول الأوروبيين والأمريكيين، والعمل عليها يجري في أقطار إسلامية محترمة، ومن مصلحة الإسلام أن تتسع دائرة هذه الأقطار..

إن شرا مستطيرا يصيب الإسلام من تفوق بعض أتباعه في أراء فقهية معينة شجرت في ميدان الفروع، ويراد نقلها من مكانها العتيد لتعترض عقائده و قيمه الكبرى¹.

الحقوق المدنية والشرعية للمرأة:

يقول الشيخ: والمرأة والرجل في الحرية المدنية سواء، فشخصيتها المعنوية ثابتة، وحققها في التصرف ومباشرة جميع العقود مقرر في الشريعة لها أن تبيع وتشترى، وأن توكل عن نفسها، وأن تكون وكيلة عن غيرها، وليس هناك ما يميز الرجل عنها في هذا المجال.

عقد الزواج:

وفي عقد الزواج كلام يجب أن يذكر هنا، ليعرف منه مدى حق المرأة ومدى الحرية الممنوحة لها.

لا يجوز لأحد إكراه المرأة على الزواج بمن تكره: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن". قالوا: يا رسول الله: كيف إذنتها؟ قال: "أن تسكت"²...

وعن خنساء بنت خدام: أن آباها زوجها وهى ثيب دون أن تعرف رأيها، فأنت رسول الله ﷺ تشكو فرد نكاحها.

¹ الشيخ محمد الغزالي: قضايا المرأة ص ٢٩.

² رواه ابو داود.

وعن ابن عباس أن جارية بكرا أتت رسول الله ﷺ فذكر أن له أن أبأها زوجها وهي كارهة، فخيرها النبي ﷺ - أي رد الأمر إلى مشيئتها¹.

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه "جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بني خسيسته، قال الراوي: فجعل الرسول أمرها إليها، قالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الأباء من الأمر شيء"².

وإذا كان رضا المرأة لا بد منه في عقد الزواج، فمن الذي يباشر هذا العقد؟ يقول بعض الفقهاء: من حقها أن تستقل بمباشرة هذا العقد، فهو كأي عقد آخر يصلح لها أن تبأشره وإن كان الأولى بها والأليق بحياء المرأة أن تكل ذلك إلى أبيها أو أحد أوليائها.

دور ولي الأمر في عقد الزواج:

على أن الإسلام أباح لولي المرأة أن يعترض على الزواج إذا أساءت البنت التصرف فيه، بأن اختارت لنفسها شخصا ساقط المروعة مطعون الكفاية لأن هذا الزواج يسى إلى مستقبلها، وإلى كرامة أسرتها، وقد تكون الدوافع إليه شهوة عابرة أو نزوة طائشة، أما إذا كان الزوج المختار لا مطعن فيه، فليس لأحد حق الاعتراض عليه، ويرى فقهاء آخرون ضمانا لاستقرار الأسرة أن يباشر العقد الولي نفسه، بعد الاستيثاق من رضا الزوجة.. فذلك أحوط وأسلم. وفي كلتا الحالتين لا نجد انتقاصا من الحرية المدنية للمرأة³.

حق المرأة في فسخ عقد الزواج:

في عصور متطاولة كان نصيب المرأة قليلا من الرحمة العامة الغامرة التي بعث بها صاحب الرسالة الخاتمة، حاشا عصر البعثة الشريفة والخلافة الراشدة، فإن المرأة شهدت أياما ذهبية.

تأمل موقف النبي ﷺ من جميلة بنت أوس عندما جاءتته تشكو بقاءها في بيت الزوجية لا لشي إلا لأنها تكره هذا وتعاف عشيرته، إن النبي ﷺ قال لها: "لقد أعطاك زوجاك حديقته مهرا فهل ترددين عليه حديقته؟" قالت: نعم، فأمر الرجل فطلقها⁴. إن الأسرة لا تقوم على امرأة تبغض الرجل وتشتهي مفارقتها، ومن هنا قال سبحانه وتعالى: (فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به)⁵.

¹ الحديث أخرجه أبو داود في كتاب النكاح [٢ / ٢٣١].

² الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح [١ / ٢، ٣، ٦].

³ الشيخ محمد الغزالي: حقوق الإنسان بين تعليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص ١٢٦، ١٣٧ ط دار الدعوة ١٩٩٣ م.

⁴ الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق باب في الخلع [٣ / ٢٦٨، 269].

⁵ سورة البقرة: ٢٢٩.

هل هذا الخلع طلاق أو فسخ للعقد؟ بحث لا نتعرض له هنا وإنما يحكم بأن يقود رجال الشرطة المرأة الكارهة بالقوة إلى بيت الطاعة لتحتضن من تبغض.. وكان رد الفعل لهذا المسلك أن وضع قانون آخر باسم الشريعة يخرج الرجل من البيت إذا أوقع الطلاق.

لم هذا الاضطراب في فهم الدين وتطبيقه؟ وأين قوله تعالى (إمسك بمعروف أو تسريح بإحسان)¹

إن للمسلمين غرائب في فهم شريعة الخلع وشريعة الطلاق لا تقيم على فقه واع واسع الأفق².

الطلاق والضرورة النفسية:

يقول الشيخ: إن المجتمعات في الشرق والغرب اعترفت بأن الطلاق قد يكون ضرورة نفسية واجتماعية، وأنه ليس سوطاً في يد الرجل، بل قد يكون فكاكاً لإسار المرأة.. وأعرف أسيراً إسلامية جعل الدين أفرادها جسداً واحداً فما يعبر الطلاق بخاطر أحد. إن تماسكها أمتن وأزكى.

ولكن الأمة الإسلامية في أيام اضمحلالها العقلي والنفسي نسيت وظيفة الأسرة وتنشئة الأولاد وبناء المستقبل على الحاضر، وربما علق أحد الناس مستقبل بيته على رطل لحم يرفض شراؤه، فيحلف بالطلاق على ذلك، ماذا

نقول إلا ما قاله الله تعالى في هذه الأحوال وهو يختم سورة الطلاق (وكأين من قرية أعت عن أمر ربها ورسالة فحاسبناها حساباً شديداً و عذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً)³.

إن هناك تقاليد وضعها الناس ولم يضعها رب الناس، وحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي للمرأة، واستبقت في معاملتها ظلمات الجاهلية الأولى، وأبت أعمال التعاليم الإسلامية، فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية ومال ميزان الأمة كلها مع التجهيل المتعمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها⁴.

ويرى الشيخ- يرحمه الله تعالى- أن من حق المرأة تزويج نفسها أو بالأحرى اختيار زوجها، ومن حقها أيضاً طلب الطلاق في حالة تعسر الحياة الزوجية، وتحمل المرأة مشقة فوق طاقتها النفسية والجسدية.

هل يوافق الفقهاء الشيخ فيما ذهب إليه:

¹ سورة البقرة: ٢٩٩.

² الشيخ محمد الغزالي: المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص ٩٨.

³ سورة الطلاق: ٨.

⁴ الشيخ محمد الغزالي: قضايا المرأة ص ٩، ٦٠.

عن ثبوت الولاية في النكاح يقول الكاساني: فلا تثبت هذه الولاية على البالغ العاقل، ولا على العاقلة البالغة، وعلى أصل الشافعي شرط ثبوت ولاية الاستبداد في الغلام هو الصغر، وفي الجارية البكارة سواء كانت صغيرة أو بالغة، فلا تثبت هذه الولاية عنده على الثيب سواء كانت بالغة أو صغيرة، والأصل: أن هذه الولاية على أصل أصحابنا تدور مع الصغر وجوداً وعدماء، في الصغر والصغيرة، أما في الصغيرة فإنها تدور مع البكارة وجوداً وعدماء، وفي الكبيرة والكبيرة تدور مع الجنون وجوداً وعدماء..

قال زفر: إذا طرأ الجنون لم يجز للولي التزويج وعلى هذا يستثنى أن الأب والد، لا يملكان إنكاح البكر البالغة بغير رضاها عندنا. وقال الشافعي: يملكانه..

ولنا أن الثياب البالغة لا تزوج إلا برضاها، فكذا البكر البالغة، والجامع بينهما وجهان:

الأول: طريق أبي حنيفة وأبي يوسف: أن ولاية الحتم والإيجاب في حالة الصغر إنما تثبت بطريق النيابة عن الصغيرة لعجزها عن التصرف على وجه النظر والمصلحة بنفسها، وبالبلوغ والعقل زال العجز وثبتت القدرة حقيقة ولهذا صارت من أهل الخطاب في أحكام الشرع إلا أنها مع قدرتها حقيقة عاجزة عن مباشرة النكاح عجز ندب واستحباب لأنها تحتاج إلى الخروج إلى محافل الرجال، والمرأة مخدرة مستورة والخروج إلى محفل الرجال من النساء عيب في العادة، فكان عجزها عجز ندب واستحباب لا حقيقة.

الثاني: عن محمد: فهو الثابت بعد البلوغ ولاية الشركة لا ولاية الاستبداد فلا بد من الرضا كما في الثيب البالغة، وإذا كان الرضا في نكاح البالغة شرط الجواز، فإذا زوجت بغير إذنها توقف التزويج على رضاها، فإن رضيت جاز وإن ردت بطل. فإن كان ثيباً فرضناها يعرف بالقول تارة وبالفعل أخرى.. وإن كانت بكراً فإن رضاها يعرف بهذين الطريقين وبثالث وهو السكوت، وهذا أستحسان والقياس أن لا يكون سكوتها رضا، وجه القياس أن السكوت يحتمل الرضا، ويحتمل السخط، فلا يصلح دليل الرضا مع الشك والاحتمال¹.

يتلخص مما سبق من البدائع أن تزويج المرأة ثيباً كانت أم بكراً يتوقف على رضاها.

ويرحم الله تعالى إمامنا الشافعي لأنه يجيز زواج البكر من غير رضاها كيف؟ ولكن النفس تستريح إلى أراء الأحناف في زواج البكر والثياب على السواء.

¹ الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع [٢/ ٣٦١، ٣٦٢] ط دار الفكر ١٩٩٦.

يقول ابن رشد عن الولاية في الزواج: "اختلف العلماء: هل الولاية شرط من شروط صحة النكاح أم ليست بشرط؟

ذهب مالك إلى أنه لا يكون نكاحاً إلا بولي، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة وزفر والشعبي والزهري: إذا عقدت المرأة نكاحها بغير ولي وكان كفؤً أجاز، وفرق داود بين البكر والثيب فقال باشتراط الولي في البكر، وعدم اشتراطه في الثيب"¹.

تأرجح الآراء بين اشتراط الولي وعدم اشتراطه إلا أن أحداً لا يقول بجواز النكاح بدون رضا المرأة ثيباً كانت أم بكراً.

يقول د/ يوسف القرضاوي عن رأي الإمام الشافعي في تزويج الأب أبنته البكر البالغة بغير رضاها: "من الإنصاف للمجتهدين أن نضع آراءهم في إطارها التاريخي فإن المجتهد ابن بيته وزمنه، ولا يمكن إغفال العنصر الذاتي للمجتهد، وقد عاش الإمام الشافعي في عصر قلما كانت تعرف الفتاة عن يتقدم إليها شيئاً، لهذا أعطى والدها خاصة حق تزويجها ولو بغير استئذانها، لكمال شفقتة عليها.

ومن يدري لعل الشافعي لو عاش إلى زماننا هذا، ورأى ما وصلت إليه الفتاة من ثقافة وعلم، وأنها أصبحت قادرة على التمييز بين الرجال الذين يتقدمون، وأنها إذا زوجت بغير رضاها ستستحيل حياتها الزوجية إلى جحيم عليها وعلى زوجها لعله لو رأى ذلك لغير رأيه كما غيره في أمور كثيرة، فمن المعلوم أنه كان له مذهبان: أحدهما: قديم قبل أن يرحل إلى مصر، والثاني: جديد بعد أن انتقل إلى مصر واستقر فيها. ورأى فيها ما لم يكن قد رأى..

والصحيح أن مناط الإيجاب هو الصغر وأن البكر البالغ لا يجبرها أحد على النكاح.. وأيضاً فإن الأب ليس له أن يتصرف في مالها إذا كانت رشيدة إلا بإذنها، وبضعها أعظم من مالها، فكيف يجوز أن يتصرف في بضعها مع كراهيتها و رشدها؟

وأما تزويجها مع كراهيتها للنكاح فهذا مخالف للأصول والعقول، والله تعالى لم يسوغ لوليها أن يكرهها على بيع أو إجارة إلا بإذنها، ولا على طعام أو شراب أو لباس لا تريده... فكيف يكرهها على معاشرة من تكره معاشرته؟"².

¹ ابن رشد: بداية المجتهد [٨/٢، ٩] ط الحلبي ١٩٨١.

² د/ يوسف القرضاوي: فتاوى معاصرة [٢ / ٤٣].

وهكذا يرى د/ يوسف القرضاوي أن إرغام المرأة على الزواج ممن تكره أمر يخالف الأصول والعقول، وهو بهذا يتفق مع آراء العلماء القائلين بحرية المرأة في اختيار من تتزوج.

وأرى أن الجمع بين هذه الآراء جميعا ليس أمرا مستحيلا، تتزوج المرأة باذن وليها ولكن برضاها عن هذا الزواج.

والخلاصة أن الشيخ حين اتجه إلى القول بحرية المرأة واختيارها في الزواج ممن تريد لم يكن مبتدعا، أو صاحب هوى وإنما كان يرجح من بين المذاهب مذهباً معيناً، أو عدة مذاهب يرى أن في اتباعها فائدة للمرأة المسلمة ولمجتمع المسلمين في أن واحد.

ثالثاً: الأحاديث الشريفة:

أستشهد الشيخ- يرحمه الله تعالى- بعشرة أحاديث صحيحة في قضية كشف وجه المرأة وسوف نوردها فيما يلي:

(١) كانت سبيعة بنت الحارث تحت سعد بن خولة و هوا من بنى عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تелت من نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنايل بن بعكك- رجل مر بني عبد الدار- فقال لها: مالي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح؟ فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي. أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا ٧ / ٣١٠ الطبعة السلفية والشاهد في هذا الحديث تجمل سبيعة وظهور ذلك أمام أبي السنايل.

(٢) روى البخاري بسنده عن أبي حازم قال: سمعت سهلا يقول: أتى أبو أسيد الساعدي فدعا رسول الله ﷺ في عرسه فكانت امرأته خادمهم- وهي العروسي- قالت: "أندرون ما سقيت رسول الله ﷺ؟ أنقعت له تمرات من الليل في تنور".

أخرجه البخاري في كتاب الأشربة باب الانتباز في الأوعية 1 / 65 المطبعة السلفية

(٣) روى البخاري بسنده عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر. فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة، أف أحج عنه؟ قال: نعم، وذلك في حجة الوداع.

أخرجه البخاري في كتاب الحج باب وجوب الحج وفضله 3 / 378.

وأخرجه مسلم في كتاب الحج حديث رقم 407

والشاهد في هذا الحديث ظهور وجه الخثعمية، ونظر الفضلسل إليها وعدم صدور أمر من الرسول ﷺ لها بتغطية وجهها، وهذا الحديث حجة عند من يرى أن الوجه ليس بعورة.

(4) روى الامام مسلم بسنده عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "إذا أحدكم أعجبته المرأة، فوقع في قلبه فليعمد إلى امرأته ليوافقها، فإن ذلك يرد ما في نفسه".

أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب ندب من رأى امرأة فوقع في نفسه ٢ / ١٠٢١ حديث رقم ٩، ١٠.

والشاهد في هذا الحديث أن المرأة لا تعجب الرجل إلا إذا رآها- رأى وجهها - أما في حالة غطاء كل الجسد بما في ذلك الوجه فلا مجال للرؤية التي تثير الغريزة.

(5) روى الترمذي بسنده عن بريدة رفعه قال: يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الأخيرة. أخرجه الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في نظرة المفاجأة 101/5.

والشاهد في هذا الحديث- إن صح- هو العفو عن النظرة الأولى. والحساب على الأخيرة لأنه يدل على وجود وجه للمرأة بادي الحسن ظاهر الجمال ويعتبر النظر المستمر إليه فتنة ولذلك كان الحساب على الأخيرة.

(6) روى البخاري بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت أهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر وصوبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: فهل عندك من شئ؟ فقال: لا والله يا رسول الله. فقال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟ فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: انظر ولو خاتماً من حديد فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزار ي فلها نصفه، فقال رسول الله: ما تصنع بإزارك؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شئ، وإن لبسته لم يكن عليك منه شئ فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه

قام، فراه رسول الله ﷺ مولياً فأمر فدعي فلما جاء قال: ماذا معاك من القرآن؟ قال معي سورة كذا وكذا، فقال تقرأهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم، قال: اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن.

أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن 2 / 1040،
1041 حديث رقم 76.

و أحمد في مسنده 4 / 136، 197 دار صادر بيروت.

والشاهد في هذا الحديث قوله: فصعد النظر وصوبه، ويرد عليه بأنه نظر بغرض الزواج- القبول أو الترك- وهو مباح، إلا أن الحجة في نظر الصحابي الجالس لأنه لو كان النظر إلى وجه المرأة حراماً لجره رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يزوجها له.

(٧) روى أبو داود بسنده معنى نابت بن قيس بن شماسي عن أبيه عن جده قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ يقال لها أم خلاد - وهي منتقية - تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقية؟ فقالت: إن أر أن ابني، فلم أرزأ حيائي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما له أجر شهيدين". قالت: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: "لأنه قتله أهل الكتاب"

أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم
6، 5/3

والشاهد في هذا الحديث تعجب الصحابة من نقاب أم خلاد وهذا يدل على أن النقاب لم يكن عاماً في جميع النساء.

(8) روى أبو داود بسنده... عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: "يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا" وأشار إلى وجهه وكفيه.

قال أبو داود: هذا مرسل خالد بن شريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب فيما تبدي المرأة من زينتها 4/ 62
والشاهد في هذا الحديث أن وجه المرأة ليس بعورة وكذلك كفيها.

(٩) روى الترمذي بسنده عن أبي جحيفة قال: أخى رسول الله ﷺ بين سلمان وبين أبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك متبذلة؟ قالت له: إن أخالك أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا، فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاماً فقال: كل فإني صائم. قال: ما أنا بأكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم. فنام ثم ذهب ليقوم، فقال له: نم، فنام، فلما كان عند الصبح قال له سلمان: قم الآن. فقاما، فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقا، ولربك عليك حقا ولضيفك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك، فقال له "صدق سلمان".

أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب 6٣ ج 4 / ٨، 6٠٩. والشاهد في هذا الحديث رؤية سلمان لأُم الدرداء متبذلة ونصيحته لأبي الدرداء بالاهتمام بها وقد تم هذا في جو من الطهر والعفاف الكاملين.

(١٠) روى أبو داود بسنده... عن جابر قال: طأقت خالتي ثلاثا فخرجت تجد نخلالها، فلقىها رجل فناهاها، فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فقال لها: "أخرجي فجزى نخلك لعلك أن تصدقي منه أو تفعلي خيرا".

أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق باب في الميتوة تخرج بالنهار 289/2. والشاهد في هذا الحديث معرفة الرجل للمرأة في الطريق حين نهاها عن الخروج وهذا يدل على كشف وجهها لأنه تحقق منها وكلمها بعد ذلك.

هذه بعض الأحاديث التي رأى الشيخ أنها تسند رأيه في كشف وجه المرأة وأنه ليس بعورة، وقد جمعها من مصادر ها وعلقت عليها من خلال وجهة نظر الشيخ دون تدخل لأنه استشهد بها وكان من المفيد تجميعها في مكان واحد. وبذلك يتم توثيق رأي الشيخ من خلال تفسير القرآن الكروية وأئمة الفقه والأحاديث الشريفة، وقد أعلن الشيخ براعته من الزية حي. تمسك بهذه المصادر وهي تفيد أنه لم يصدر عن رأيه في هذا الأمر.

الباب الرابع

قضية السنة النبوية الشريفة

الباب الرابع

قضية السنة النبوية الشريفة

الفصل الأول: عاشق السنة

فى الفصل الأخير من حياة الشيخ أثار بعض الأراء فى بعض الأحاديث، وأثارت هذه الأراء ضده كثيرا من المعترضين على هذه المواقف التى اتخذها الشيخ، حتى رماه بعضهم بمعادة السنة الشريفة واتخاذ مواقف مناهضة لها. وعلى الصفحات التالية، يتضح موقف الشيخ من السنة الشريفة ويتخلص هذا الموقف فى انه كان: محبا، ومجلا، وعاشقا، لسنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم، ولم يكن جاهل بها في يوم من الأيام وقد ثبت حبه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم¹ في معظم مؤلفاته من بداية حياته وحتى نهايتها.

يرى الشيخ أن حب الرسول ﷺ يفرض على المسلم أن يهيئ نفسه لهذا الحب فيقول: يجب أن ينهض الى تقويم نفسه وإصلاح شأنه، حتى يكون قريباً من سنن محمد ﷺ - في معاشه و معاوه، و حربه وسلمه، و علمه و عمله، وعاداته، و عباداته. ان المسلم الذي لا يعيشى الرسول في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يغنى عنه أبداً أن يحرك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة².

وعن دور النبي ﷺ في هداية العالم يقول الشيخ: لم يكن محمد ﷺ إماماً لقبيلة من الناس صلحوا بصلاحه، فلما انتهت زهوامعه في خبر كان، بل كان قوة من قوى الخير، لها في عالم المضائي بالاكشاف البخار والكهرباء في عالم المادة، وإن بعثته لتمثل مرحلة من مراحل التطور في الوجود الإنساني..... فإذا بقي محمد ﷺ، أو ذهب، فلن بنقص ذلك من جوهر رسالته، وإن رسالته تفتيح الأعين والأذان، وتجليه البصائر والأذهان، وذلك مودع في تراثه الضخم من كتاب وسنة..... أنه لم يبعث ليجمع حول اسمه أناساً قلوأ، أو كثروا. إنما بعث صلة بين الخلق والحق الذي يصح به وجودهم، والنسور الذي يبصرون به غايتهم³

وعن أهمية السنة في حياة الناس يقول الشيخ: عندما درسنا تراث محمد ﷺ - في "الأخلاق" وذاكرنا أحاديثه التي تربوا على الألوف في شتى الفضائل خيل إلينا: لو أن جيشاً من علماء النفس والتربية اجتمع ليسوق أعماله مثل هذا الأدب لحجز، والأخلاق شعبة واحدة من رسالة محمد ﷺ

الضخمة⁴. وعن مكانة السنة الشريفة في عقيدة المسلم يقسول الشمسشيخ: والرجل الذي اصطفاه الله تعالى لحمل رسالته، كان "قرأناً" حياً يسعى بين الناس كان مثالا لما صوراه القرآن من ايمان و اخبات، وسعى وجهاد وحق وقوة، وفقه وبيان، فلا جرم أن قوله وفعله

و تقريره و اخلاقه و احكامه و نواحي حياته كلها تعددركنا في الدين، و شريعة للمؤمنين..... إن الله تعالى اختاره ليتحدث باسمه ويبلغ عنه، فمن أولى منه بفهم مراد الله تعالى فيما قال؟ ومن أولى منه بتحديد المسلك الذي يتواءم مع دلالات القرآن القربية والبعيدة؟.

¹ سوف تؤجل مناقشة آراء الشيخ والأراء المعارضة له إلى الفصل الثاني من. هذا الباب المؤلف

² الشيخ محمد الغزالي فقه السيرة ص ٥ دارالريان ١٩٨٧.

³ المصدر السابق ص ٢٢

⁴ المصدر السابق ص 40

إن تطبيق القانون لا يقل خطرا عن صياغته، وللقانون نص وروح وعند علاج الأحداث المختلفة لتفسير وفق القانون العتيد، تجد فتاوى وتدون نصائح وحفظ تجارب وعبر، وثبت أحكام بعضها أقرب الى حرفية النص، وبعضها أدنى الى روحه..... والقرآن هو قانون الإسلام، والسنة هي تطبيق، والمسلم مكلف باحترام هذا التطبيق تكليفه باحترام القانون نفسه، وقد أعطى الله تعالى نبيه حق الاتباع فيما يأمر به وينهى عنه لأنه- فى ذلك- لا يصدر عن نفسه بل عن توجيه ربه، فطاعته هي طاعة الله تعالى¹.

وعن علو مكانة النبي ﷺ يقول الشيخ: إن عبد من عباد الله تعالى إن زاد قدروا على أحد، فبقدر ما يبطن في ضميره، ويبدو على سلوكه من خشية لله تعالى، وتزلف إليه ورجاء فيه².

ويقول: ايستطيع أى قارى للمصحف الشريف، من أى قارة على ظهر الأرض، أن يستعين من أن الإسلام ينتظم الحياة العامة والخاصة، وأنه يتناول النفس الإنسانية فى اعماق أغوارها، والمجتمع البشرى فى أوسع دائرة، وتزداد هذه الفكرة رسوخا ووضوحا، عند التأمل فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تلا على الناس قرانه. وخط فى الحياة منهجه..... والذي ترك ثروة من التعاليم وفنونا من الممالك الخليفة والسياسية، تتسق مع روح المصحف ووجهته، وتشرح علميا مراد الله تعالى من خلقه ومن الجهل الشائن بعد مطالعة المصحف أية أية. وبعد متابعة النبوة سنة سنة، أن يزعم زاعم أن القرآن مواظف نفسية محدودة، أو أن محمدا كان بيست هدفا وصل الناسى بالله تعالى عن طريقى الدعاء والرجاع وحسب³

وعن شعور نجاه النبى العظيم يقول الشيخ أنا أحد الألوفا المؤلفات التى تؤمن بالله العظيم، وتسبح بحمده، وتقر بجلالة ومجده، وتنتعش بنعمته ورفده... ولقد عرفت هذا الإله الكبير عن طريق النسبى العربى المحمدي قرأتك مكتبه، ثم درست سيرته، فتجاوبت فطرتي مع رسالته، واستراح فكرى وقلبي إلى دعوته، وأصبحت والحسدا من جماهير ضخمة رضيت بالله تعالى ربا وبالإسلام ديناً،

¹ المصدر السابق ص ٣٨، ٣٩.

² الشيخ محمد الغزالي تحذير من دعاه التنصير ص ٩٥ ط دار الصحوة ١٩٩١ م.

³ الشيخ محمد الغزالي معركة المصحف العالم الإسلامى ص ١٤ ط دار الكتب الحديثة ١٩٧١

وبعده عليه الصلاة والسلام نبيا ورسولا..... كان فى الناس مسسين لا يعرف الله أصلا، فأنار محمد ﷺ بصيرته، وقاده من ظ مسيرة الى مولاه.¹

وعن قيادة النبي صلى الله عليه وسلم لعامة يقول الشيخ: إن الرسول العربي الملهم، بدأ عمله بعزم يغل الحديد، وشرع في تكوين الرجال الذين يؤمنون به، ويجاهد معه، وأفلس كل المقاومات فى شنيه عن وجهته، لقد مزق الحجب المسدلة على الفطرة. وانتعش العقل من شيبوبة رضته بالوثنية المخرقة، وصباح القلب الإنسانى: ألا تستحي من البعد عن الذي خلق فسوى وقدر فهدى..... وابصر الرجال من حوله الطريق، فالتقوا به واستمدوا من صلابته بأسا فى إحقاق الحق وأبطال الباطل²

وعن دفاعه عن السنة يقول: فغايتي تنقية السنة مما قد يشوبها وغايتي كذلك حماية الثقافة الإسلامية من ناس قيل فيهم. إنهم يطلبون العلم يوم السبت، ويدرسونه يوم الأحد، ويعملون أساتذة له يوم الاثنين، أما يوم الثلاثاء فيطاولون الأئمة الكبار ويقولون نحن رجال وهم رجال..... وهكذا بين عشية وضحاها يقع زمام المسلمين الثقافى بين أدعياء ينظر إليهم الو الألباب باستنكار ودهشة..... وإذا كان هؤلاء لم يرزقوا شيوفا يربونهم، أو أساتذة يثقونهم فسوف تربيههم الأيام والليالي وما أحفلها بالعجائب³.

وعن مكانة النبي ﷺ يقول الشيخ: إن مكانة محمد بالنسبة لغيره من الأنبياء قد عرفت وتوطدت بعد ما استبان حدود رسالته. وعرف المستقدمون والمستأخرون، أى مهمة أعدتها..... له الأقدار، وزوده لاحتماله بأنفس المواهب؟

نعم لقد استغنى بهذه الشهادة العلمية عن تزكية الكلام..... أضحي فى المنصب الذى هو فيه الآخرين ما يدفع عنهم الشبهة ويرد المفتريات، ولذلك أجرى على لسانه الآيات التى تعلن قدر ابن مريم..... لماذا؟ لأن النبى الكريم عيسى تعرض لاتهام ساقط.

¹ الشيخ محمد الغزالى فن الذكر والدعاء صى به ١ ط دار الاعتصام ١٩٨٠.

² الشيخ من الغزالى فقه السيرة صه دار الريان 1987

³ الشيخ محمد الغزالى السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 827 ط دار الشروق ط ١٩٩١.

وقدفت أمة المحصنة بما هي منه براء، فكان هدف القرآن تبرئة الرجل الشريف والإشادة بشخصه والثناء عليه بما هو أهله¹.

وعن دفاعه الشديد عن السنة الشريفة في بعض الفترات يقول الشيخ: تواجه السنة النبوية هجوما شديدا في هذه الأيام. وهو هجوم خال من العلم، ومن الأنصاف وقد تألفت بعض جماعات شاذة تدعى الاكتفاء بالقرآن الكريم..... ولو تم لهذه الجماعات ما تريد الأضاعت القرآن والسنة جميعا، فإن القضاء على السنة ذريعة للقضاء على الدين كله...، عن محاربة السنة لو قامت على أسس علمية، لوجب ألا يدرس التاريخ في بلد ما، لماذا يقبل التاريخ على أنه علم وتهتم كل أمة به، مع أن طرق الإثبات فيه مساوية أو أقل من طرق الإثبات في الحديث النبوي.

وأمر آخر يجب أن نثيره: لماذا تدرس سير العظماء وكلماتهم وتعرض للتأسي والإعجاب، ويحرم من ذلك الحق رسل الله تعالى وفي صدارتهم سيد أولئك الرسل مروءة وشرفاء وبيانا وأدبا وجهادا وإخلاصا.

إن بعض البله يتصور الأنبياء أبواقا لأمين الوحي، يرددون ما يلقيه إليهم، فإذا انصرف عنهم هبوط إلى المستوى الدهماء، وخبسا تورهم أي غفلة صغيرة في هذا التصور؟ إن الأنبياء رجال أكابر. أكارم مصطفىون من بين الألوف المؤلفة لصفاء فطرتهم وزكاة أفئدتهم ونفاضة معاونهم... والوحي الذي يمر بنفوسهم يتألق في جوانبهم ويتأنق في سيرهم، ويضوع شذاه في إيمانهم وصلاحهم، فإذا لم يكن

و قدوة فمن القدوة ؟ الأدباء القوادون وحسب الساسة الماكرون وحسب، القادة السفاحون وحسب ما أعرب أحكام البشر.

ان الله تعالى في كتابه أحصى أسماء ثمانية عشر نبيا من الأوائل ثم قال للهاوى الخامت: (أولئك الذين هدى الله فهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين)².

فإذا برز للانسانية إنسان كامل التقت في سيرته شمائل النبوة كلها، وتفجرت الحكمة على لسانه كلمات جوامع، واستطاع وهو الفرد مسبستوحش- ان يحشد من القوة ما يجمع كبرياء الجابرة، ويكسر قيود الشعوب، ويوطى الإكناف للحق

¹ الشيخ محمد الغزالي العاطفى من الاسلام ص ١٩٧ بط دار الدعوة ١٩٩٠ م.

² سورة الانعام ٩٠.

المطاردة، إذا يسر الله للإنسانية هذا الإنسان العابد المجاهد الناصح المربي، جاء غر يقول: لا نأخذ منه ولا نسمع له. ثم يستطرد مخفياً غشه: حسبنا كتاب الله تعالى! وهل السنة إلا امتداد لسناه، وتفسير لمعناه، وتحقيق لأهدافه ووصاياه. على أننا نعتب على جماعات كثيرة تنتسب للسنة وتظهر التمسك بها.

إذ إن سكها قد يكون من رواء انصراف بعض الناس عن السنة وشكهم في جدواها، ونأخذ على هذه الجماعات أمرين:

أولهما: أنها تخلط الصحيح بالسقيم، ولا تدرى بدقة ما يقبل وما يرد من المرويات.

والأمر الثاني الذي يؤخذ على المشتغلين بالسنة عموماً فهو: قصورهم الفقهي، وليست لهم قدم راسخة في فقه الكتاب الكريم¹.

وعن كفاح النبي ﷺ لنشر الحق والخير فيقول الشيخ: نحن المسلمين أبناء تاريخ طويل عريض- ربما بدأت رسالتنا مع بعثة إمام الأنبياء النبي العربي المجد، ولكن هذا النبي القمة بين أن الإسلام رسالة الأنبياء كلهم، يبد أن جماهير غفيرة زاغت عنه، وقامت في الأرض دول مرهوبة تعبد أو هام الخرافة والسلطة، وتبتذل خصائص الإنسان العليا بين يدي صنم من الحجارة، أو صنمهم هي من أبناء آدم، تلعب بفرعون أو بقيصر، أو بشتى الألقاب الخادعة² ومحمد نبي الله تعالى اليتيم هو الإنسان الوحيد الذي هتك سدود الباطل، وساق الجماهير إلى معرفة الله الواحد، واستنقذها بقوة من فتلك القوى الشريرة³.

وقد قام محمد ﷺ يدعو إلى الله تعالى قرابة ثلاثة وعشرين عاماً- ويواجه العواطف والأفكار، والأفراد والجماعات، والشدة والرخاء، والنصر والهزيمة والهجرة والاستقرار وأهل الكتاب وعبادة الأصنام، والدول المنظمة، والقبائل الساذجة وكان في هذا الأبان الحافل في صميم الحياة، ولا يحيا على هامشها.

وعن احترامه للسنة وعلمائها يقول الشيخ تحت عنوان أنوار النبوة على حداثة عهدي بدراسة السنة المطهرة، كانت تستوقفني عبارات طريفة لنقاد الحديث. أولئك الرجال الأذكياء الذين صانوا تراث النبوة عن أن تتزيد فيه الأهواء، فقد كانوا إذا ما رأوا حديثاً دخيلاً، يكشفون زيفه ثم يقولون عنه: إنه لا تلوح عليه

¹ الشيخ محمد الغزالي دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ٢٢ وما بعدها دار الشروق ١٩٩٧.

² الشيخ محمد الغزالي المحاور الخمسة للقرآن الكريم ص 118 ط دار الصحة

³ الشيخ محمد الشيخ محمد الغزالي نظرات في القرآن ص ١٩ ط دار الكتب الإسلامية ط 6 ١٩٨6 م.

أنوار النبوة، كنت ابتسم ابتسامه ربية وأنا أطلع هذه العبارة، حتى مرت على سنوات طوال، وأنا مكب على قراءة السنة الكريمة، انتقل بين صحائف شتى من أد أيها المشرقة، وتوجيهاتها الحية، وعظاتها النفاذة..... وأجبل الطرفين فى أفق لا نهاية لرحابتهما، ولا شائبة فى رفعتها، ولا حد لسابقتها وس سموها..... فلما عدت إلى نفسي بعد هذه الرحلة الطويلة، كان عقلي وقلبي يتسابقان إلى الإقرار بأن على معالم السنة الصحيحة أنوار لم تزل تتألق على مر القرون ولم تزل تحمل من نفس صاحبها طابع الهدى وعمق الأثر، ولم يزل يرف عليها من صادق الوحي ندى يقيض بالحياة ويهز الأفئدة..... ولم تزل كنوز خير وفسير، وبسر منحور. من شاع ذلك كله - - - - - ليسى هذا ماننوه به، فكم فى آثار

الزعماء من تعاليم نقية الجوهر رائعة الرونق، ولكنها مع ذلك تعليم فقط... أما آثار السنة فهى تعليم وتربية معان فيها ما يقنع العقل، ويشبع العاطفة..... تحسن عندما تطلع صحائفها أنك فى حضرة جليس صالح، يؤثر فىك وتتأثر به..... ويداخلك تتهيب وجلال، إذ تحس إحساس الولد نحو الوالد. والتلميذ نحو الأستاذ، والجندى نحو القائد، والعامى نحو الفيلسوف..... قد أقف أمام السنة، وفى القلب جمود وعليه غشاوة، فماهى الا سويغات حتى يتصل بى تيار الشخصية التى أودعت بعض عظمتها فى أحاديثها، فإذا القلب يزكو والنفس تطيب وإذا أنوار النبوة تسلط أشعتها من خلال الغيب فتمحو ظلمات بعضها فوق بعض... أجل إن ذلك فعل النفوس الكبيرة، هيهات ان ينال من مضائه بعد الزمن¹

قد يظن شخص ممن يكونون الأحكام جزافا أن الشمسون لا تعدو شيئا فى شبر، وعذره أنها تبدو فى رأى العين لذلك..... فهل تتحول الشمس إلى كرة قدم لأن ذهن واحد أو جماعة من الناس ضاق عن ضخامتها الهائلة، وبعدها السحيق؟ إن العظيم لا يمسح صغيرا لأن ظنون المعنويين أخطأت فهمة... ومن قرون طوال دب على أرضنا هذه نفر من الخلق... نظروا الى صاحب الرسالة العظمى شذرا ثم قال بعضهم: " يا أيها الذي نزل عليك الذكر إنك لمجنون "². ومضى صاحب الرسالة فى طريقة يبذر الحق، وينشر العلم، ويحيى القلوب، وينشى من الرمم التي استهلكتها الخرافة أجيالا ناظرة، ويقيم أمة تكسر صلب الباطل، وتقذف بالرعب فى نفوس الشياطين.

¹ الشيخ محمد الغزالي تأملات فى الدين والحياة ص ٨٨ ط دار الدعوة ١٩٩٠.

² الحجر ٩.

مجون كهان..... لقد ذاب الافتراع وأهله، وتلاشى الجهل والجاهلون، وبقيت الحقائق فوق التهم والترهات¹...

ومعروف أن محمدا ﷺ لو لم يكن نبيا لكان معجزة العرب وفخرهم إلى آخر الدهر².

وعن علاقة النبي ﷺ باتباعه في بداية الدعوة يقول الشيخ: إن الدولة التي أقامها المسلمون الأوائل بنتها نفوس بلغت شأوا بعيدا من مجادة الخلق، وسعة الكفاية، وعمق اليقين، وروعة التجرد، وصدق الإخلاص..... ومن وراء هذه النفوس الكبيرة تلمح صاحب الرسالة العظمى، يتعهد القلوب بالصقل، وبالحق لا بالهوى..... إن الانتساب إلى الله تعالى يقتضي شمائل أنبل، وفضائل أجل، مما تواضع الناس على إكباره من شمائلهم وفضائلهم..... إن البون بعيد بين حكم ينجح في أسعار شعب ما، وبين نبوة انخلت من حظوظها الخاصة، ومشيت في الأرض تغرس أعواد الوحي، وترقى بالعالم إلى آفاق أزهى وأنضر، تريد أن يعرف الناس ربهم الذي جهلوه وان يمسخهم بكتابه الذي جحدوه³.

وقد فوجئت الدنيا بأولئك العرب يخرجون من أعماق الصحراء في أعداد محكم متتابع، أخذ يمتد حتى استوعب المعمور من الدنيا يومئذ، والعرب المنطلقون من صحرائهم لبثوا مع رسول الله ﷺ نحو ربع قرن لقنهم دروس السماء النازلة مع الوحي، وزودهم بطاقات فكرية وعاطفية جبارة، سمت بمستواهم المادي والأدبي حتى أصبحوا اعز جانباً، وأصبح تقليداً وانقى قلوباً من جماهير الروم والفرس⁴.

فكان الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة. وبذل صاحبها جهدا كبيرا في مد شعاعها، وجمع الناس حولها، لا تنشد للبشر أكثر من تدعيم فضائلهم، وإثارة أفاق الكمال أمس سام أعينهم، حتى يساوا إليها على بصيرة..... والعبادات التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركاناً في الإيمان به، ليست طقوساً مبهمه من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه بأداء أعمال غامضة، وحركات لا معنى لها، كلا كلا،

¹ الشيخ محمد الغزالي دفاع العقيدة والشريعة ص 19 ط دار الكتب الإسلامية ط 5 1988م.

² الشيخ محمد الغزالي الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص 117 ط مكتبة وهبة 91، 1990.

³ الشيخ محمد الغزالي من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث ص 22، 226 ط دار الكتب الحديثة.

⁴ الشيخ محمد الغزالي في موكب الدعوة ص 1 2 ط دار الكتب الحديثة ط 4، 1965م.

فالفرائض التي ألزم الإسلام بها أتباعه، هي تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة، - - - - - وأن يظل متمسكا بهذه الأخلاق مهما تغيرت ألامه الظروف والقرآن الكريم والسنة المطهرة يكشفان بوضوح عن هذه الحقائق¹ وعن النبي ﷺ ورسالته يقول الشيخ: النبي العربي الكبير، وصاحب الرسالة التي أنارت العالم بعد ظلمة، وأنسته بعد وحشة، وبذرت في أكفاه أصول العدالة والرحمة، واحتفظت في كتابها بمعالم الوحي الإلهي الذي أحيى بين النبيين، وسوى بين الأمم، ونوه بقيمة الفطرة، ومكانة العقل، وعظمة الكون، واستخلاف الله للإنسانية فيه².

وعن تشبع ذات الرسول ﷺ بأنوار القرآن يقول الشيخ: وأنه- بهذا القرآن- أصبح محمد ﷺ مبلغا عن الله تعالى، ومبيناً عن مراده، وقد انتقل هويته انتقالاتاً نفسياً عالياً، وصعد به في مرقى الكمال البشري إلى أوج بعيد، فكانت كل أية تهبط عليه نورا يتألق به باطنه، وكشفا تشرب به لصيرته....ومن آثار علمه بالقرآن وتأثره به نطق بالسنن الراشدة والأحاديث الهادية، فكانت هي الأخرى حكماً ينفع بها الناس، وهوى يشدهم إلى الطرق المستقيم³.

وعن مهمة النبي ﷺ يقول الشيخ: والنبي الخاتم كان مكلفاً بإخراج العرب أولاً، ثم العالم كله من بعدهم إلى حياة جديدة، ولأبي باليقين والمعرفة، والنظام والصلاح، وأن يشق بسهم الكمال شقاً في نهج من التربية الواعية، والمجاهدة النفسية القاسية... لقد حول عقيدة التوحيد من فكرة نظرية صحيحة إلى سلوك عملي صادق محسوس⁴ ولا ريب في أن محمد ﷺ، قام بما فرضه الله تعالى عليه، وأنه أنشأ من العرب المعزولين عن حضارات العالم أنه لا نظير لها في سناء المعرفة، وزكاة الأخلاق، ومشرف الحضارة وإن هذه الأمة التي صاغها محمد في قالب جديد، أضاعت المشارق والمغرب، وأعادت الحياة المادية والأدبية لجماهير من البشر ظلت ترسفت دهرًا في الجهالة والعبودية..... ونحن نشهد بذلك عد بضعة عشر قرناً من بعلته، كنا أصفاراً ثم صرنا شيناً مذكوراً، فهل يشهد لنا العالم بما نشهد به نحن لمحمد صلى

¹ الشيخ محمد الغزالي خلق المسلم ص ١٩٥٣ م .

² الشيخ محمد الغزالي كفاح دين ص 5 ط مكتبة وهبة ط.

³ الشيخ محمد الغزالي نظرات في القرآن ص، و 150 ط دار الكتب الإسلامية ط 6، 1986م.

⁴ الشيخ محمد الغزالي الحق المر : ص 79 ط دار الشروق الإسلامية ط 3 1993.

الله عليه وسلم ؟ أبو بعبارة أخرى. هل وصلنا للناس القول ، كما وصله هو إلينا، ونقلنا هم بالوحي كما نقلنا هو به¹.

إن الإسلام الذي بلغه محمد وأخذ الناس بسبه، هو الصورة الأخيرة للوحي الأعلى، وهو كذلك الصورة العامة التي تستغرق الأجناس كلها.

وتتناول الأجيال التي تسكن الأرض حتى قيام الساعة النبوات السابقة كانت كلها محلية مؤقتة ، أي محدودة الزمان والمكان، أما النبوة العامة الخالدة ، فهي نبوة محمد لا يشركه في ذلك نبي من السابقين..... عن نبي القرآن عليه الصلاة والسلام، أرسى دعائم العقيدة والعبادة والخلق، وساق نصوصها حاسمة، تضبط سيرة المرء وتقاليد الجماعة، وهذه أسس وتوجيهات لا تختلف باختلاف العصور، ولا يمكن اختراق أسوارها².

وردا على بعضى ما أثير في الصحف في بعضى الاوقات عن الإسلام يقول الشيخ: المؤامرة الجديدة التي يعمل لها كثيرون في وسائل الإعلام وأولها الصحافة ثم الروايات والمسارح دعوة إلى إسلام بلا نصوص، ومعنى إسلام بلا نصوص: أن أي تافه يستطيع أن يقول: لا داعي لهذا النص، لا داعي لهذه الأيصة، لا داعي لهذا الحديث، ومعنى ذلك أن يضيع الإسلام كله..... وردا على هؤلاء أقول: إن القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة، من كفر بأية واحدة من سورة واحدة فهو كافر بالمائة والأربع عشره سورة جميعا، وإن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام له سنة درسها العلماء الثقات، ورتبوا أحاديثه بين متواتر وصحيح، وإن الذي يكفر باتباع محمد..... ﷺ ، فهو كافر بالأنبياء جميعا وبمن أرسلهم يرب العالمين جل شأنه³. وتحت عنوان مع إمام الدعوة يقول الشيخ: إنني من أفق الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام ، انظر إلي أعدائه فأعجب الغبائهم أو لافترائهم وأسأل هؤلاء العاري: أتدرون ما يقول؟ ألا تسمعون نغمة العبودية في حديثه، ألا تحسون تشبثه الشديد بربه وخشية البالغة منه؟..... لقد طالعنا حياة محمد علمه الصلاة والسلام، وتابعنا سيرته من دعا إلى أن قضى، فوجدنا إنسانا وثيق اليقين بربه قوى الاعتماد عليه، صادق الوصف له، بلغ في تنزيهه المدى، وكان سخطه هائلا على المفترين

¹ الشيخ محمد الغزالي تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع و العقل، ص ٣١ ط دار الشروقى بط ٣ ١٩٩٢ .

² الشيخ محمد الغزالي مائة سؤال عن الاسلام اصلى ١٢ ط دار ثابت ط٢، 1983

³ الشيخ محمد الغزالي خطب الشيخ محمد الغزالي إعداد قطب عبد الحميد قطب صى ١١٨ ط دار الاعتصام ١٩٨٨ .

والمشركين، يمحو ضلالهم بقوة، ثم يسوق الصواب فى حشد من الأدلة المورثة لليقين. والباعثة على حسب الله تعالى والإنابة إليه¹.

إن حياة محمد ﷺ هي التطبيق العملي لتعليم القرآن الكريم كما أن القرآن الكريم هو الجانب العلمي من هذه الرسالة الشاملة..... ولذلك لا يمكن أن يكون هناك تفاوت بين الكتاب والسنة².

إن العمل الذي لكف به محمد ﷺ بعيد الأماد، شاق المراحل كان عليه أن يزرع ركاما هائلا من الأوهام والأهواء أثقل القلب الإنساني وضلال سعيه ، كان عليه أن يفسك قيودا منعتة شاركت فى صنعها أديان أرضية وسماوية ، وكان عليه أن ينقذ الناس من مواريث روحية وفكرية وأدت الحق وطمست الفطرة... إن انتقال القرون عما ألفت، وانتقالها إلى طور آخر من الوعي والسداد، هو العمل الكبير الذى أتمه صاحب الرسالة الخاتمة، وغير به وجه الأرض، وصحح به أخطاء التاريخ..... وكانت هذه هى الرسالة التى صدع بها النبي العربي الخاتم، عليه أن يهدى بها الناس كلهم، عليه أن ينير بالحق بصائرهم، عليه أن يفك القيود التى مثلت حراكهم الروحي والعقلي. إنه رحمة للعالمين³.

إن النقاد المضيفين والمؤرخين العدول، ويقررون أنه لم يتح لبشر قبل محمد صلى الله عليه وسلم أو بعده، أن أحدث مثل هذا التغيير الشامل فى أحوال العالم أجمع، وليس المهم التغيير المهم طبيعته ووجهته، إنه بعد بعثة محمد ﷺ، أخذت الحضارة طريقها صعودا إلى أعلى، وكانت من قبل قد أسفت ولصقت بالحضيض ، لما قرأت كتاب القمم المائة الأولى، رأيت المؤلف يذكر كأنه مضطر إلى جعل محمد ﷺ، أول هذه القمم، وإن لم يكن على دينه، لأن الدلائل كلها إلى جانبه، قلت: إن هذا الرجل الذكي لمح أحد جوانب العظمة فى شخصية محمد ﷺ، إنه لمح التغيير الجذري الذى أحدثه الرسول فى العرب فانطلقوا به ليحدثوا تغييرا جذريا فى آفاق الأرض، تغييرا ذاهبا الأساسى الطول والعرض والعمق، تغييرا إن فترت بواعثه حينما أدركها من ذاتها ما تستمر به سائرة، كما تنطلق المولدات التى تستمد طاقتها من الشمس..... إنه الاصطفاء الذى هيا روحه الاستقبال القرآن الكريم، والاصطباق بتعليمه، ثم تحويل هذه التعليم إلى سيرة نابضة وسنة هادية، وإن الكمال البشرى الذى صب فى قالب خاتم الأنبياء، يجعل

¹ الشيخ محمد الغزالي و الثقافي، يمتد فى فراعنا ص به ٢١ ، ٢١١ ط الشرق. 1984م.

² الشيخ محمد الغزالي الإسلام والطاقت المعطلة ص 70 دار الكتب الإسلامية. 1983م.

³ الشيخ محمد الغزالي علل و ادوية ص ٢٧ و ما بعدها ط دار الدعوة ١٩٩١ م .

المرء يهتف بإعجاب: سبحان من أبدع محمد ﷺ¹

ونقل الشيخ عن الشيخ (محمد تقى القمي) قوله عن السنة: لا يختلف الشيعي عن السني في الأخذ بسنة رسول الله ﷺ، بل يتفق المسلمون جميعا على أنها المصدر الثاني للشرعية، ولا خلاف بين مسلم وآخر في أن قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره سنة لا بد من الأخذ بها².

وعن فضل النبي ﷺ يقول الشيخ: إنه لم ينقل العرب من الجاهلية إلى الحنفية وحسب، بل زودهم بطاقات روحية وفكرية يستطيعون بها تغيير الدنيا، ومعنى هذا أنه- ﷺ- أوجد أجهزة إدارية وثقافية وعسكرية، وقيادات روحية ومدنية، هزمت القوى الطاغية في الشرق والغرب، ووضعت يدها على مواريتهم ثم أنشأت من ذلك الحطام القديم، حضارة أعلت الهتاف لله تعالى والعمل بهداه³.

ومضي عاشق السنة الشريفة الى ربه بعد أن أعطى كل حياته للدعوة الإسلامية جهاد متصلا، وحبا للقرآن الكريم والسنة الشريفة لا يوازيه ولا يوافيه حب فيما نعرف من سير العلماء وأقوالهم، حتى الذين أثاروا المعارك مع الشيخ لسنة رسول الله ﷺ.

والمحب غيور على من يحب وهذا ما دفع الشيخ الى الاشتباك مع أهل الحديث، وذلك لفرط غيrote على سيرة وحديث حبيبته ﷺ، ونسى الشيخ- لفرط حبه- أنهم هم أيضا يحبون حبيبهم ﷺ، وقد أوقفوا حياتهم على دراسة حديثه الشريف، وليس ذلك بكثير عليهم، لأن حب رسول الله ﷺ مكانة قلب كل مسلم، ربما يجرى في شرايين البعض، وأحيانا يملك كيان وزمام أمر البعض الآخر.

وعلى الصفحات السابقة- عاشق السنة- رأينا ألوانا من العشق الخالص، والحب الصافي، والهيام أحيانا في كلمات الشيخ عن حبيبته ﷺ، وإن كان حب الشيخ الرسول الله ﷺ، وغيrote على حديثه وسيرته فعلا، فقد كان رد الفعل في بعض جوانبه وصفا للشيخ بعدائه للسنة ولعلمائها. والأمر في حقيقته لا يخرج عن خلاف محبين مخلصين حول حديث حبيبهم صلى الله عليه وسلم.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى: ومن تأمل في كتابة (فقه السيرة) ووقفاته العميقة مع الأحداث النبوية طوال مراحل حياته ﷺ من الميلاد إلى بعثته، ثم

¹ المصدر السابق ص ١٣٣، ١٣٤.

² الشيخ محمد الغزالي هذا ديننا ص ١٩٨ دار الكتب الإسلامية ط ٣ ١٩٧٥ م

³ الشيخ محمد الغزالي الحق المر ط ٣ ص ١٩٥ ط دار نهضة مصر ١٩٩٩ م.

مرحلة الدعوة والمصايرة، ومرحلة الجهاد والمواجهة، أو مرحلة بناء الفروق مكة، ومرحلة بناء المجتمع في المدينة، وجد فيه عقل الباحث المدقق يتعانق مع قلب

المؤمن المدقق، وروح الداعية المحلق، الذي يحيا في السيرة بل تحيا السيرة فيه¹.

ولم يخل مؤلفا للشيخ عن نشيد حبا للحبيب المصطفى ﷺ، أو السنة الشريفة، وهو يرى أنه على المسلمين أن يأخذوا من سنة رسول الله ﷺ وسيرته ما يلي:
1- التطبيق العلمي في واقع الحياة للقرآن الكريم باعتبار أنه ﷺ هو أقرب الناس إلى فهم روح القرآن الكريم.

٢- التأسس بشخصه ﷺ في جوانب كثيرة منها:

أ- الشجاعة فقد كان ﷺ من أشجع الناس، وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتعلمون منه الأقدم، والتضحية في سبيل الله سبحانه وتعالى.

ب- القيادة الحكيمة فقد كان ﷺ قائدا حكيما، ورائدا في هذا الفقه- فقه القيادة- وقد شهد بذلك كثير من العلماء من غير المسلمين ومنهم (مايكل هارت) الذي نوه الشيخ بذكره لرسول الله ﷺ، وكيف جعله أول العظماء في العالم وقدمه على المسيح الذي يؤمن به، وعلى غيره من القادة والزعماء، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان (الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم).

ج- التأسى به في الحفاظ على الوقت والتخطيط لكل أمر من أمور الحياة. 3- حبه ﷺ من قبل المسلمين وترجمة هذا الحب إلى الاقتدار به وبسيرته ﷺ.

4- على الدعاة أن يلتمسوا سبيل الدعوة إلى الله تعالى من فقههم لسيرته صلى الله عليه وسلم والمراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية في مكة، وفي مدينته ﷺ.

5- يرى الشيخ أن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبسنته الشريفة مكمل للإيمان بالله تعالى وبكتابة العزيزة، وأن السنة الشريفة هي التطبيق العملي لمنهج الإسلام في إدارة الحياة لتكون مقبلة طيبة للاقبال- بسعادة- على الدار الآخرة.

¹ د/ يوسف القرضاوى الشيخ الغزالي كما عرفته ص ١٢١ طر دار الوفاء . 1997م.

6- يرى الشيخ أن السنة الشريفة لا تقدر لما فيها من علم صادق فحسب، ولكنها تقدر أيضا لأنها تحمل في طياتها نور النبوة الخالد، الذي يشعل الحماس في النفوس، ويحميها بعد موتها لتقوم وتتجه إلي نحوها مشرقة النفس منيرة الروح، صادقة العزم.

7- يرى الشيخ أن السنة النبوية هي حياة الإسلام، أوهى الإسلام الحي في النفوس، وهى الوقود الذي يشعل الإيمان في القلوب، ويواجه الناس إلى علامة الغيوب.

8- يرى الشيخ أن السنة النبوية هي الوجه الآخر للقران الكريم، وهى القرآن المفعول- أي المتحرك في واقع الناس- فإذا كان القرآن قانونا، فهي اللائحة التنفيذية لهذا القانون.

9- يرى الشيخ أن المسلم الحق لا يستطيع أن يعيش بغير حب المصطفى صلى الله عليه وسلم وبغير الاقتداء به في كل أمر من أمور الحياة.

و بعد:

فما قدمناه في الفصل الأول من هذا الباب- عاشق السنة- هو قصيدة حب من الحبيب- الشيخ- إلى المحبوب- المصطفى ﷺ. وإن كان الشيخ قد مضى إلى ربه سبحانه وتعالى فقد أشعل نفوسا كثيرة في شتى بقاع الأرض بحب المصطفى ﷺ، وبالتمسك بسنته الطاهرة والشريفة.

الفصل الثاني: وحلته مع السنة النبوية الشريفة

لقد طالت رحلة الشيخ مع السنة النبوية الشريفة حتى استغرقت حياته كلها، وكان يرى- كما بينا سابقا- أن السنة الشريفة هي حياة هذه الأمة، أوهى القرآن المطبق في واقع الناس- ولكن كان للشيخ موقف تجاه ما يجب اتباعه من الأحاديث الشريفة، وهى الأحاديث الصحيحة الموثقة التى لا تتعارض مع القرآن الكريم ولا مع الخط الأساسى العام للإسلام الحنيف، ولكنه يقف ضد الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والتى تتعارض مع القرآن الكريم. وسوف

نوضح موقف الشيخ في هذه القضية ورد بعض العلماء عليه من خلال الصفحات التالية وسوف نبدأ بموقف الشيخ:

كان للشيخ موقف بالنسب للسنة الشريفة في معظم مؤلفاته وهو كمايلي :

- عن علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة يقول الشيخ: لا خلاف بين المسلمين في القرآن الكريم أساس الإسلام ولبسباب دعوته، ومناط شرائعه، وأنه ينبوع الأول لشتى تعاليمه في أحوال المعاش والمعاد جميعا، وأنه رهان النبوة، ودليل صدقها، ومعجزتها الكبرى، وأنه مجلى الوحي الأعلى، وملتقى الحقائق السماوية التى تنزلت من عند الله تعالى خالصة من كل شائبة، مبرأة من كل لبس...

وأنه بهذا القرآن، أصبح محمد ﷺ مبلغا عن الله تعالى، ومبيناً عن مراده، وقد انتقل هو به انتقالا نفسيا عاليا، وصعد به في مرقى الكمال البشرى الى أوج بعيده. فكانت كل آية تهبط عليه نورا يتألق به باطنه، وكشفا تشرب به بصيرته... ومن آثار علمه- ﷺ- بالقرآن الكريم، وتأثره به، نطق بالسنة الراشدة، والأحاديث الهادية، فكانت هى الأخرى- حكما ينتفع به الناس، وهدى يشدهم إلى الطريق المستقيم.. وقد أمتن الله تعالى عليه بهذا الوحي فقال: (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)¹ ... ومع احترامنا للحشد الكبير من السنة المروية عن رسول الله ﷺ، وحفاوتنا بالدراسات الحسنة التى تناولتها فى القديم والحديث، فنحن نلفت النظر إلى أن السنة منزلة ثانوية بعد القرآن الكريم نفسه، وأن العالم الأصيل بالإسلام إنما تقوم ثروته العلمية: أولا:- بمدى فقهه فى الكتاب العزيز، و بصره بمعانيه، ومغازيه. ولمحه لدلالته القريبية والبعيدة... وأن الصورة المتقنة للإسلام إنما تعرف أبعادها وملامحها البارزة من القرآن الكريم أولا، ثم يجئ دور السنة الشريفة فى الإيضاح والتفصيل بعد أن تمهدت الحدود وعرفت الضوابط.. ولذلك فنحن نرفض أن يشتغل بالسنة رجل فقير فى القرآن الكريم. ونرفض أن يستخرج أحكامها رجل قصير الباع فى فقه الكتاب واستظهار أحكامه.. لأن ذلك قلب للأوضاع، ومزلة للخطأ فى تصور حقائق الدين.. فى ترتيب صغراها أو كبرائها.. وقد أجمع المسلمون على أن القرآن الكريم هو الأصل الأول فى التشريع، وأن السنة تجئ من بعده فى المرتبة لما يلي:

1- أن السنة اعتبرت أدلة شرعية بشهادة القرآن الكريم لها، فهي تستمد قوتها كمصدر للأحكام من أمر القرآن الكريم ذلك في مثلى قوله عز وجل: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول)¹.

وقوله تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله)² وبهذا احتج "ابن مسعود". عندما جادلته امرأة في حديثه عن لعن النساء المتبرجات بتزوير الخلقة، زاعمة أن ذلك ليس في القرآن الكريم.. فقد روى البخارى ومسلم عن عبدالله بن مسعود أنه قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات، والمتفلجات للحسين، المغيرات خلق الله.. فقال له امرأة في ذلك- أى اعتراضه- فقال: ومالى لا العن من لعنه رسول الله ﷺ و هو في كتاب الله؟ قال الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)³.

٢- أن هذه السنن من أقوال وأفعال وأحكام وتقريرات انما تنبنى على الدعائم الممهدة من كلام الله تعالى جل شأنه، وتمتد فى اتجاهها وترتكز عليها، فهي أشبه بالتوابع الفلكية مع أمهاتها من الكواكب الكبرى.

3- أن القرآن الكريم يقينى الثبوت فهو متواتر جملة وتفصيلا...أما السنة فإن منها المتواتر، وأكثرها أخبار آحاد. وروايات الآحاد تفيد الظن العلمى. لا القطع الجازم، والأحكام الشرعية المهمة تعتمد على اليقينيّات لا الظنيّات..

4- ومن المسلم به أن القرآن الكريم وصل إلينا كاملا، لم ينقص صيانتة فى ضبط لم يؤثر البتة عن كتاب فى الأولين والآخرين.

أما السنن فقد تأخر تدوينها، والتحق بها ما ليس منها، فاجتهد الأئمة فى غربلتها، ونقد طرقها ومتونها، واختلفت أنظارهم فى ذلك، بين التصحيح والتضعيف والقبول والسرء... ولاشك أنهم وضعوا قواعد للنقد العلمى تستحق كل احترام، وجرّدوا تراث النبوة وما قد يعلق به من أوهام ... بيد أن جملة السنن التى وصلت إلينا بعد ذلك الجهد لا يمكن القطع بأنها كل ما قاله رسول الله ﷺ، وأن الرواة أحصوا فى سجلاتهم كلام النبى ﷺ كله لم يسقط منه شئ... وذلك عكس القرآن الكريم فان ثبوته كله يجعل هيمنته على مصادر التشريع لا تقبل جدلا.. ومعاذ الله أن نغصت السنة حقها، فهي ضميمة إلى القرآن الكريم لا بد منها... ونحن نعلم أن معالجة التطبيق العلمى للمبادئ والأسس العامة، تتطلب فيضا من التفصيلات والتفريعات المتنوعة، وقد قامت السنة الشريفة بهذه الوظيفة بالنسبة للقرآن الكريم... وكذلك القرآن الكريم بالنسبة للسنة الشريفة

¹ سورة المائدة ٩٢

² سورة النساء 80

³ . سورة الحشر ٧ .

المروية كلها، إنها تسير فى هداه، وتنطلق إلى مداه، وما يسوغ لفقيه مسلم أن يفهم غير هذا، ولا لمجتمع مسلم أن يحيا على غيرها¹...

وعن وظيفة السنة بالنسبة للقرآن الكريم يقول الشيخ : لقد كنت عندما أحب الاستشهاد بالكتاب أو السنة فى موضوع ما... ألاحظ هذه الحقيقة وأجد طائفة كبيرة من الأحاديث تطابق فى معانيها وأهدافها ما تضمن القرآن الكريم من معان وأهداف: وأن هذه الأحاديث قد تقرر المعنى نفسه، الذى احتوته الآية، أو تقرر معنى آخر، يدور فى فلكه وينتظم معه فى اتجاه واحد، وأن يسد للعين المجردة أن الصلة بينهما بعيدة.. فمن القبيل الأول: يقول الرسول ﷺ: (اللهم لا مانع لم أعطيت ولا معط لما منعت).. فإن هذا المعنى لا يخرج عن قول الله عز وجل: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم)².

ومن القبيل الثانى : أن الرسول ﷺ "نهى أن يشرب فى أنية الذهب والفضة وأن يؤكل فيها ، ونهى عن لبس الحرير وأن يجلس عليه"... فإن هذا الحكم الذى جاءت به السنة مشتق من تحريم القرآن الكريم للترف واعتبار المترفين أعداء كل إصلاح وخصوم كل نبوة ، وعوامل للهدم فى كل أمة: (وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال متر فوها انا بما أرسلتم به كافرون)³...

والسنة التى تكون بهذه المثابة فى تقرير غايات القرآن المرسومة أو المفهومة ، أو التى تفصل مجمله وتوضح مشكلته، تأخذ قسطا كبيرا من عناية المسلمين، ومنزلتها من أدلة الأحكام الشرعية معروفة. وهناك سنن أخرى تخصص أحكاما عامة فى القرآن الكريم

ففى قوله تعالى: (يوصيكم الله فى أولادكم الذكر مثل حظ الأنثيين)⁴ بينت السنة أن الإبن القاتل لاحظ له فى الميراث، وفى قوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم...)⁵ . بينت السنة أن هناك مباحين فى كل من هذه المحرمات: (أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال)... وفى قوله عز وجل: (والسارقى والسارقة فاقطعوا أيديهما..). بينت السنة أن ليس كل سارق يقطع إذ لا قطع فيما دون النصاب المقرر ، ولا قطع على جائع ينشد

¹ الشيخ محمد الغزالي نظرات فى القرآن ص 150 وما بعدها ط دار الكتاب الاسلامية ط 6 1986 م .

² سورة فاطر ٢

³ سورة سبأ 34

⁴ سورة النساء ١١

⁵ سورة المائدة ٣٨.

طمه، ولا على مغصوب يسترد ما أخذ منه .. فإذا ثبت القطع ، ففي اليمين ، وعند الرسغ كما بينت السنة ...

وقد جاءت السنة ببعض العزائم التي أمر الكتاب العزيز بسسها . فالقرآن الكريم مثلاً يأمر بغسل القدمين وبعد ذلك ركنا في الوضوء وتنظيف الرجلين أمر لا بد منه في صحة الصلاة.. وقد بين رسول الله صل الله عليه وسلم: أن الرجل إذا أدخل قدميه طاهرتين في خفيه أو جوربيه، فليس بضروري أن يعيد غسلهما كلما أراد الوضوء.. وبحسبه أن يمسح على ظاهرهما- فوق الحذاء أو الجورب- إشارة الى الركن الذي الحقته الرخص...

وهذا الذي صنعه رسول الله ﷺ وأمر به ، ليس هوى جنح إليه. قال تعالى: (ما ضل صاحبكم وما غوى، ومسا ينطق عن الهوى)¹ إنما هو إرشاد الله تعالى له، وهو عمل يتسق مع قاعدة الإسلام الأولى في السماح والتيسير وليس فيه أى تناقض مع تعليم القرآن... ونستطيع أن نقول: إنه ليست هناك سنة تعارض أحكام القرآن الخاصة، أو قواعده العامة... ثم إن الحديث الواحد لا نأخذه على حده عند الاستدلال، بل يجب أن نأخذ كافة الأحاديث التي وردت في موضوع واحد ثم تلحقها بما يؤيدها ويتصل بها من الكتاب الكريم، ولن نعدم هذه الصلة . أما الاستدلال هكذا خبط عشواء بما يقع تحت أبصارنا من حديث قد نجهل الظروف التي قيل فيها، والمدى الذي يعمل فيه، فهو ضلال عانى المسلمون قديماً معبته، ويعانون الآن أضراره..

وتحت عنوان السنة حق يقول الشيخ: إذا صح أن رسول الله ﷺ امر بشى أو نهى عن شى، فإن طاعته فيه واجبه. وهى من طاعة الله تعالى... وما يجوز لمسلم أن يستبجح لنفسه التجاوز عن أمر للرسول فيه حكم... والمسلمون متفقون على اتباع السنة وصفها المصدر الثانى للإسلام بعد القرآن الكريم. لكن السنن الواردة تتفاوت ثبوتاً ودلالة تفاوتاً لا محل هنا لذكره... وقد وضعت لضبط ذلك مقاييس عقلية جيدة، يرجع إليها فى مظانها من شاء.

ولكن المؤسف أن بعض القاصرين- ممن لاسهم له فى معرفة الإسلام أخذ يهجم على السنة بحمق، ويردها جملة وتفصيلاً.. وقد يسرع الى تكذيب حديث يقال له، لا لشيء ، إلا لأنه لم يرقه، أو لم يفقه....

وتكذيب السنة على طول الخط احتجاجاً بأن القرآن الكريم حوى كل شى بدعة جسيمة الخطر... لأن الله عز وجل ترك لرسوله ﷺ رسله السنن العملية يبينها

¹ سورة النجم ٢ ، 3 .

ويوضحها، وقد ثبت هذه بالتواتر الذى تربيت به قرآن فكيف تجدد وحدها ويعترف بالقرآن..... و كيف نصلى و نصوم و تحج ونزكى ونقيم الحدود، وهذه كلها ما أدركت تفاصيلها إلا بالسنة وإنكار المروى من سنن الأحاد.... لمحض الهوى- عصيان مخوف العاقبة... والواجب أن ندرس السنة دراسة حسنة وأن ننتفع فى ديننا بما ضمت من حكم وآداب وعظات والسنة- لكثرة ما عرضت له من تفاصيل- تضمنت أحكاما كثيرة، والأحكام قيود توضع على تصرفات الناس، والقيد عندما يجئ فى مكانه الذى يناسبه ويلائمه، لا يكون هناك معنى للتبرم به والانكار عليه ... إنما ينشأ الاعتراض من سوء استعمال هذه القيود لأنها- والحالة هذه- سوف توصل أبوابا يجب أن تفتح، وتضييق حدودا يجب أن تفسح، وتحظر حركات يجب أن تأخذ مداها دون حرج¹ مفهوم الشيخ للسنة التى يجب أن تسود بين المسلمين:

يقول الشيخ: لا أدري لماذا لم تزدهر دراسة الشمائل النبوية، ولماذا لم تشع معرفة السيرة الشريفة بين أنواع العلوم التى احتفى بها الأولون؟؟ كان التاريخ كله علما ثانويا فى مواردنا الثقافية، وكان موضوعه مجالا رحبا للخرافيين والكذبة.... وكانت حياة الرسول تأخذ جانبا محدودا من هذا التاريخ، ولم يتصد لها من يربط بين فصولها، أو يبرز ضروب الحكمة المستكسنة فى مراحلها وأدواتها وأدوارها، أو يشرح حقيقة الأسوة المطلوبة منها... كل ما هنالك جملة من الأحاديث المتفاوتة القيمة يشرح الحديث منها فى نطاق خاص به. دون محاولة لجمعها فى صعيد متكامل، تستبين منه الصورة الجامعة لخلال النبوة، ومواقفها بازاء مشكلات الحياة وقضاياها الكثيرة... إن الكلمات المنقولة عن شخص ما، لها دلالتها التى لا شك فيها، بيد أنى أحب أن أحكم هذه الكلمات الى حياة هذا الشخص، وطبيعة أعماله منذ أن ولد إلى أن مات.. فإذا استيقنت من متابعة أعماله أنه كان مجاهدا لا يفتر رفضت أى كلمة تنسب اليه وهى توحى بالعود أو الاسترخاء... وأنكرت كذلك على من يتأسى به وهو كسلان خوار، ولو تعلق ببعض النقول المروية عنه، أو أدى بعض الوصايا التى أمر بها يقينا... لقد راقبت رجالا وطوائف تتصل بالسنة، وتتدارس أحاديث منها كثيرة أحاديث لا حصر لها.. ومع ذلك فنصيبيهم من الأسوة الحسنة تافه، ذلك لأنهم ربما استوعبوا التفاصيل الجزئية لناحية من حياة الرسول ﷺ، وذهلوا عن الصورة الكاملة والمعنى الجامع ... وقد يكون استحضار هذا المعنى الجامع متعذرا مع تشعب التفاصيل التى غرقوا فيها... فان جمال امرئ ما، لا يعرف

¹ الشيخ محمد الغزالي ليس من الإسلام ص 35 ط دار الكتب الإسلامية ط 5 1983م.

من تسليط عدسة مكبرة على جزء من جسمه. وإنما يعرف قبل كل شئ من التقاط صورة عامة لملامحه متناسقة مترابطة.. ومن هنا كان لابد من تصوير حياة الرسول للناس تصويراً يهدى بجلاء الى عبادته، وجهاده، وخلقه وقضائه، وسلمه وحربه، وإقامته وسفره، وسلوكه في بيته ومع الناس... وعلى ضوء هذه الصورة الشاملة يمشى المسلمون...

وهذه الصورة هي حجر الزاوية في السنة، ومنها تتفرع سائر البحوث التي يعنى بها الأخصائيون وحدهم.. أما قضاء بضعة شهور في قراءة ألف حديث تتصل بأبواب الموضوع، فذلك جهد لا تصلح به حال المسلم من أوساط الناس، ولا تخدم به السنة...

ثم ان حياة محمد ﷺ هي تطبيق العملي لتعليم القرآن الكريم، كما أن القرآن الكريم هو الجانب العلمي من هذه الرسالة الشاملة، ولذلك لا يمكن أن يكون هناك تفاوت بين الكتاب والسنة، أى أنه لا مكان في السنة لأثر يخالف روح القرآن العامة، أو أحكامه المحدودة، فإذا بدا مايوهم ذلك في بعض المرويات فنحن لا نترك كتاب ربنا، وسنة نبينا لقول أحد من الناس: أن رسول الله ﷺ قال: كذا أو كذا... ويؤسفنا أن تنتشر خلال القرون السالفة أحاديث كثيرة كانت بعيدة الأثر في إفساد تصور العامة لحقائق الدين والدنيا، لا كانت قيوداً ثقلاً في منع الأمة من الحركة، وشل نشاطها النفسى أو الفكرى، أو تصرفه في أعمال عديمة الجدوى... وهذه الأحاديث بعضها موضوع، وبعضها ضعيف، وبعضها صحيح حرفته عن موضعه العقول القاصرة، والأفهام الكليّة، فأصبح ضرره أكثر من نفعه، وكان إقبال العامة على هذه الأحاديث صار للهمم عن الاشتغال بالقرآن نفسه... مع أن القرآن الكريم هو الأصل الأول للإسلام..... ومع أن السنن لا تقبل إلا إذا سارت في اتجاهه، واستقامت مع أهدافه.... فإذا فتر أخذ الأمة بكتابها، فقد أضاعت وحى الله تعالى، وهدى رسوله ﷺ جميعاً.. إن السنن العملية المتواترة مثل القرآن الكريم وبيان لما أجمل فيه.. أما سنن الأحاد فإن العلماء- ليضمنوا مجيئها من لدن الرسول- وضعوا لصحتها وقبولها شروطاً معقولة:

1- ضبط الرواة. 2- صدقهم .

2- اتصال سندهم الى الرسول ﷺ نفسه.

4 - وكون المتن خالياً من الشذوذ.

5- ومن العلل القادحة .

والشرطان الرابع والخامس لم يلقياً من دقة التنفيذ ما يجب.

فما أكثر الأحاديث التي صحت أسانيدها، ومع ذلك خالفت ما هو أوثق منها.. أو حف بها من الشبهة ما يقدر في قيمتها، ومع ذلك تلقاها الناس بالقبول؟! .

إن القرآن الكريم نقل إلينا متواترا كلمة كلمة، ومع ذلك فقد فتحنا صدورنا لروايات أحاد بقراءات شاذة.. لماذا؟ مع أنه يكفي في إسقاط الحديث عن درجة الصحة مخالفته ما هو أوثق منه، وكما يجب إعدام هذه الأحاديث (الموضوعة)، ويجب إعدام أى حديث يفيد توجيهها غير ما يفيد القرآن الكريم...

وهناك علل تقدم في متن الحديث ولو صح سنده مثل:

لقد أنكر الشيخ محمد عبده أحاديث سحر الرسول ﷺ - وإن كانت من رواية البخارى- لأنها غضاضة غير لائقة بمكانة النبوة... ولو ساغ أن هذا التخيل يؤثر في النفوس الضعيفة، فكيف يقوى يهودى على التأثير في أقوى نفس بشرية، وهى نفس الرسول ﷺ، وما معنى القول: أن هذا التأثير فسى اعضائه لافى روحه، مع أن السحري يعتمد على قوى خفيه فى زعم مثبتيه لا على وسائل مادية، وإذا صح هذا فلم لا يصح قول المشركين: (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا. انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)¹.

الحق أن السلف كانوا أحسن منا فهما للسلام، وعملا به، ووعيا لأصوله، ونحن لم نبلغ مبلغهم من العلم إلا إذا رزقنا من أصالة الفقه مثل ما رزقوا، وبهذا تسترد السنة مكانتها الأولى.

إن فى السنة كنوزا من الحكمة والمعرفة، وزادا من الأدب والتقوى، ولكن استخراج هذا الخير يحتاج إلى اليد الصانع والعين البصيرة².

كانت هذه هى الآراء العامة للشيخ فى السنة الشريفة ودارت هذه الآراء حول ما يجب أخذه وما يجب تركه من الأحاديث، ولكنه ألف بعد ذلك كتابا فصل فيه ما أجمل من آرائه السابقة. وأطلق على هذا الكتاب اسما يعبر عن اتجاهه، وهو (السنة النبوية بين أهل الفقه، وأهل الحديث). وبين فيه المقبول والمرفوض من الأحاديث من وجهة نظر، وهى كمايلي:

١- يقول الشيخ: ابن حجر شارح صحيح البخارى فى كتابه الجليل فتح البارى الذى قال فيه العلماء بحق: لا هجرة بعد الفتح، ان الرجل على صدارته

¹ سورة الفرقان ٨ ، ٩

² الشيخ محمد الغزالي الإسلام والطاقت المعطلة ص 69 ومابعد ط دار الكتب الإسلامية ٩٨٢ ط 1 4

فى علوم السنة قوى حديث الغرائق¹ واعطاه إشارة خضراء فمر بين الناس
يفسد الدين

والدنيا، والحديث المذكور من وضع الزنادقة يدرك ذلك العلماء الراسخون، وقد
انخدع به الشيخ محمد بن عبد الوهاب فجعله فى السيرة التى كتبها عن رسول الله
ﷺ، والشيخ هو من هو غيرة على عقيدة التوحيد ودفاعا عنها، ثم جاء الوغد
الهندي سلمان رشدي فاعتمد على هذا الحديث المكتوب فى تسمية روايته آيات
شيطانية، اليسر من حق علماء الكلام والفقه والتفسير أن يحاربوا هذا القدر، بل
إن حراس السنة الصحيحة رفضوا هذا الحديييش.. إن هناك الافا من الأحاديث
الخالية من العلل والشذوذ تم تسجيلها فى دواوين السنة، فإذا بقى نزر يسير
يتعاون فى ضبطه الفقهاء والمحدثون فذلك خير وأولى.

٢- يقول الشيخ: انظر موقف السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها عندما سمعت
حديث (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، لقد أنكرته وحلفت أن الرسول ﷺ ما
قاله، وقالت- بيانا لرفضها إياه-: أين منكم قول الله تعالى: (ولا تزر وازرة ورز
أخرى)². إنها ترد ما يخالف القرآن الكريم بجرأة وثقه، ومع ذلك فإن هذا
الحديث المرفوض من السيدة عائشة ما يزال مثبتا فى الصحاح، بسبل إن (ابن
سعد) فى طبقاته الكبرى كرره فى بضعة آسانيد، قال: (أخبرنا ثابت عن أنس
بن مالك أن عمر بن الخطا لما طعن عولت حفصة، فقال: يا حفصة أما سمعت
النبي ﷺ يقول: إن المعو عليه يعذب؟ قال: وعول صهيب فقال عمر: يا صهيب
أما علمت أن المعول عليه يعذب؟.

وعن ابن أبى مليكة قال: توفيت ابنة العثمان رضى الله تعالى عنه بمكة، وچئنا
لنشدها، و حضرها ابن عمر وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وإنى لجالس
بينهما.. فقال عبد الله ابن عمر لعمر بن عثمان: ألا تنهى النساء عن البكاء؟
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الميت ليعذب بكاء أهله عليه)³. قال
ابن عباس: قد كان عمر يقول بعض ذلك فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة،
فقال رحمه الله تعالى عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ (إن الميت يعذب بكاء

¹ حديث الغرائق أوردها بعض كتاب السير والمفسرين- الذين لا يحققون الروايات- فى سبب رجوع مهاجري الحبشة
عند تفسير قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ..) الآية : ٥٢ - 4
ه من سورة الحج. وهي قصة باطلة نقلاً وعقلاً . راجع السنة النبوية د/ محمد أبو شهبة [٢٦ 4 / 1] .

² سورة الأنعام 164

³ أخرجه البخاري كتاب الجنائز (٢3) باب : قول النبي ﷺ " يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه "(٣٣) ٢/
٨٠-٨١ . و بنحوه مسلم كتاب الجنائز (١١) باب: الميت يعذاب بابكاء أهله عليه (9) رقم (٢٩) ٢/
621-622 . والآية من سورة الأنعام (164) وسورة الإسراء (15) و قاطر (١٨) و الزامر (٧) .

أهله عليه، ولكن رسول الله ﷺ قال: (إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه). وقالت حسبكم القرآن "ولا تزرر وازرة وزر أخرى" قال ابن عباس عند ذلك : والله هو أضحك وأبكى – يعنى أن البكاء على الراحلين طبع لا حرج فيه، ولا تثريب عليه.

وعندى أن المسلك الذى سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم، الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ويرى البعض بأن معنى تعذيب الميت بكاء أهله عليه أن الميت يتعذب أى يتألم، وهو تأويل لطيف وإذا قبلناه لم يختلف الحديث مع الكتاب الكريم.

٣- و عن الذى دنا فتدلى فى سورة النجم يقول الشيخ: جاءت فى الأحاديث المنقولة بطريق الأحاد، رواية مستغرب أن الذى دنا فتدلى هو الله، والرواية تخالف المتواتر المقطوع به فى الكتاب والسنة، ومن هنا لم يكثر بها المحققون بل جمدت فى مكانها حتى جاء ضعفاء الفقه فى القرآن الكريم كثيرة النظر فى الأحاديث يصدررون الأحكام، ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة.

وقد جاء الإمام مسلم، رحمه الله تعالى فعلق على رواية إمامه البخارى رحمه الله تعالى فبين ما بها من عطب، وذكر أن الخطأ جاء من شريك عن أنس بن مالك الذى ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وآخر..... إن مسلما (الإمام مسلم) مضى على منهج المحدثين، فناقش عمل شريك الراوى عن أنس- ثم رفض المتن، وحسنا فعل ..

إن الخطأ فى تفسير آية "النجم"ة الزعم بأن المعنى (دنا الجبار رب العزة فتدلى) كان مثار استنكار السيدة عائشة رضى الله عن عنها، فلما سألها مسروق: يا أمه هل رأى محمد ربه؟ قالت: لقد قف شعر رأسى مما قلت. أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهن فقد كذب، من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)¹. (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب)²، ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب، ثم قرأت (و ما تدري نفس ماذا تكسب، غدا و ما تدري نفس بأى أرض

¹ سورة الانعام ١٠٣

² سورة الشورى ٥١.

تموت¹) ومن حدثك أن محمد اكتم أمرا فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)²

ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين .

وأم المؤمنين عائشة فقيهة محدثة أدبية، وهى وقافة عند نصوص القرآن الكريم، ترفض أدنى تجاوز لها.. وعندما علمت أن النبي ﷺ وقف على حافة البئر التى دفن المشركون بها يناديهم بأسمائهم كان لها تعليق جدير بالتدبير..

والرواية فى هذا أن النبي ﷺ مشى واتبعه أصحابه، حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله" فإن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ .

فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال: والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، أنكرت عائشة عبارة "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم مستدلة بالآية الشريفة (ما أنت بمسمع من فى القبور)³.

قال قتاده مبينا الرواية الأولى ومدافعها عنها: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبخا وتصغيرا.

والذى أراه أن الرواية الأولى لا تحتاج الى هذا الدفاع، فالموتى لم ينفوا، وصوت النبوة يبلغهم وهم فى سجين، ولكن عائشة رضى الله تعالى عنها، لا تقل مايعارض- فى ظاهره- لفظ القرآن الكريم، فالموتى عادة لا يكلمون ولا يسمعون، وإنما يعلمهم الله بما يشاء، فإذا علموا فكأنهم سمعوا، والعبارة مقبولة على طريق المجاز...

4 – عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقاها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد الله تعالى إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدى فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالأن من قريبا،

¹ سورة لقمان ٢٤

² سورة المائدة 67 .

³ سورة فاطر ٢٢

رب أمتنى من الأرض المقدسة رمية بحجر.. قال رسول الله ﷺ: والله لو أنى عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر¹

قال المازرى: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكسروا الصورة قالوا: كيف يجوز على موسى فقي عين ملك الموت؟ قال: وأجاب العلماء عن هذه الشبهة بأجوبة أحدها أنه لا يمتنع أن يكون موسى- عليه السلام- قد أذن الله تعالى له فى هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحانا للملطوم، والله سبحانه وتعالى يفعل فى خلقه ما شاء ويمتحنهم بما أراد.

الثانى:- أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فعليه بالحجة، ويقال: فقاً فلان عين فلان إذا غالبه بالحج، ويقال: عورت الشئ إذا أدخل فيه نقصاً... وعلق المازرى على رأى الثانى بقوله: وفى هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم "فرد الله عينه" فإن قيل: أراد حجته كان بعيداً.

والثالث: أن موسى ﷺ، لم يعلم أنه ملك من عند الله تعالى، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه (أى يريد قتله) فدافعه عنها، فأدت المدافعة الى فقعه عينه، لا أنه قصدها بالفقعه وهذا جواب الإمام أبى بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازرى والقاضى عياض

قالوا: وليس فى الحديث تصريح بأنه تعمد فقي عينه، فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت... فالجواب أنه أتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى.

ويطلق الشيخ على دفاع المازرى بقوله: هذا الدفاع كله خفيف الوزن، وهو الدفاع لا يستساغ، ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل فى أعراض المسلمين، والحق أن فى متنه (الحديث) عليه قاذحة، تنزل أباه عن مرتبة الصحة، ورفضه أو قبوله خلاف فكرى وليس خلافاً قاندياً، والعلة فى المتن يبصرها المحققون، وتخفى على أصحاب الفكر السطحي.

وأخيراً فهذا الحديث وأمثاله مما لا صلة له بعقيدة أو سلوك قار فى مكانه، تعدوه العين الى المهم من تعاليم الإسلام العملية، فمن نبش التراب عنه، وشغل الناس به، ونسب الى الإلحاد من يتوقف فيه، إن أعداء الصحة الإسلامية من وراء هذا الحراك الطائش.

¹ أخرجه البخاري لك الجنائز (٢٣) بابا: من أحب الفن فى الأرض المقدسة (69) 92/2، 93، كتاب: الأنبياء (60) بابا: وفاة (31) 130 / 4، 131 ومسلم كتاب الفضائل (4٣) باب: من فضائل موسى (42) 1842/4، 1843.

وقد لفت نظر الشيخ إلى هذا الحديث أحد الطلاب في الجزائر حين سألته عن هذا الحديث وفي هذا يقول الشيخ: وقد وقع لى وأنا بالجزائر أن طالبا ليسألني: أصحيح أن موسى عليه السلام فقاً عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه، بعدما استوفى أجله؟ فقلت للطالب وأنا ضائق الصدر وماذا يفيدك هذا الحديث إنه لا يتصل بعقيدة، ولا يرتبط به عمل، والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى، وخصومها طامعون فى إخماد أنفاسها، اشتغل بما هو أهم والجوى... قال الطالب: أحببت أن أعرف هل الحديث مروي عن أبى هريرة وقد جادل البعض فى صحته..... وعدت لنفسي أفكر: إن الحديث صحيح السند لكن متنه يثير الريبة. إذ يفيد أن موسى يكره الموت، ولا يحب لقاء الله تعالى بعدما انتهى أجله، وهذا المعنى مرفوض بالنسبة للصالحين من عباد الله اهالى كما جاء فى الحديث الآخر: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)¹ فكيف بأنبياء الله تعالى؟ وكيف بواحد من أولى العزم؟ .

كانت هذه الأفكار هى بداية اعتراض الشيخ على هذا الحديث وعلى بعض الأحاديث الأخرى التي صحت أسانيدھا وبقي في متنھا علة قاذحة وسوف نرى عند عرض رأى المعارضين على ما ذهب اليه الشيخ هل هذه العلل مسلم بقومها فى صحة الحديث أم لا؟

هـ- وعن الرجل المتهم بام ولد يقول الشيخ: استغربنا ما رواه ثابت عن أنس: أن رجلا كان يتهم بأم ولد، فقال رسول الله ﷺ لعلی: اذهب فاضرب عنقه، فأتاه على فاذا هو فى ركى يتبرد فيها، فقال له على: أخرج، فناوله يده، فأخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر، فكف على عنه ثم أتى النبى ﷺ، فقال: يارسول الله إنه لمحبوب ماله ذكر. ويقول الشيخ تعليقا على هذا الحديث: يستحيل أن يحكم على رجل بالقتل فى تهمة لم تحقق، ولم يواجه بها المتهم، ولم يسمع له دفاع عنها، بل كشفت الأيام عن كذبها. وقد حاول النووى غفر الله لنا وله تسويغ هذا الحكم، بقوله: لعل الرجل كان منافقا مستحقا للقتل لسبب آخر، ونقول: متى أمر رسول الله ﷺ بقتل المنافقين؟ ما وقع ذلك منه، بل لقد نهى عنه.

وظاهر من السياق أن الرجل نجا من القتل بعدما تبين من العاهة التى به استحالة توجيه الاتهام إليه، أفلو كان سليما ابيح دمها؟ هذا أمر تأباه أصول الإسلام .. وفروعه كلها ..

¹ أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء (48) باب : من أحب لقاء الله - رقم : ٢٦٨٤ - 4/ 2065 - 2066.

إن بالحديث علة قاذحة، وهى كافية فى سلب وصف الصحة عنه، وأهل الفقه لا أهل الحديث هم الذين يردون هذه المرويات¹ قال بعض المدافعين عن هذا الحديث: لعله من باب التعزير؟ وهذا تفكير مستنكر. هل الإسلام أعطى ولى الأمر حق قتل الناس لشبهه أو شائعة؟ أباسم التعزير تستباح الدماء؟ إننا نقتل ديننا بهذا الفهم، ونعرض سيرة نبينا للقليل والقال.

٦- تحريم نعى الموتى: و عن تحريم نعى الموتى يقول الشيخ: جاء فى بعض الطلاب يقولون أنهم قرؤوا أحاديث تفيد ذلك (تحريم نعى الموتى). ومن ثم فهم يستنكرون الاذان بأخبار الموتى.

قلت إن النعي المكروه ما كان استعراضا للمآثر والمفاخر، وتتويها بالأفراد والأسر، أما ما عدا ذلك فلا شائبة فيه، بل لابد منه.

قالوا ما رواه الترمذى وابن ماجه غير ما تقول، عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال عندما احتضر: (إذا أنا مت فلا تؤذن على أحدًا، إني أخاف أن يكون نعيًا، وإلى سمعت رسول الله ينهى عن النعي). هكذا روى الترمذى وأكد ابن ماجه الرواية إلا أنه قال: كان حذيفة إذا مات له الميت قال: (لا تؤذنوا به أحد، إني أخاف أن يكون نعيًا، إني سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين اينهى عن النعي).

وعن عبد الله بن مسعود (أن رسول الله كان ينهى عن النعي، وقال إياكم والنعي فإنه من عمل الجاهلية) قال عبد الله والنعي أذان بالميت.

يقول الشيخ: ونحن نؤكد أن النعي المحذور ما قارنه الرياء وأحياء العصبية أما الإخبار المعتاد فيستحيل كرهه.

وما أكثر الأحاديث المنتشرة اليوم بين الشباب، يستنتجون منها أحكاما سيئة، إن قبلنا سندها- على إغماص- فإن متنها لا يصح قبوله.

7 - سكن الشام: يقول الشيخ: وقد قرأت للمنذرى فى كتابة (الترغيب والترهيب) ستة عشر حديثا فى سكن الشام وما جاء فى فضلها. منها ما جاء عن زيد بن ثابت: قال رسول الله ﷺ، يوما ونحن عنده: (طوبى للشام ان ملائكة الرحمن بأسطة أجنحتها عليه).

وأغلب الأحاديث الستة عشر تدور على هذا المعنى، وأغلبها من رواية الترمذى، و الحاكم والطبرانى، و ابن حيان، و ابى داودواحمد

¹ لا اتفق مع الشيخ فيما ذهب إليه من جدارة أهل الفقه برد بعض الأحاديث أرى أن علماء الحديث هم الأجدر يبحث أى شئ يتعلق بفنهم وتخصصهم ، وسوف يزداد هذا الموضوع بسطا أثناء المتابعة بسبإذن الله تعالى .

ونحن نحب أقطار الإسلام كلها ونعد أهلها اخوتنا، ونرى نصرتهم ديننا،
وخذلانهم كفرا، وما يروى فى تفضيل بلد على آخر

والترغيب فى سكناه، أو المراقبة فيه فهو عندما يتعرض الإسلام للخطر من قبله
أو تحديث، ثغرة فى حسدودة تتطلب الرجال لسدها... والواقع أن دار الإسلام
الآن مهددة من تفسيرات شتى، والغزاة يتوانيون حولها شرقا وغربا.....

ولما كانت فلسطين جزءا من الشام فنحن نعبد الفرار منها عصبينا ، والثبات
فيها جهادا، وللمدافعين عن الإسلام فى أفغانستان والفلبين ، وسائر أراضيه كل
الحقوق التي لعرب فلسطين ، أو الأرض الشام كما جاء فى الأحاديث الستة
عشر.....

٨- كان عمر رضى الله تعالى عنه يشغل نفسه ويشغل الناس معه بالقرآن
الكريم، ويوصى الجيوش ان تلهج به وتعكف عليه، ومن قضيته التي استند فيها
إلى القرآن الكريم وحده: ما رواه ابن إسحاق، قال: كنت جالسا مع الأسود بن
يزيد فى المسجد الأعظم، ومعى الشعبي، محدث بحديث فاطمة بنت قيس: ان
رسول الله ﷺ، لم يجعل لها سكنى ولا نفقة.

و كانت قد طلقت ثلاثا، فاخذ الاسود كفا من حصا فحصبه به، ثم قال ويلك
تحدث بمثل هذا؟ قال عمر: لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندرى
حفظت أن نسमित، لها السكن والنفقة، قال تعالى: (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا
يخرجن إلا أن يأتين بفاحشمة مبينة¹)

وحديث فاطمة المذكور هو موضع خلاف بين أهل الفقه. رفضه الأحناف وقبله
الحنابلة، ويرى المالكية والشافعية: أن المطلقة ثلاثا لها المسكن دون النفقة.

9 - ومع أن اتجاه الشيخ فى كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)
يتجه فيه الشيخ إلى نصره رأى أهل الفقه، إلا أنه فى هذا الحديث يلوم أهل الفقه
فيما ذهبوا إليه وهذا يدل دلالة واضحة أن الشيخ كان ينشد الحق وحده، وإن
اخطأ فى السعى إليه كان ذلك الخطأ من أخطاء المجتهدين.

يقول الشيخ: اتفق المحدثون أن رسول الله ﷺ قال (لا تتكلم الأيام حتى تستأمر،
ولا تتكلم البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول الله وكيف إذن؟ قال : أن تسكت)²

¹ سورة الطلاق ١

² البخاري لك النكاح . باب : لا ينكح الأب وغيره البكر والثيسبب إلا برضاها (١٢٦ هـ) وفي الك : الإكراه (19 4 1)
ومسلم كتاب النكاح . باب : استئذان الثياب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت (٤٦ 1) .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه : أن جارية بكرا أنت النبي ﷺ فذكرت:
أن أباها زوجها وهي كارهة فخبرها رسول الله¹

وفى رواية أن فتاة دخالت على عائشة فقالات ان أبى زوجنى من ابن أخيه يرفع
بى خسيسته وأناله كارهة، قالت عائشة: اجلسى حتى يأتى رسول الله ﷺ، فجاء
رسول الله ﷺ، فأخبرته فأرسل الى أبيها فدعاه- فجعل الأمر إليها. فقالت: يا
رسول الله قد أجزت ما صنع أبى، ولكنى أردت أن أعلم النساء أن ليس للأباء
من الأمر شئ²

ومع هذا فإن الشافعية والحنابلة أجازوا أن يجبر الأب ابنته البالغة على الزواج
بمن تكره !! ولا نرى وجهة النظر هذه إلا أنسياقا مع تقاليد إهانة وتحقير
شخصيتها³.

وفى الجزء الثانى من هذا الكتاب (السنة النبوية) يتحدث الشيخ من صب 3 4 :
99 % عن عالم النساء، وكل الأحاديث التى ذكرها فى هذا الجزء من الكتاب
سبق تخريجها والتعليق عليها فى الباب الثالث تحت عنوان قضية المرأة.
وفى الجزء الثالث من كتاب (السنة النبوية) للشيخ، يتحدث عن الدين بين
العادات والعبادات ويعترض على الأحاديث الآتية:

1 - يقول الشيخ: وقد وردت أحاديث شتى فى آداب الأكل بعضها صحيح،
وبعضها مرفوض، وبعضها من عادات العرب فالقول بأن استعمال السكين فى
الأكل حرام، لا أصل له، وقد روى أبو داود حديثا عن عائشة جماع فيه: (لا
تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من صنع الأعاجم وانهشوه نهشا فإنه اهنا وامرا).
وهذا حديث باطل فقد ثبت فى الصحاح أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان
يستخدم السكين فى تقطيع اللحم وهو يأكل وسند الحديث المروى عن أبى داود
مرفوض.

2- وروى أبو داود عن وحشى بن حرب أن الصحابة قالوا يا رسول الله، إنا
نأكل ولا نشبع قال: (فلعلكم تفترقون؟ قالوا نعم. قال: فاجتمعوا على طعامكم

¹ أخرجه أبو داود فى النكاح . باب : البكر يزوجه أبوها ولا يستأمرها (2096) . وابن ماجه فى النكاح باب : من
زوج ابنته وهي كارهة (1875) .

² أخرجه أخرجه ابن ماجه ك النكاح. باب: من زوج ابنته وهي كارهة (1874) والنسائي لك: النكاح .
باب : الثيب يزوجه أبوها وهي كارهة رقم : ٢٢٦٩ .

³ الشيخ محمد الغزالي السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 19 ومسا بعدها طدار الشروقي ١٩٩١ ط٩ .

واذكسروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه). ونحن نرى فى هذا الحديث بواعث الجود

واستضافة الفقراء ومحاربة الأزمات، قد لا يجوز ترك المحرومين يتضورون جوعاً. ولا يجوز أن يفهم من الحديث تحريم الأكل فى طبق واحد كيف والله سبحانه وتعالى يقول (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً)¹. ولو وضع لكل فقير طعام فى صفحة ما كان هناك من حرج... ولأى إنسان أن يأكل بيمنه مباشرة أى يأكل بمطقة، ففي الأمر سعة. وكان العرب يأكلون بأيديهم. تلك عاداتهم، ولا غرابة إذا كان الأكل بيده يلحق أصابعه. ولكن جعل هذه العادة ديناً مما لا أصل له. ومن الدين ألا يترك المسلم فى صفحته طعاماً كثيراً أو قليلاً ليرمى بعد فى القمامة فهذا مسلك ذميم، الغريب أن الأوربيين يتركون صحنهم اقرب ما تكون الى النظافة، أما العرب فيدعون فى صحنهم ما يزحم أواني القمامة، وما يقر عين الشيطان بالإسراف.

أما الجلوس على الأرض حتماً، والامتناع عن استعمال الملاعق، والحرص على لعق الأصابع..... فهذا تنطع أضر بالإسلام ورسالته وأطلق ضد المسلمين شائعات رديئة. فهل أمست الدعوة إلى التوحيد دعوة الى نمط من سلوك العرب الأوائل حتى فى أيام جاهليتهم؟ إن هذا السلوك البدائى صد عن سبيل الله ...

3- يقول الشيخ : قرأت حديثاً عن البيهقى يقول فيه: (عليكم بالعمائم فقها سيماء الملائكة وأرخوها خلف ظهوركم) .

وقرأت عدة أحاديث فى فضل العمام رواها الترمذى وأبو داود، وهى جميعها لا قيمة لها، كما قال الشيخ محمد حامد الفقى : (ليس فى فضل العمامة حديث يصح). والعمائم لباس عربى، وليس شارة إسلامية، وكذلك العقال. والواقع أن البيئات الحارة تفرض تغطية الرأس والقفا. وقد جاء فى الحديث الصحيح: (كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة).

4- وعن بناء المساكن يقول الشيخ: استغربت ومما رواه الشيخان عن خباب بن الأرت وهو: (إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا لم تنقصهم الدنيا، وإننا أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب ثم يقول: إن المسلم يؤجر فى كل شيء ينفقه إلا فى شيء يجعله فى هذا التراب)².

ولكلام خباب رضى الله تعالى عنه عليه مسحة تشاؤم غلبت عليه لمرضه الذى اكتوى منه، ولا يجوز أن نعد البناء رذيلة، والأصل الذى ترجع إليه فى سالكننا

¹ سورة النور 61

² الحديث رواه البخارى ومسلم.

كلها: هو القصد الطيب المصاحب للعمل أو النية الطيبة الباعثة على العمل، فإن كانت النية حسنة فالعمل صالح، وتتحول فيه العادات إلى عبادات .

5- يكرر الشيخ حديث البنيان برواية أخرى فيقول عن قيس بن أبي حازم رضى الله تعالى عنه قال: أتينا خباب بن الأرت رضى الله تعالى عنه لنعوده - وقد اكتوى سبع كيات فى بطنه- فقال إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا ولم تنقصهم الدنيا، وإنا أصبنا ما لا نجد له موصعا إلا التراب، ولولا أن النبي صلى الله عليه وسلم، نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، ثم آتينا مرة أخرى وهو بينى حائطا له فقال ان المسلم يؤجر فى كل شى ينفقه الا فى شى يجبطه فى هذا التراب¹.

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: النفقة كلها فى سبيل الله إلا البناء فلا خير فيه²

٧- و عن انس رضى الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوما ونحن معه فرأى فية مشرفة. فقال ما هذه ؟ قيل لفلان- رجل من الأنصار- فسكت وحملها فى نفسه حتى جاء صاحبها فسلم عليه الناس، فأعرض عنه فصنع ذلك مرارا، حتى عرف الرجل الغضب فيه، والأعراض عنه، فشكى ذلك إلى أصحابه، فقال والله إنى لأنكر نظر رسول الله ﷺ ما أدرى ما حدث فى فقالوا: خرج فرأى قبتك فقال: لمن هذه فأخبرناه، فرجع الرجل الى القبة فهدمها حتى سواها بالأرض، فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم، فلم يرها فقال: ما فعلت القبة فحدثوه بما كان من صاحبها. فقال رسول الله ﷺ: أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا. إلا مالا. يعنى: مالا بد منه

٨- و عن عبدالله بن عمرو بن العاصى - رضى الله تعالى عنهما - قال : مربى رسول الله ﷺ ، وأنا أطين حائطا لى من خص ، فقال ما هذا يا عبد الله ؟ فقلت : حائطا أصلحه . فقال : الأمر أيسر من ذلك ، وفى رواية مما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك³.

يقول الشيخ معلقا على هذه الأحاديث: عن دكين بن سعيد المزنى- رضى الله تعالى عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ سألناه الطعام، فقال: يا عمر أذهب فأعطهم،

¹ الحديث أخرجه الشيخان .

² الحديث رواه الترمذى .

³ أخرجه ابو د نود والترمذى و مصححه .

فارتقى بنا الى عليه، فاخرج المفتاح من حجرته، ففتح.... يعنى أنه كان هناك غرفة عليا، فلا حرج من بناء غرفة عليا.

والقارى لجلة هذه الأحاديث لا يفكر فى بناء دارة أنيقة ولا قصر شاهقى، بل لطفه يرى العيش فى مدفن اقرب الى التقوى...

والصحيح أن هناك أحاديث ترتبط بمناسباتها، وماتفهم إلا فى الجو الذى قيلت فيه، ونحن فى حياتنا المعتادة، قد يفكر امرؤ فى الزواج ويؤخر البت لظروف عارضة، وقد ينو بناء بيت ثم يؤخر البناء لفتن ناشئة، ومنطق الاستقرار غير منطق القلق، ولقد كانت المدينة المنورة تعاني الكثير من أعباء الدعوة والجهاد، والحصار والدفاع، وكانت جمهرة الصحابة تشترك فى السرايا والغزوات، فهى بين قتال أو استعداد له...

وقد نظرت الى الترهيب من بناء القصور وزخرفتها من خلال هذه الملابس، وإلا فالأصل إباحة الطيبات فى المأكل والمسكن والمنكح، ولو أخذنا الأمر على عمومته، ما بنيت مدينة ولا قامت حضارة...

هنا يربط الشيخ الأحاديث بالملابس التى أحاطت بها عند قولها، ولم يلجأ إلى رد هذه الأحاديث ولكنه يلجأ إلى نوع من التأويل.

وعن المس الشيطاني حقيقته وعلاجه يقول الشيخ: طرق بابى رجل يقول: إنه بحاجة إلى عونى، فقممت لاستقباله وأنا متعب،

ودهشت لمرآه، فقد كان عملاقا بادی الصحة، ولم تكن عليه سيماء الفقر.. وبدأنى بالحديث من غير مقدمات، قال: إنه مسكون واستعدت ما قال، فكرر شكواه مؤكدا أنه مسكون قلت من سكنك؟ قال: جنى عات غلبنى على أمرى... قلت وأنا أضحك لماذا لم تسكنه أنت؟ إنك رجل طويل عريض. فسكت حائرا.

وتحدث معى بعض أهل العلم الدينى، كأنهم رأوا إنكارى على أولئك المرضى، وقالوا لى: لماذا ترفض فكرة احتلال الشياطين لأجسامهم؟ وكان جوابى محددا: لقد شرح القرآن الكريم عداوة ابليس وذريته لأدم وبنيه، وبين أن هذه العداوة لا تعدو الوسائوس والخداع: (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا)¹

وليس يملك الشيطان فى هذا الهجوم شيئا قاهرا إلا إنه يملك استغفال المغفلين فحسب (و ماكان لى عليكم من سلطان بالا آن دعوتكم فاستجابتم إلى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ...)¹

إن الشيطان لا يقيم عائقا ماديا أمام ذاهب الى المسجد، ولا يدفع سكرانا فى قفاه ليكرع الإثم من إحدى الحانات، إنه يملك الاحتيال والمخادعة، ولا يقدر على أكثر من ذلك.

قال لى أحدهم: هذا صحيح. لكن ما أوردته لا ينفى أن بعض المردة قد يساور بشرا مسلما وينال منه... ! قلت:- وأنا ضجر- هل

العفاريت متخصصة فى ركوب المسلمين وحدهم؟ لماذا لم يشك ألمانى أو يابانى من احتلال الجن لأجسامهم؟.

إن سمعة الدين ساءت من شيوع هذه الأوهام بين المتدينين وحدهم، إنكم تعلمون أن العلم المادى اتسعت دائرته ورسست دعائمها، فإذا كان ماوراء المادة سوف يدور فى هذا النطاق، فمستقبل الإيمان كله فى خطر فلنبحث علل أولئك الشاكين بروية، ولنرح أعصابهم المنهكة، ولا معنى لاتهام الجن بما لم يفعلوا.

وجاءنى صديقى يقول لى: أرى أن تسمع كلام العلم فى هذه القضية. قلت: مرحبا بكلام أهل العلم هات ما عندك.

قال أن مس الشيطان للانسان ثابت بالكتاب والسنة فأما الكتاب فقوله: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس...)²

وأما السنة فقوله ﷺ : (إن الشيطان يجوى من ابن آدم مجرى الدم). وقوله (فناء أمتى بالطعن والطاعون و خز أعدائكم من الجن وفى كل شهادة). وقوله: (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه عليهما السلام).

ويعلق الشيخ عل الآية الكريمة والأحاديث الصحيحة بقوله: أما الآية الكريمة: (... لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ..) ، فجمهور المفسرين على أن ذلك يوم الجزاء. وسبب هذا التفسير أن أحدا لم ير أكلة الربا مصر وعين فى الشوارع توشك

¹ سورة ابراهيم ٢٢

² البقرة ٢٧ هـ

أن تدوسهم الأقدام. ومن ثم جعلوا ذلك عندما يلقون الله تعالى فيحاسبهم على جشعهم وظلمهم.

أما حديث أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، فإن القصة التي ورد فيها تشرح المراد منه قالت صفية زوجة رسول الله ﷺ: كان رسول الله ﷺ معتكفا فأتته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت الى بيتي فقام النبي ﷺ يمشى معى موادعا- وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد- فمر رجلا من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ، أسرعا. فقال لهما : على رسلكما- أى تمهلا- إنها صفية بنت حيي قالا سبحان الله يارسول الله. قال: (إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فخشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا أو قال شرا...). وظاهر من الحديث أن الرسول يريد منع الوسوسة، التى قد يلقيها الشيطان عندما يرى مثل هذا المنظر. ومع أن الصحابييين أنكروا واستعظما أن يجرى فى نفسيهما شئ من ظنون السوء بالنسبة للمعصوم ﷺ فإن النبي أراد منع هذه الوسوسة ، ولا صلة للحديث باحتلال الشيطان لجسم الإنسان.

وأما الحديث الآخر وهو أن الطاعون وخز الجن وهم أعداء الشر، فيكفينا فى شرحه صاحب المنار عندما قال: يرى المتكلمون أن الجن أجسام حية خفيفة لا تر، وقد قلنا غير مرة: أن الأجسام الحية الخفيفة التى عرفت فى هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى "الميكروبات" يصح أن تكون نوعا من الجن وقد ثبت أنها

على الأكثر الأمراض، قلنا ذلك فى تأويل ماورد من أن الطاعون من خز الجن.

أما الحديث نخس الشيطان للإنسان فيقول عنه صاحب المنار: فى حديث أبى هريرة عن الشيخين وغيرهما واللفظ هنا لمسلم: "كل بنى آدم يمسسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها". فسر البيضاوى المس هنا بالطمع فى الأغواء! وقال الأستاذ الإمام: إذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل، لا من باب الحقيقة ولعل البيضاوى يرمى الى ذلك .

ثم قال صاحب المنار: المحقق عندنا أن ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين، وخيرهم الأنبياء والمرسلون، أما ما ورد فى حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يمسهما، وحديث إسلام شيطان النبي ﷺ وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه فهو من الأخبار الظنية، لأنه من رواية الأحاد، ولما كان موضوعها عاله الغيب، والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهى لا يؤخذ فيها

بالظن لقوله تعالى(وإن الظن لا يغني من الحق شيئا)¹ كنا غير مكلفين أن نؤمن بمضمون هذه الأحاديث في عقائدنا .

يقول الشيخ: ومذهب السلف في هذه الأحاديث تفويض العلم بكيفيتها الى الله تعالى، ومع أن مذهب السلف أحب إلي، إلا أن مدافعة أعداء الإسلام تقتضى مزيدا من الحذر واليقظة ولست أحب أن أفتح أبواب الشعوذة والسحر والدجل باسم أن الشيطان احتل بدن إنسان....² وتحت عنوان فقه الكتاب أولا يقول الشيخ: يرى الصنعاني أن النذر حرام، معتمدا على حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال: (إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من مال البخيل)، والنذر الذي لا يأتي بخير هو النذر المشروط الذي يشبه المعارضات التجارية، يقول الإنسان: لله على كذا إن شفيت من مرض أو إن نجح ابني... أما النذور الأخرى في طاعة الله تعالى فلا حرج فيها ما دامت من الناحية الفقهية صحيحة.

والسؤال الآن: كيف يحكم بأصل الحرمة في النذور كلها مع قوله تعالى في وصف الأبرار: (يوفون بانذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا)³ ، وقوله في موضع آخر (ثم ليقضوا تفثهم وليفوا نذرهم وليطوفوا بالبيت العتيق)⁴. وقد رأيت الجهل بالقرآن الكريم يبلغ حدا منكورا عند شرح حديث مسلم (كل ذى ناب من السباع فأكله حرام). فإن شارح الحديث زعم أن الحديث قبل في المدينة المنورة، وأنه نسخ ما نزل بمكة من قوله تعالى: (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به...) ⁵. والزعم بن حديث الأحاد ينسخ آية من القرآن الكريم زعم في غاية الغثاثة، ثم إن الآية قيل بنسخها تكرر معناها في القرآن الكريم أربع مرات. مرتين في سورتي الانعام والنحل المكييتين، ومرتين في سورتي البقرة والمائدة المدنييتين. بل ما جاء في سور المائدة هو من آخر ما نزل من القرآن الكريم، فكيف يفكر عاقل في وقوع الشيخ؟ ثم إن عددا من الصحابة بينهم ابن عباس، وعددا من التابعين فيهم الشعبي وسعيد بن جبير رفضوا حديث مسلم فكيف نترك آية لحديث موضع لغط؟.

¹ سورة النجم ٢٨.

² المرجع السابق ص ١١ وما بعدها .

³ سورة الإنسان 7

⁴ سورة الحج ٢٩

⁵ سورة الانعام 145

وعن بعض الروايات لنافع رضى الله عنه يقول الشيخ: عن عبدالله بن عون كتبت إلى نافع- يرحمه الله تعالى- أسأله عن الدعاء قبل القتال- ويقصد بالدعاء دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام قبل المعركة- قال عبدالله فكتب إلى: (إنما كان ذلك في أول الإسلام وقد أغار النبي ﷺ على نى المصطلق وهم غارون). ونافع غفر الله له مخطئ، فدعوة الناس إلى الناس قائمة ابتداء وتكراراً، وبنو المصطلق لم يقع قتالهم إلا بعد أن بلغت الدعوة، فرفضوها وقرروا الحرب. ورواية نافع هذه ليست أول خطأ يتورط فيه، فقد حدث بأسوأ من ذلك، قال: كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرنكم أنى شئتم)¹ فقال تدرى فيما نزلت هذه الآية قلت: لا. قال: نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها، فشق ذلك عليه.. فنزلت هذه الآية.

قال عبدالله بن الحسن: إنه لقي سالمًا بن عبدالله بن عمر فقال له: ياعم ، ما حديث يحدثه نافع عن عبدالله أنه لم يكن يرى بأساً بإتيان النساء في أدبارهن فقال: كذب العبد وأخطأ، إنما قال عبدالله يؤتون في فروجهن من أدبارهن. ونعود ألى رواية نافع- وهى عدم الدعوة قبل القتال- ونقول: إنه مع اهتزازها، فإن أهل الحديث روجوا لها حتى جعل الصنعانى عنوان الموضوع: " الغارة بلا انذار".

يقول الشيخ معلقاً على عنوان الصنعانى: غارة بلا انذار؟ أين هذا المسلك من قوله تعالى: (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)² . وقوله: (فإن تولوا فقال أذنتكم على سواء وإن أدرى أقرب أم بعيد ما توعدون)³ .

فى كتابى (جهاد الدعوة بين عجز الداخل و كيد الخارج). أخصيت أكثر من مائة أية تتضمن حرية التدين، وتقيم صروح الإيمان على الاقتناع الذاتى. وتقضى على الإكراه عن طريق البلاغ المبين... وليس فى تاريخ الثقافة الإنسانية كتاب ينسى العق المؤمن إنشاء، ويعرض آيات الله تعالى فى الأنفس والآفاق لتكون ينباع فكر يتعوف منها على الله تعالى، ويستريح إلى عظمتة كما وقع فى هذا القرآن الكريم، ومع ذلك فنحن كمسلمين يوجد بيننا من ينسى هذا كله ليقف عند راو تائه يزعم أن الدعوة إلى الإسلام كانت فى صدر الإسلام ثم الغيث ومن ألغاه؟.

¹ سورة البقرة ٢٢٣.

² سورة الأنفال 58

³ سورة الانبياء ١٠٩

انه لامر ما ايجى بختام خاصى لسورة بر اعوة التى نزلت فى السنة التاسعة، يقول عن الكافرين: (فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)¹ . أفى هذا الختام رائحة إكراه ؟ .

وعن الترغيب فى الفقر والزهد يقول الشيخ: قرأت خمسين حديثاً ترغّب فى الفقر وقلة ذات اليد وما جاء فى فضل الفقراء والمساكين والمستضعفين وحبهم ومجالستهم، كما قرأت سبعة وسبعين حديثاً ترغّب فى الزهد فى الدنيا والاكتفاء منها بالقليل، وترهب من حبها والتكاثر فيها والتنافس... وقرأت سبعة وسبعين حديثاً أخ، فى عيشة السلف وكيف كانت كفافسا... ذكر ذلك كله المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب وهو من أمهات كتسبب السنة، ورحم الله تعالى المؤلف الحافظ وغفر لنا وله، فهو حسن النية ناصح للأمة ، بيد أن الفقه الصحيح يقتضى منهجا آخر، ومسلكاً أرشد.

وأعرف ويعرف غيرى أن عيادة الدنيا أهلك الأولين والآخرين، وأنها من وراء جرائم مذهلة يقتترفها الخاصة قبل العامة، والرؤساء قبل الأتباع، والأذكياء قبل الأغبياء، ولكن العلاج الصحيح للداء العضال يكون بالتمكن من الدنيا والاستكبار على دنياها.

أملك أكثر مما ملك قارون من المال، وسيطر على أوسع مما بلغه سليمان من سلطان، واجعل ذلك فى يدك ، لتدعم به الحق حين يحتاج الح إلى دعم، وتتركه لله تعالى فى ساعة فداء حين تحين المني، أما أن تعيش صطوكا، حسباً أن الصعلكة طريق الجنة فهذا جنون وفتون ... إذا كان الإلحاد يفرض سلطانه بالتمكين فى الأرض، فإن انصرافك عن التمكن من الأرض فاحشة أشد من الزنا والربا...

بعد أن قدم الشيخ رأيه فيما جاء من أحاديث تجنب الفقر وتزهد فى الدنيا بدأ يناقش بعض هذه الأحاديث ويقول: نناقش بعض ما روى فى هذا المجال لنعرف ما وراءه، عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه: اشتكى سلمان الفارسي- فى مرضى موته- فعاده سعد بن أبى وقاص، فرآه يبكى، فقال له سعد: ما يبكيك يا أخى؟ أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟ أليس؟ أليس؟ قال سلمان ما أبكى واحدة من اثنتين ضنا على الدنيا ولا كرها للأخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً وما أرانى إلا قد تعديت.. قال سعد وما عهد إليك؟ قال عهد إلينا أنه يكفى أحدكم

¹ سورة التوبة ١٢٩ .

مثل زاد الراكب، ولا أرانى إلا قد تعديت وأما أنت يا سعد فائق الله عند حكمك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت، وعندك همك إذا هممت.

قال المنذرى وقد جاء فى صحيح ابن حبان أن مال سلمان جمع بعد وفاته، فبلغ خمس عشر درهما.

إن سلمان رضى الله تعالى عنه من أكابر الصحابة ومن أوفياءهم، والحديث يفيد أنه وجل من لقاء ربه وتركته خمس عشر درهما، وإنها لصورة تثير الخشية والخشوع أن نرى أميرا من أمراء الفتح الاسلامى يلقى، ربه بهذا التجرد والتبتل ... على حين نرى الان القادة والأمراء يتشبعون من الدنيا بلا حدود . لكن للفقهاء سؤالا هنا: إن سعد بن أبى وقاص الذى كان يحاور سلمان سمع من رسول الله ﷺ هذا التوجيه (إنك إن تذر ورتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكفون الناس).

فليس الميراث الكبير جريمة ... وسعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة- كما جاء فى السنن- وهؤلاء العشرة كانوا من أغنياء المسلمين، بل لم يكن فيهم فقير.

المشكلة ليست فى امتلاك المال الواسع، بل المشكلة فى كيف تمتلكه؟ وكيف تنفقه؟ وقد رأينا فى الدنيا أغنياء بنوا الجامعات حصونا للعلم والبحث، وأغنياء حاربوا المرض، والشظف بئس شديد، و اغنياء قدموا الدولهم ما تطلب من ضرائب كى تضع موازناتها إقامة للمصالح العامة، ورأينا عثمان بن عفان يعين إعانة رائعة فى الإعداد لغزوة العسرة حتى جعل الرسول ﷺ يقول:

اللهم أرض عن عثمان فانى راض عنه. وفى رواية أخرى: ليسى لابن آدم حق سوى فى هذه الخصال: (خرقة كف بها عورته، أو كسرة سد بها جوعته، أو حجر يتدخل فيه من الحر والقر) وفى عبارة البيهقى (كل شى فضل عن بيت ، وكسرة خبز ، و ثواب يوارى عور ابن آدم ، فليس لابن آدم فيه حق)¹ ... قال الحسن البصرى الراوى الحديث: ما يمنعك أن تأخذ به؟ -وكان يعجبه الجمال- فقال الرجل للحسن: يا أبا سعيد إن الدنيا تقاعدت له: ورأى أن الرجل كان يستطيع تقديم إجابة أفضل، إجابة من كتاب الله تعالى: (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)².

¹ الحديث رواه البيهقى

² سورة الاعراف ٣٢.

ولو جعلنا هذه المرويات- من الأحاديث- محور حياة عامة، لشاع الخراب فى أرجاء الدنيا...

منهج الشيخ:

أردت بهذا العنوان أن أعرض فى عجالة لمنهاج الشيخ قبل أن نصل إلى تحليل هذا المنهج لأن المعترضين عليه يتهمونه- ظلما- فى بعض الأحيان أنه يرد الأحاديث الصحيحة. وهو لا يفعل هذا مع بعض الأحاديث إلا من خلال علماء الحديث أنفسهم، أما أغلب الأحاديث التى تعرض لها فهو لا يردّها- بمعنى يبطلها- ولكنه يردّها الى مناسباتها ومعانيها القريبة والبعيدة.

ولنترك الشيخ يشرح منهجه بنفسه. يقول: فهل هذه المرويات باطلة ؟. ربما ظن البعض أنى أرى ذلك، والواقع أن هذه المرويات تساق فى مجال محدد لهدف محدد، وهى جرع من أدوية يتناولها الإنسان حتى لا يكون منهوما بالدنيا شقيا وراء بعض الحرث الذى يطراً عليه.. كم من الناس لديه أنصبة مضاعفة من هذه الأرزاق ومع ذلك لم يقدر ولم يشكر.

وقد وقف الحرفيون عند هذه الآثار فوفقوا بالعالم الإسلامى كما وقف حمار الشيخ فى العقبة لا يتقدم ولا يتأخر، بل لعله تراجع الى العصر الحجرى فى بعضى جوانبه...

ويبدو أن الطيش فى فهم المرويات، وسوء تقديرها مرض محذور العقبى من قديم، فقد روى الترمذى عن الحارث الاعور قال : مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى الأحاديث، فدخلت على على رضى الله تعالى عنه فأخبرته فقال: أو قد فعلوها؟ قلت نعم قال: أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أما أنها ستكون فتنة قلت: فما المخرج منها يا رسول الله. قال: (كتاب الله تهى فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليسى بالويزل، من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تناقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعت حتى قالوا: (انا سمعنا قرأنا عجا يهذى إلى الرشد فأما به ..)¹.. من قال به صدق

¹ سورة الجن ١، ٢ .

ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم¹. ثم قال على خذها إليك يا أعور .

إن الحكم الدينى لا يؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره. وإنما يضم الحديث إلى الحديث، ثم تقارن الأحاديث المجموعة بمسا دل عليها من القرآن الكريم، فإن القرآن الكريم هو الإطار الذى تعمل الأحاديث فى نطاقه ولا تتعده، ومن زعم أن السنة تقضى على الكتاب، أو تنسخ أحكام فهو مغرور.

أحاديث الفتن

وعن أحاديث الفتن يقول الشيخ: وللنواس بن سمعان حديث طويل فى الدجال، ذكر فيه طرفا من القوة التى زود بها، أو الفتنة التى يثيرها بين الناس قال: (....). يأتى على القوم فيدعوهم- الى عبادته - فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى، وأسبغه ضروعا وأمدّه خواص، أما الذين يكفرون به فينصرف عنهم فيصبحون مملحين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ثم ينزل عيسى بن مريم فلا يزال يطارد الدجال حتى يدركه باللد فيقتله ، ويريح الناس من شروره)

والأحاديث التى اقتبسنا نتفا منها هى أحاديث آحاد، وبعضها فى الصحاح .. والروايات عنه كثيرة، وفى إحداها أنه مكتوب بين عين الدجال، (ك ف ر) أى كافر يقرؤه كل مسلم.... وفى رواية عن أم شريك عن النبى ﷺ: (ليفرن الناس من الدجال فى الجبال، قال أم شريك: يارسول الله أين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل (...)².

ويظهر إلى أن الدجال من زعماء اليهود، وقد يكون من كبار علمائهم الكونيين، وهو يمثل عوج الضمير اليهودى وانقطاعه عن الله تعالى. بل عداوته له... وقصته قبيل الساعة تمثل خاتمة الصراع السيئ بين أتباع الأديان الثلاثة، فاليهود بقيادة مسيحهم يحاولون الظهور والسيطرة، والنصارى مستمسكون بأفانيمهم وصلبانهم وسيرتهم الاجتماعية المعروفة، وهم يظاهرون اليهود على

¹ الحديث رواه الترمذى

² انظر أحاديث الدجال فى صحيح البخارى كتاب فضائل المدينة (٢٩) بابا " لا يدخل الدجال المدينة"، لك : بدء الخلق (59)، باب : إذا قال أحدكم أمين والملائكة فى السماء أمين، لك الأنبياء (60) باب ما يذكر عن بني إسرائيل (٥0) لك الفتن (٩٢) باب : ذكر الدجال، باب : لا يدخل الدجال المدينة . وكتاب التوحيد (97) باب قول الله تعالى (ولتصنع على عيني) . وصحيح مسلم لك الفتن وأشرط الساعة (٥2) باب : ذكر الدجال وصفته وما معه (20) باب (فى صفة الدجال وتحريم المدينة عليه) وغير ذلك من مواضع .

العرب.. والمسلمون فرق شتى فيهم الصالح المستميت في المقاومة، وفيهم التائه الهائم على وجهه.

وعن امتحان الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة يقول الشيخ: جاء بعض المولعين بمشكل الحديث وغريب الروايات، فذكروا كلاماً آخر لا بد من كشف حقيقته لخطورة مضامينه، وشذوذها عما يعرف بها المؤمنون ربهم في امتحان عصيب يجرى لهم يوم القيامة.

والقصة كما ذكرها تتلخص في انه بعد إلقاء المشركين في العذاب يبقى المسلمون وحدهم (حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها

فقال ماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد! قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم، ولم نصاحبهم فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه أية؟ فتعرفونه بها؟ فيقولون نعم. يكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه. إلا أذن الله له بالسجود. ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة. كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال: فيقولون أنت ربنا (...)¹

يلق الشيخ على هذا الحديث بقوله: هذا سياق غامض مضطرب مبهم!! وجمهور العلماء يرفضه، وقد حاول القاضي عياض القول بأن الذي جاء المؤمنين في صورة أنكروها أول الأمر هو أحد الملائكة، وكان ذلك اختباراً من الله تعالى لهم، وهو آخر اختبار يلقاه المؤمنون.

ومحاولة القاضي عياض لا تقدم ولا تؤخر أنه فليست الآخرة دار اختبار إن الاختبار تم في الدنيا كما جاء في البخاري: (اليوم عمل ولا جزاء وغدا جزاء ولا عمل).... ثم لماذا يقوم أحد الملائكة بهذه التمثيلية المزعجة؟ وبأذن من؟ وما جدواها؟ وإذا تركنا كلام عياض لن تأمل في الوقائع نفسها وجدنا ما يستحيل عقلاً أو نقلاً أن يقبل، فإن الله لا يجيء في صورة تنقص عظمته وجلاله، ثم يبدو في صورة حقيقية بعد ذلك، مهما قلنا. إن المقصود بالصورة هو الصفة..... الحديث كله معلول، وإصاقه بالأية خطأ، وبعض المرضى بالتجسيم هو الذي يشيع هذه المرويات، وإن المسلم الحق ليستحي أن ينسب إلى رسوله هذه الأخبار.

- وعن قطع الصلاة يقول الشيخ: خذ مثلاً ما يقطع الصلاة، فقد تشبثوا بحديث يقول: "إن الصلاة تقطعها المرأة، والحمار، والكلب الأسود"

وجمهور الفقهاء رفضوا هذا الحديث، واستدلوا بأحاديث أخرى تفيد أن الصلاة لا يقطعها شيء، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام، كان يصلي و زوجته عائشة مضطجعة أمامه، كما أن ابن عباس مر بحمار يركبه أمام جماعة تصلي، فلم تفسد لها صلاة، والكلاب أبيضها وأسودها سواء.

ولست ممن يبنون العلالى على الخلافات فى فروع الفقه، وإنما تعينى سمعة الإسلام، عندما يسافر امرؤ متعصب الى أوربا وأمريكا ثم يذكر للناس أن المرأة والكلب والحمار سواء فى إفساد الصلاة عند مرورها.

وعند نهاية كتاب "السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث" يرفض الشيخ حديثاً يفيد الجبر المحض رواه الترمذى فيقول: وقد قرأت ما رواه الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه سئل عن قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست يربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)¹. قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال: إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح على ظهره، فاستخرج منه ذرية فقال: هؤلاء خلقت للنار، ويعمل أهل النار يعملون، فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: إن الله إذا خلق العبد اللجئة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار).

يقول الشيخ: وهذا السياق يكاد يكون نصابى فى الجبر ولذلك نرفضه ونراه من أوهام الرواة، بل نراه من الجهل بمعانى القرآن الكريم².

وبهذا الحديث ينتهى كتاب الشيخ "السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث" وقد أحدث هذا الكتاب دويلاً لا حدود له فى مجال الثقافة الإسلامية وعن هذا يقول الشيخ: ولكن ناساً فى عصرنا ما كادوا يقرؤون ما كتب حتى انبروا لمهاجمتي والنيل منى، وليس هذا بضائرى، وإنما لفت نظري أن القضية العملية لفها ضباب

¹ سورة الاعراف، ١٧٢

² السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ص 111 وما بعدها.

مفتعل، فلم تبحث ولم يذكر حكم الله تعالى فيها حتى ليخيل إلى أن التجهيل في الحكم مقصود.

وبهذه الكلمات ينتهى هذا الفصل لأن هذه القضية هي التى سنعالجها فى فصل المتابعة، وسوف تكون المتابعة متجهة الى اظهار حكم الله تعالى فى هذه القضية.

الفصل الثالث

المتابعة

ترك كتاب "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" للشيخ أثرا مدويا في محيط الثقافة الإسلامية وتباينت ردود الأفعال تجاهه بين مؤيد ومعارض، وإن كانت المعارضة أكثر وصوتها أعلى.

وقد قدمنا في الفصل الثاني تلخيصا لهذا الكتاب واتضح من هذا التلخيص أن الشيخ لم يقصد إلى رد الأحاديث أو إبطالها، وإنما كان يعلق على كل حديث مستندا إلى تعليق سبقه من كثير من العلماء على هذا الحديث، ولم يرفض حديثا رفضا قاطعا إلا حديث الترمذي الأخير وفيه (أن الله تعالى ظهر للناس في القيامة على أدنى صورة له). وقد حاول الإمام القاضي عياض أن يلتمس مخرجا للحديث فقال إن الذي ظهر هو أحد الملائكة ولم يقتنع الشيخ بهذا التأويل، لأن تنزيه الله تعالى عنده فوق كل شئ وقبل كل شئ.

ومن العجيب أن الفريق المعارض قد اتهم الشيخ بمعاداة السنة، وقد قدمنا في الفصل الأول (عاشق السنة) وبيننا أن الشيخ انفرد بقدر كبير من الحب والتوقير للسنة ولصاحب السنة عليه الصلاة والسلام ربما- فيما نعلم. لم يصل إليه أحد من علماء المسلمين قبل الشيخ.

وقد كانت للشيخ وجهة نظر تدور حول هذه الفكرة: إن العلماء اتفقوا على رد حديث الثقة بحديث من هو أوثق منه، وعلى هذا ترد الأحاديث التي تعارض القرآن الكريم، أو يرد معناها فقط وتحمل على معنى آخر ينسجم مع معاني القرآن الكريم، وكان يمكن لهذه الفكرة أن تتحول إلى منهاج للعمل والدراسة يقوم عليه علماء الحديث أنفسهم، ولولا سبق بعض الألفاظ من الشيخ في حق علماء الحديث. واستعداد البعض للهجوم على الشيخ لأسباب عديدة من بينها الدفاع عن السنة الشريفة.

وسوف نعرض لبعض الدراسات التي ألفت حول آراء الشيخ فسي السنة الشريفة وموقفه منها، سواء الدراسات التي تمت في مصر أو في بعض بلاد العالم الإسلامي. وهي دراسات في مجملها أشبه بالمعارضات اللفظية، والتي لا تقوم على قاعدة منطقية أو مناهج دراسية لها قواعد حاكمية، وأصول مرعية.

المعاوضة الأولى:

في سلسلة دفاع عن السنة قدم الكاتب أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم بحثا في 536 خمسمائة وست وثلاثين صفحة من القطع المتوسط تحت عنوان (جناية الشيخ محمد الغزالي على الحديث وأهله). وقوم لهذا وراجعوه وعلق عليه الدكتور/ ربيع بن هادي عمير المدخلي رئيس شعبة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وقامت بطبع الكتاب ونشره مكتبة الامام البخاري.

أ- منهج الشيخ:

بدأ الباحث ببيان منهج الشيخ في معارضته لبعض الأحاديث فقال:
وقد استقى الغزالي هذه المجازفة الخطيرة- تقديم القرآن على السنة عند البحث عن الدليل- من أصحاب المدرسة العقلية وموقف أصحاب هذه المدرسة يشابه إلى حد كبير موقف سلفهم المعتزلة من السنة وردهم ما يخالف ما ذهبوا إليه من آراء في التفسير وما هدتهم إليه عقولهم... وقد كان من أسس أصحاب هذه المدرسة أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع فمنهم من أراد بذلك الرجوع إلى القرآن الكريم والأخذ بما يوافقه من السنة ونبذ ما التبس عليه وعسر على ذهنه- القاصر- فهمه ومنهم من أراد بذلك الرجوع إلى القرآن الكريم في كل قضية ليلتمس فيه الحكم. فإن وجده لم يحتج معه لمأخذ آخر. مع أن الصحيح في ذلك أن ينظر في الكتاب والسنة معا لأن السنة مبينة لكتاب الله فيجب اعتبارها مع الكتاب مصدرا واحدا لا فصل بينهما.

يقول الغزالي في كتابه مستقبل الإسلام (فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع ومن تدبره يعرف الإطار العام للهدايات الإسلامية)، ثم يبين لنا بوضوح تام ما يعنى بذلك في كتابه السنة النبوية ص (١٨/١٧) من أجل ذلك كان أئمة الفقه الإسلامي يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولا... ثم يقرر بعد ذلك قراره الاعتزالي الخطير بأنه ينبغي (محاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم) وهذه الدعوة الخطيرة دعا لها من قبل الزنادقة.¹
بعد أن قدم المؤلف لمنهاج الشيخ بدأ يناقش الأحاديث التي ناقشها الشيخ والتمس لها الشيخ والتمس لها تأويلا مناسبا، ولكن المؤلف يحاول أن يخطئ مفاهيم الشيخ في الأحاديث وعرضها كما يلي :

1 - لما ذكر للسيدة عائشة حديث عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه). فقال يرحم الله عمر، لا والله ما حدث رسول الله ﷺ (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه)، ولكن قال: (إن الله يزيد الكافر ببكاء أهله عليه) ثم قالت حسبكم القرآن (ولا تزرر وازرة وزر أخرى).²
يؤيد الشيخ الغزالي فهم السيدة عائشة لهذا الحديث ولكن الشيخ أشرف (المؤلف) يعترض على فهم الشيخ وفهم السيدة عائشة من أجل إحراج الشيخ يحاول تقديم

¹ أشرف عبد الرحيم جناية الشيخ محمد الغزالي على الحديث وأهله ص 19 وما بعدها ط مكتبة الامام البخارى ١٩٨٩ م.

² سورة الانعام : ١٩ و الحديث رواه البخارى " ١٢٨٨ " ومسلم " ٩٢٨ "

اعتراضات واهية على فهم السيدة عائشة للقضية وهذا ما يوضح ما يجلبه الانفعال والهوى على البحث العلمى وهذه نماذج من أعتراضاته.

يقول: إن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها استشكلت الحديث لسببين: الأول: لا اعتقادها بطلان معناه، وقد ساعدها على هذا أن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما أقرأ الحديث على مقتضاه وحملوا على ظاهره فأوهمها ذلك أن الحديث من باب عقوبة الإنسان بذنب غيره، وهذا يخالف بعض أصول الشريعة وقواعدها المقررة. يخطئ المؤلف فى حق السيدة عائشة حين يقول: فأوهمها ذلك ولا أدري لماذا؟ فهو يخطئ السيدة عائشة من أجل أن يخطئ الشيخ الغزالى. وعن السبب يقول المؤلف: اعتقادها غلط الناقل:

ما استشكلت هذا الحديث بناء على أن الرجل قد يخطئ السمع وقد يهمل. . ففهى الحديث أنها لما ذكر لها حديث عمر عن النبي ﷺ: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه). فقالت يرحم الله عمر لا والله ما حدث رسول الله ﷺ ولكن قال: (إن الله يزيد الكافر ببكاء أهله عليه ...)

وفى رواية قالت: (أما والله ما تحدثون هذا الحديث عسن كاذبين مكذبين، ولكن السمع يخطئ وإن لكم فى القرآن لما يشفيكم...)¹

وبعد أن يستعرض المؤلف هذين السببين: يبدأ فى معارضة رأى السيدة عائشة بقوله: فى حديثها الذى اعترضت به على رواية عمر وابنه قالت ولكن رسول الله ﷺ قال: (إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه).

فيلزم من هذا الكلام أن الميت (الكافر) يعذب بذنب غيره، وهو عين ما نفتته فى رواية عمر وابنه ولذلك يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله (والمعارضة التى ظنتها أم المؤمنين رضى الله عنها بين روايتهم وبين قوله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى). غير لازمة أصلاً. ولو كانت لازمة لزم فى روايتها أيضا. " أن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عليه). فإن الله سبحانه لا يعذب أحدا بذنب غيره الذى لا تسبب له فيه . فما تجيب به أم المؤمنين عن الحديث الذى استدركته عليهم.²

وبهذه الفقرة التى نقلها المؤلف عن ابن القيم يكون قد وضح رأيه فى رواية السيدة عائشة وبرغم استنتاج ابن القيم إلا أن الحق غير ذلك لهذه

¹ الحديث مسلم (٩٢٩) و أخرجه البخارى فى كتاب الجائز ج ٣ ص ١٨١ ط دار الفكر

² ابن القيم تهذيب السنة ج- ؛ ص ٢٩٠ ، ٢٩١.

أ- أن السيدة عائشة حينما اعترضت على رواية سيدنا عمر استبدلتها بالرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ : (إن الله ليزيد الكافر ببكاء أهله عليه). وهذا الحديث صحيح فمعارضة المؤلف وابن القيم معارضة لحديث رسول الله ﷺ وليست معارضة لرأى خاص للسيدة عائشة.

ب - إن الكافر رحلته إلى الآخرة رحلة عذاب من أولها إلى آخرها وبكاء أهله وإن كان بباعث الرحمة منهم فإنه ينقلب عليه وبالا بباعث الغضب من الله تعالى.

ومن هذا يتضح أن محاولة رفض فكر الشيخ محمد الغزالي في السنة النبوية جرت معها رفض ما ذهب إليه السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، والأكثر من ذلك أن احتجاج المؤلف ومعه ابن القيم على رأى السيدة عائشة صاحبه وتزامن معه احتجاج على حديث رسول الله ﷺ ووقعا في لبس كبير لأنهما يؤيدان حديث سيدنا عمر وابنه عبدالله رضي الله تعالى عنهما لأنه حديث صحيح وينكران أو يعترضان على حديث السيدة عائشة في عذاب الكافر وهو أيضا حديث صحيح.

وربما يعترض المؤلف بكلام ابن تيمية: (والأحاديث الصحيحة الصريحة التي يرويها مثل عمر بن الخطاب وابنه عبدالله وأبى موسى الأشعري وغيرهم لا ترد بمثل هذا، وعائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها لها مثل هذا نظائر ترد الحديث بنوع من التأويل لا اعتقادها بطلان معناه ولا يكون الأمر كذلك..)¹

وهذا الكلام لا ينهض بقضية المؤلف لأن السيدة عائشة كما أسلفنا لا تعترض على المعنى فقط كنوع من التأويل بل تأتي بحديث صحيح (عذاب الكافر) فعلى أى شى تقع معارضة الإمام ابن تيمية؟

2- حديث أبى طلحة : (أن النبى ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش، فقتلوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفه الركى فجعل بينادى هم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يافلان ابن فلان، ويافلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ ... قال فقال عمر: يا رسول الله. ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟

¹ ابن تيمية مجموع الفتاوى ج 24 ص 385.

فقال رسول الله ﷺ: "والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم". قال قتاده أحياءهم الله حتى أسمعهم قوله: توبيخا وتصغيرا أو نقمة، وحسرة وندما¹.

أنكرت السيدة عائشة عبارة: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم". مستدلة بالآية الشريفة: "وما أنت بمسمع من فى القبور"² وصححت الرواية: "ما أنتم بأعلم لما أقول منهم" هكذا يقول الشيخ.

ويعترض المؤلف "أشرف" على السيدة عائشة وعلى الشيخ الغزالي بقوله: اعلم رحمنى الله وإياك أن الحديث صحيح لا ريب فيه البتة ولا مطعن ولا مغمز ولا إشكال فيه بحمد الله للأمور التالية:

أولا: خطأ أم المومنين عائشة رضى الله عنها فى توهيمها للراوى لا فى استدلالها بالآية. هكذا يصحح الشيخ أشرف ومن على شاكلته على تخطئة السيدة عائشة وهم فى طريقهم إلى تخطئة الشيخ.

ثانيا: ابن عمر لم ينفرد بالرواية بل تابعه عليها جمع من الصحابة.

ثالثا: حادثة القلب خرق عادة للنبي ﷺ.

رابعا: فى الجمع بين روايتى عائشة وابن عمر:

وينقل الشيخ أشرف عن ابن جرير الطبرى قوله: والصواب من القول فى ذلك أن لكلتا الراويتين اللتين عن رسول الله ﷺ فى ذلك صحيحة عدول نقلتها فالواجب على ما انتهت إليه ، وقامت عليه خير الواحد العدل، الإيمان بها والإقرار بأن الله يسمع من شاء من خلقه من بعد مماته ما شاء من كلام خلقه من بنى آدم وغيرهم على ما شاء. ويفهم من شاء منهم ما شاء ، وينعم من أحب منهم، بما أحب، ويعذب فى قبره الكافر ومن استحق منهم العذاب كيف أراد على ما جاءت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم الآثار وصحت به الأخبار³

فى الفقرة السابقة التى نقلها الشيخ أشرف عن ابن جرير الطبرى ما يدل على صحة رواية السيد عائشة ورواية ابن عمر معا، ولا وجه للقول بخطأ السيدة عائشة على الإطلاق.

¹ أخرجه الشيخان البخارى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر ج ٣

ص 274 وأحمد فى مسنده ج ٢ ص ١٣١ بط دار الفكر .

² سورة فاطر ٢٢ .

³ تهذيب الآثار ج ٢ ص 518 مسند عمر بن الخطاب .

هذه نماذج من المعارضة الأولى للمؤلف أشرف عبد المقصود وهى معارضة غير متوازنة. تتسم بالتسرع فى الحكم خاصة ما يتعلق بروايات السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها، ومناقشته لها بغير دليل أو أساس من علم ، وقد اتضح منهج المؤلف من الفقرات التى نقلناها من كتابه.

المعاوضة الثانية:

المعارضة الثانية للدكتور/ ربيع المدخلى وهو الذى قدم للكتاب الذى سبق تقديمه فى المعارضة الأولى، وقد تم تأليف الكتابين فى عام واحد 1410 هـ ١٩٨٩ م و منهج الكتابين واحد فى الهجوم على الشيخ ونعته بأوصاف لا يجب أن تقال على رجل أفنى حياته فى خدمة الدعوة الإسلامية.

يقول الدكتور/ ربيع المدخلى: اشتدت وطأة المستشرقين على السنة النبوية، وساندتهم قوم ممن يلبسون ثياب الإسلام ويحملون قلوب الذئاب على الإسلام والسنة المطهرة ... ويؤسفنا أن الشيخ محمد الغزالى قد حشر نفسه- فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بها السنة وأهلها- فى خصوم السنة، بل صار حامل لواء الحرب عليها، وأصبحت كتبه وأقواله تمثل مدرسة ينهل منها كل حاقد على الإسلام والسنة النبوية المطهرة.

إن الغزالى فى كثير من كتبه وتصريحاته يتململ من السنة ولاسيما أخبار الأحاد على حد زعمه تلمل السليم... ولقد ضمن مؤلفاته الأخيرة حملات شعواء وقذائف خطيرة على كثير من أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة. وحملات شديدة على من يريد التمسك بها... ولعل سائلا يسأل عن السبب الذى دفع الغزالى إلى هذا الموقف من السنة وأهلها؟... فاعتقد أن مرد ذلك إلى قصور إدراكه لمعانيها فيخيل له هذا القصور فى كثير من الأحاديث أنها تعارض القرآن أو تصادم العقل وقد يكون هذا العقل جهميا أو معتزليا أو مستشرقاً أو أوربيا. ثم لا تسمح له نفسه بمراجعة أقوال أهل الاختصاص من أئمة الحديث وجهابذة النقاد¹...

هكذا يرى المؤلف أن الشيخ يشن حملات شعواء على السنة ويوجه إليها قذائف خطيرة وأنه لا يفهمها ويحتاج إلى جهابذة النقاد لتوضيح السنة.... ويستمر المؤلف فى كتابه على هذا النمط من الاتهام... ولذلك سنضرب صفحا عن هذا

¹ د. ربيع بن هادى المدخلى كشف موقف الغزالى من السنة وأهلها ص ٧ وما بعدها ط مكتبة بن القيم المدينة المنورة 0 141 هـ .

وندخل إلى لب الموضوع وهو معالجة الأحاديث التي ذكرها الشيخ في كتاباته عن السنة:

1- يقول الغزالي: وحديث الأحاد يفقد صحته بالشذوذ والعلة القاذحة وإن صح سنده فأبو حنيفة يرى أن من قاتلنا من أفراد الكفار قاتلناه، فإن قتل فإلى حيث ألفت، أما من له عهد وذمة: فقاتله يقتص منه، ومن ثم رفض حديث: "لا يقتل مسلم في كافر" مع صحة سنده لأن المتن معلول بمخالفته للنص القرآني: "النفس بالنفس"¹ وقوله تعالى بعد ذلك "فاحكم بينهم بما أنزل الله"² وقوله: "أفحكم الجاهلية يبغون"³. وعند التأمل نرى أن الفقه الحنفى أدنى إلى العدالة وإلى مواثيق حقوق الإنسان، وإلى احترام النفس البشرية، دون النظر إلى البياض والسواد، أو الحرية والعبودية، أو الكفر والإيمان، ولو قتل فيلسوف كانس طريق قتل فيه "فالنفس بالنفس" قاعدة للتعامل.

وبعد استعراض هذه الفقرة من كلمات الشيخ يعلق المؤلف بقوله: وعلى هذا الكلام مأخذ أذكرها:

المأخذ الأول: ان الغزالي لا يفهم من الشذوذ والعلة ما يفهم علماء الحديث والفقهاء وعلماء الأصول، ويغلب على الظن من تصرفاته انه لا يعرف ذلك ولا يستطيع تطبيقه على منهج علماء الحديث والفقهاء.

المأخذ الثاني: على احتجاجه بقول الله تعالى: "وأن أحكم بينهم بما أنزل الله. لا أدري ما يريد به، ايريد أن الحكم بين أهل الكتاب لايجوز أن يكون إلا بالقرآن، ولا يجوز أن يكون بالسنة لأنها ليس مما أنزل الله؟. فإن كان يريد ذلك- وهو الظاهر- فإنها الكارثة.

المأخذ الثالث: على احتجاجه بقوله تعالى: "أفحكم الجاهلية يبغون". فهل يرى أن مضمون هذا الحديث من أحكام الجاهلية أو يشبهها؟ فإن كان يريد ذلك فانه لأمر عظيم وخطب جسيم .

المأخذ الرابع: على قوله!" وعن التأول نرى أن الفقه الحنفى أقرب إلى العدالة وإلى مواثيق حقوق الإنسان. فهل من العدل أن يساوى بين الكفر والإيمان؟ وبين المؤمنين والكافرين؟

¹ سورة المائدة 45 .

² سورة المائدة 48 .

³ سورة المائدة 0 هـ.

المأخذ الخامس: على قوله: "وأقرب إلى احترام النفس البشرية دون النظر إلى البياض والسواد أو الحرية والعبودية أو الكفر والإيمان".

ويرد المؤلف على الغزالي في المأخذين الرابع والخامس بقوله: أن الكافر لا حرمة له. ويكتسب الذمى والمعاهد حرمة محدودة بسبب دخوله تحت ذمة المسلمين الذين فرض عليهم الإسلام احترام العهود والمواثيق، ولكن ليس معنى حرمة نفسه أن يكون مثل المسلم سواء بسواء ، فإذا مات الذمى فلا نصلى عليه، ولا تدفنه فى مقابر المسلمين ولا نستغفر له ¹.

فى الفقرات السابقة يرد د. المدخلى على خطأ الشيخ وهو فى تصويره كما يلى: إذا تكلم الشيخ عن المذهب الحنفى يقوم الموقف بالرد على الشيخ وليس على المذهب الحنفى نفسه، ثم يلجأ فى الرد على قاعدة النفس بالنفس إلى المميزات والفوارق بين المسلم والكافر وهذه المميزات معترف بها ومعلومة من الدين بالضرورة إلا قاعدة "النفس بالنفس" لا علاقة بهذا ولا يمكن إبطالها- إذا أردنا ذلك - من هذا الطريق، لأنه استدلال عاطفى لا يغنى عن الحق شيئاً، ولا يمكن إبطال هذه القاعدة إلا بالرجوع إلى السنة العملية لسيدنا رسول الله ﷺ وإلى تطبيقات تلك السنة عند الخلفاء الرشدايين ومن تبعهم بإحسان ونهج نهجهم القويم.

٢- قضية "ثم دنا فتدلى"²:

يقول عنها الشيخ الغزالي: (القوى الذى علمه الوحي، ونزل به من- السماء الدني، وحلق به فى جو الأرض، ثم اقترب به من الرسول العربى، هو جبريل بداهة، ولا يحتمل السياق إلا هذا، ومع ذلك فقد جاءت فى الأحاديث المنقولة بطريق الأحاد راوية مستغربة: أن الذى دنا فتدلى هو الله!! والرواية تخالف المقطوع به من الكتاب والسنة ومن هنا لم يكثر بها المحققون، بل جمدت فى مكانها حتى جاء ضعفاء الفقه فاستحيوها دون وعى ... وقد جاء الإمام مسلم- رحمه الله- فعلق على رواية إمامه البخارى- رحمه الله- فبين ما بها من عطب، وذكر أن الخطأ جاء من شريك عن أنس بن مالك الذى ذكر الحديث فزاد ونقص وقدم وأخر.

¹ د . ربيع المدخلى كشف موقف الغزالي ص ١٠٨ ، ١٠٩ ط مكتبة ابن القيم المدينة المنورة 1410 م .

² سورة النجم ٨ .

ان مسلما مضمي على منهج المحدثين، فناقش عمل شريل الراوى عن انس، ثم رفض المتن وحسنا فعل.

إن الخطأ فى تفسير آية النجم- والزعم بأن المعنى- دنا الجبار رب العزة فتدلى كان مثار استنكار السيدة عائشة- رضى الله عنها- فلما سألها مسروق يا أماه هل رأى محمد ربه؟ قالت لقد وقف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهم فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير"¹...

إلخ ثم علقت السيدة عائشة : ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين .

ثم يعلق د. المدخلى على كلام الشيخ بقوله: إن المقصود بهذا الطعن والتشويه هو الإمام البخارى الفقيه البصير والحافظ الناقد الكبير. مع أن المنصف لا يرى فى كلام الشيخ اى تعريض بإمام أئمة الحديث البخارى- يرحمه الله تعالى- ولكن هذه هى طريقة د. المدخلى، وطريقة معظم الذين عارضوا الشيخ، فهم لأول وهله، يحاولون اصطناع تصادم بين الشيخ وبين الرموز الكبيرة للأمة من أجل استعداد القارئ على الشيخ وتسجيل مواقف هلامية يظنها أصحابها مواقف علمية راسخة.

يقول د. المدخلى للشيخ: أسألك هل تعتقد أن أهل الحديث يخالفون فى هذه القضية- قضية نزول أمين الوحي جبريل على النبى- ﷺ - التى تواتر بها القرآن والسنة جميعا وأجمع عليها المسلمون؟.

ثم يسوق د. المدخلى أدلة كثيرة جدا على أن الذى دنا فتدلى هو رب العزة... ونسأله كما سأل ما رأيك فى رفض الإمام مسلم للحديث، وفيما روى عن السيدة عائشة واتهامها للقائل بهذا بالكذب واستشهادها بالقرآن الكريم. هذه هى القضية الجديرة بالمناقشة وليست آراء الشيخ فى هذا الحديث.

ولقد حاول د. المدخلى التحايل على رواية السيدة عائشة ولكنه سلم بها فى النهاية فقال: إن أهل الحديث يعتقدون أن المراد يقول الله تعالى: "ثم دنا فتدلى" هو جبريل عليه السلام أخذا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى روته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود- رضى الله عنهم.

فى الفقرة السابقة يسلم د. المدخلى بما ذهب إليه الشيخ من أن المقصود جبريل عليه السلام ويسوق إجماع أهل الحديث على ذلك والسؤال الآن إذا كان كذلك فعلام النقد والتجريح لآراء الشيخ. تلك قضية تحتاج إلى مراجعة.

المعارضة الثالثة:

يقول المؤلف: سلمان بن فهد العودة: كثير من القراء الذين أتيح لهم الإطلاع على ما كتبه الشيخ الغزالي أو بعضها يتساءلون: إلى أى مدرسة ينتمى الشيخ الغزالي؟ ما هى المنطلقات والأسس الفكرية التى ينطلق منها؟ بهذا الاستهلال بدأ المؤلف كتابه¹ فى معارضة الشيخ الغزالي، وقد ظل المؤلف فى معظم كتابه يحاول البحث عن المدرسة الفكرية التى ينتمى إليها الشيخ الغزالي.

يقول المؤلف: إن من الواضح أنه يحاول ألا يحشر نفسه فى إطار معين ويحاول أن ينتقى من الآراء ما يعتقد أو يرى أنه أحرى بالقبول، إما لقوة الدليل، أو لملائمة الواقع، أو لأى سبب آخر. ومع ذلك فإن من الممكن- من خلال استعراضى ومعايشتى لمعظم ما كتبه الشيخ من كتاب- رسم الإطار العام الذى يتحرك فيه.

وبعد أن أعطى المؤلف لنفسه حق رسم الإطار العام الذى يتحرك فيه الشيخ أو فكر الشيخ شرع فى بيان ذلك فقال: كثيرون من الناس يعتبرون الغزالي من أتباع المدرسة العقلية.

وبدأ المؤلف فى تعريف المدرسة العقلية فقال: إن المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكرى الذى يسعى الى التوفيق بين نصوص الشرع، وبين الحضارة الغربية، والفكر الغربى المعاصر... وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلا جديدا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين..

وتعريف المؤلف للمدرسة العقلية غير دقيق لأن المدرسة العقلية موجودة فى الفكر الإسلامى قبل أن تكون للغرب حضارة، والمفكرون يعتبرون المعتزلة هم أئمة هذه المدرسة، وبعضهم يضيف إليها الفقه الحنفى فى بعض توجهاته، لكن لا أحد يعلم هذا التعريف للمدرسة العقلية قبل المؤلف وكتابه الحوار الهادئ.

ثم يحدد المؤلف سمات المدرسة العقلية كما يلى :-

1 - رد السنة النبوية كليا أو جزئيا.

٢- التوسع فى تفسير القرآن الكريم على ضوء العلميسم الحديث بكافة جوانبه.

¹ سلمان بن فهد العودة حوار هادئ مع محمد الغزالي طر مكتبة نور الاسلام 1413 هـ ص9

٢- التهوين من شأن الإجماع إما برفضه كلياً كما نجد عند أحمد خان الهندي ...
و منهم من يقيد الاجماع كما نرى عند محمد عبده وغيره.

4 - الحرية الواسعة فى الاجتهاد مع غض النظر أيضا عن الأطر العامة التى
يجب أن تضبط هذا الاجتهاد .

5- الميل إلى تضيق نطاق الغيبيات ما أمكن وذلك تأثراً بالتيار المبادئ الذى
يسود الحضارة المعاصرة .

1- تناول الأحكام الشرعية العملية تناولاً يستجيب لضغوط الواقع ومتطلباته
وذلك كقضايا الربا.

ويعتبر المؤلف معالجة قضايا المرأة سمة مضافة لهذه المدرسة فيقول نجد-
مثلاً- قضايا المرأة فى فكر "قاسم أمين" الذى يقال إن "محمد عبده" كان وراء ما
كتب حول تحرير المرأة.

وبعد هذا الاستعراض يقول المؤلف: يبرز بعد ذلك السؤال المهم،
هل يمكن احتساب الشيخ الغزالى ضمن هذه المدرسة كما يقول البعض، أم أن
الأمر ليس كذلك؟

وبعد أن يعرض المؤلف لمعظم كتب الشيخ الغزالى ولنقاط تلاقيه
واختلافه مع المدرسة العقلية ، يعددها فى نقاط كما يلى :

أولاً : نقاط الاختلاف .

1-العقل: العقد عند الشيخ الغزالى له مجال يعمل فيه، وهو المجال الكونى
والأمور الدنيوية البحتة من زراعة وصناعة وطب ونحوها، أما مجال
العلاقات الإنسانية التى تحكم الجنس البشرى فى حياته على الأرض فإن
الكلمة فيها لشرائع السماء وحدها... هذا هو الإطار العام الذى يتحرك فيه
العقل عند الغزالى.

2- التأويل: نظراً لهذا الموقع الذى يحتله العقل عند الشيخ وهو- إجمالاً- أقل
من موقع العقل عند أصحاب المدرسة العقلية- فيما يبدو- فإن الشيخ يظهر
غالباً وكأنه أقل إصراراً فى التأويل من بقية العقلانيين.

3- الأحكام الشرعية العملية: أما فى مجال الأحكام الشرعية العملية، فإن
الشيخ الغزالى أبرز أهمية النصى وضرورة الوقوف عنده...

ثانياً: نقاط التلاقى مع المدرسة العقلية .

1-أحاديث الأحاد: رده الحديث الأحاد إذا خالف إيماءات القرآن الكريم. وكذلك
عدم إثباته العقائد بحديث الأحاد... وهنا يظلم المؤلف الشيخ لأن عدم إثبات

العقائد بحديث الأحاد رأى كثيرين ممن سبقوا الشيخ وليس رأى الشيخ استقلالا.
2- الإجماع: شارك الغزالي المدرسة العقلية فى تقييد الإجماع وتحديد النطاق الذى يعمل فيه على نحو ما رآه الشيخ "محمد عبده" فهو يرى أن الإجماع: (هو اتفاق أهل الحل والعقد وهم العلماء والأمراء والسلاطين والقواد فى منزلتهم على أمر من الأمور المتعلقة بالمصالح العامة، وهى التى لأولى الأمر سلطة فيها ووقوف عليها).

3- الغيبيات : تذكر أن الشيخ يضيق ببعض القضايا الغيبية ويسارع لإنكارها تجاوبا مع ما يسمى فى العصر الماضى بالعلم التجريبي ولذلك يقول فى كتاب "هموم داعية ص 4": وفى عالم يتبع التجربة ويحترم البرهان، تصور الدين كغيبيات مستوردة من عالم الجن وتهاويل مبتوتة الصلة بعالم الشهادة). وفى هذا النص تبرم وضيق مع التوسع فى الغيبيات فى مجال الجن وغيرها. ونقول للمؤلف: الشيخ لا ينكر عالم الجن ولكنه ينكر ابتزاز أموال الناس والشعوذة باسم عالم الجن وهذا موجود فى معظم مؤلفاته..

4- الأحكام العملية التفصيلية: فيما يتعلق بالأحكام العملية التفصيلية...
فقد اعتنق الشيخ عددا غير قليل من الآراء الضعيفة والمرجوحة والشاذة، وآراء أخرى لم يقل بها أحد من قبل. ومن ذلك :

أ- محاربة الحجاب- أعنى تغطية الوجه- وقد شن الشيخ عليه حملة ضارية مستعربة فى أكثر من سبعين موضعا، فى كتبه حتى إن قضية الحجاب وتغطية الوجه من القضايا التى تقلق الشيخ وتقض مضجعه فهو يحشرها بمناسبة وبغير مناسبة.

ب- ومن الآراء الغريبة التى اعتنقها أن للمرأة حقا فى تولى سائر المناصب بما فى ذلك المناصب العليا بما فى ذلك رئاسة الدولة والوزارات والقضاع.

ج- وحين يتحدث عن شهادة المرأة يؤكد أن شهادتها فى الحدود والقصاص مقبولة.

د- وفى هذا الإطار يأتى إصرار الشيخ على ضرورة إخراج المرأة إلى المسجد، وأن هذا هو السنة إذ كيف يجوز أن نفتى بغير ذلك فى عصر تمكنت فيه المرأة من غزو الفضاء ؟ وصارت تنال الدرجات العليا والجوائز الضخمة . ثم يعلق المؤلف على هذه الفقرة بقوله : إنها الهزيمة النفسية أمام ضغوط الحضارة الغربية المنتصرة... والحقيقة أن المؤلف هنا يظلم الشيخ كثيرا ولا يفرق بين النقاب والحجاب- مما يعطي صورة سيئة للقارى عن الشيخ، ثم يعلق على مطالبة الشيخ بخروج المرأة للمسجد بأن هذا من ضغط الحضارة الغربية

المنتصرة، ونقول للمؤلف: إن ضغط الحضارة الغربية هو أن تجلس المرأة في المنزل أمام التلفاز تعبت بجهاز التحكم للبحث عن اللهو الغير برى- أما أن تخرج للمسجد فهذا هو ضغط الحضارة الإسلامية التي انتصرت والمرأة في المسجد وليست خارجه.

5- المسلك الاعتقادي أقول (المؤلف) هنا لقاع جزئى مسع العقلانيين،

مذهب السلف بأنه التفويض فيقول: لقد درسنا فى الأزهر ونحن طلاب مذهبى السلف والخلف فى آيات الصفات، أعنى التفويض والتأويل. فاعتبر الشيخ أن التفويض هو مذهب السلف ويقصد بالتفويض أنه لايتدخل فى تأويل الأسماء والصفات لكنه يجزم بأن ظاهرها غير مراد. ولا شك أن هذا ليس مذهب السلف، بل مذهب السلف إثباتها على حقيقتها دون تأويل، مع القطع بأن ظاهرها لا يلاحظ القارى أن المؤلف يثبت للشيخ آراء لم يقلها فى تعريف مذهب السلف، ثم يبنى بعد ذلك أحكاما عليها وهذا بعيد عن منهج البحث العلمى. لأن عبارة الغزالي التى نسبها إليه المؤلف تقول: يجزم بأن ظاهرها غير مراد. و عبارة المؤلف: مع القطع بأن ظاهرها لا يعنى التشبيه. العبارتان متوازيتان تماما. أين القضية إذن.

6- الوحدة الوطنية: من اطروحات العقلانيين ما يسمى بالوحدة الوطنية، والتقارب بين الأديان السماوية ولذلك فإن "محمد عبده" أسس جمعية سياسية سرية فى بيروت هدفها التقريب بين الأديان الثلاثة (الإسلام واليهودية والنصرانية). وقد انتسب إليها بعض المسلمين وبعض الانجليز وبعض اليهود وينسب المؤلف الشيخ إلى هذا التيار فينقل عن الشيخ قوله: إن اختلاف العرب من مسلمين ومضارى لا يمنع تجمعهم على إعمار الأمة العربية ورد العدوان عنها مهما كانت ديانة المهاجم. ولا أدري لماذا يعترض المؤلف على هذا الكلام الذى يجمع أفراد الأمة فى منظومة واحدة للدفاع عنها ولم نسمع للمؤلف صوتا أثناء حرب الخليج الثانية ودخول القوات من ملل عديدة البلاد الإسلامية للقضاء على حاضرها ومستقبلها بحجة القضاء على جيش العراق العربى المسلم، لا أدري لماذا لم يعترض المؤلف على هذا .

وبعد أن يعدد المؤلف نقاط التلاقى بين الغزالي والمدرسة العقلية يجد فى نفسه الجرأة لتقييم فكر الغزالي ككل. فيقول: و مما يدركه القارئ العادى لكتب الغزالي: أن الرجل يملك أسلوبا خطابيا عاطفيا أكثر مما يملك فكرا علميا وفقهيا مؤهلا متماسكا، ولعل هذا أثر من آثار عمله الطويل فى الوعظ. ولذلك برز التناقض فى آرائه ومواقفه بشكل ملفت يجعل من الصعب على القارئ أن يحدد

ملاح فكر الشيخ بدقة وكأن الذى يبحث عن منهج واضح الشيخ يبحث عن شئ غير موجود¹ .

وعن موقف الشيخ من السنة النبوية يقول المؤلف: الشيخ الغزالي يؤمن بالسنة النبوية، ووجوب الأخذ بها، ويرد على منكريها، لذلك عقد فى كتاب (مستقبل الإسلام) فصلا عنوانه (أهل القرآن وأهل الحديث) رد فيه على من يسمون أنفسهم بالقرآنيين، وهم أولئك الذين يرفضون السنة، ويوجدون فى عدد من البلاد، ومن أشهر البلاد التى توجد فيها هذه الطائفة- الهند- فهم لا يؤمنون إلا بالقرآن وما ورد فيه... ويبين الشيخ الغزالي أنه لاغنى لكل مسلم عن السنة النبوية- هكذا يقول المؤلف- ويستحيل أن يقوم الإنسان حتى بشعائر الإسلام العظام كالصلاة والصيام والحج والزكاة إلا بعد الإيمان بالسنة النبوية لأن القرآن لم يأت بتفاصيل هذه الأشياء.

هذا ما كتبه المؤلف عن علاقة الشيخ محمد الغزالي بالسنة النبوية المطهرة ثم شرع بعد ذلك فى معارضة كتاب- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث- وسوف نختار مواقف معينة من معارضته حتى لا يحدث تكرار بينه وبين المعارضين الآخرين.

يقول المؤلف عن حديث نعى الموتى: يقول الشيخ: ومما يحتاج إلى

الفقه السليم تحريم نعى الموتى، وقد جاءنى بعض الطلاب يقولون انهم قرأوا أحاديث تفيد ذلك، ومن ثم فهم يستنكرون الأذان بأخبار الموتى، قلت إن النعى المكروه ما كان استعراضا للمآثر والمفاخر، وتنويها بالأفراد والأسر، أما ما عدا ذلك فلا شائبة فيه، بل لا بد منه، قالوا ما رواه الترمذى وابن ماجة غير ما تقول فعن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال عندما احتضو:

(إذا أنامت فلا يؤذن على أحد، فإنى أخاف أن يكون نعيًا وإنى سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النعى).²

يقول المؤلف: وهناك أحاديث تجعل النصر جائزا منها: عن أبى هريرة (أن النبى ﷺ نعى النجاشى إلى أصحابه فى اليوم الذى مات فيه فخرج بهم إلى المصلى وكبر عليه أربعاً)³ ... وهذا صريح فى جواز النعى لأن النبى صلى الله عليه وسلم فعله، ولا مانع من حمل كل نوع من الأحاديث على حال. والمؤلف

¹ سلمان بن فهد العودة حوار هادى مع محمد الغزالي صى ١١ وما بعدها

² الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى كراهية النقض ج ٢ .

³ الحديث متفق عليه .

هنا يلتقى مع الشيخ تماماً لأن الشيخ يرى الجواز فى حالة عدم المفاخرة ويرى المنع لهذه العلة ذاتها ولكن المؤلف يقول: بعدم جواز رد الحديث طالما أن له محملاً، ويعترض على الشيخ فى هذه النقطة بالذات . وعنده حق فى ذلك .

الحديث الثانى: إجبار البكر

يقول المؤلف: قال الغزالى، اتفق المحدثون على أن رسول الله ﷺ قال: (لا تنكح الأيام حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن)¹، ومع هذا فإن الشافعية والحنابلة أجازوا أن يجبر الأب ابنته البالغة على الزواج بمن تكره... ولا نرى وجهة النظر هذه إلا إنسياقاً مع تقاليد إهانة المرأة وتحقير شخصيتها.

ويقول المؤلف: الصحيح فى مسألة البكر ما قرره ابن القيم وما قرره الشيخ- يقصد الغزالى- هنا أنه لا يجوز ولا يحق أن تزوج البكر بغير رضاها، يقول ابن القيم: (وهذا هو القول الذى ندين الله به ولا نعتقد سواه وهو الموافق لحكم رسول الله ﷺ وأمره ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته

وبعد أن ينتصر المؤلفا لرأى الشيخ يقول عن رأى الشافعى: أمسا قول الشافعى- الذى نسبه إليه الشيخ- فصحيح فى الأم " أن للأب أن يزوج ابنته بغير رضاها. وأطال فى ذلك، وهو اجتهد يخطئ ويصيب على كل حل.

إذن فالمؤلف يتفق مع الشيخ فيما ذهب إليه بل يأتى بالأدلة التى تؤيد ذلك، ففيم الاعتراض، ربما من أجل الاعتراض.

الحديث الثالث: "أيا امرأة أنكحت نفسها فنكاحها باطل باطل باطل"² يعترض الشيخ على هذا الحديث لأن القرآن الكريم أسند عقد الزواج إلى المرأة فقال: (حتى تنكح زوجاً غيره)³ فعقدها المباشر صحيح. وهذا هو رأى الأحناف والشيخ ينقل رأى الأحناف وعدم أخذهم بالحديث ولكن المؤلف يصر على أن الشيخ يرد الحديث ويبدأ فى المناقشة كما يلى:

١- معنى النكاح فى الآية التى استدلو بها فى قوله تعالى: (حتى تنكح زوجاً غيره)، ما المقصود بالنكاح هنا، هل هو العقد أو الجماع.

المقصود الجماع، بدليل قوله ﷺ: (أتريدون أن ترجعوا إلى رفاعة؟ حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك). فباء قوله¹ حتى تنكح أى حتى يجامعها زوج آخر

¹ الحديث : متفق عليه وأخرجه البخارى فى كتاب النكاح باب لا ينكح الأب .

² الإمام الشافعى الأم ج 5 ص 18

³ الحديث أخرجه الترمذى و قال حديث حسن . كتاب النكاح ج 6 ص 166.

فليست في مجال العقد فلاحجة فيها، ولذلك لو عقد عليها رجل ثم طلقها قبل أن يجامعها لم تحل للأول.

٢- أن أبا حنيفة فعلا يجيز عقد النكاح بدون ولي، ولكن خالفه في ذلك بعض تلاميذه كأبي يوسف ومحمد وغيرهما. فلهم في ذلك أقوال أخرى مختلفة .
ينقل المؤلف هنا عدم إجماع الأحناف على جواز تزويج المرأة نفسها. والحق أن الأحناف يجمعون على هذا ومن أقوالهم: وأما الاستدلال فهو أنها لما بلغت عن عقل وحرية فقد صارت ولية نفسها في النكاح فلا تبقى موليا عليها كالصبي. ومنه أيضا: وأما ولاية الحتم والإيجاب والاستبداد فشرط ثبوتها على أصل أصحابنا كون المولى عليه صغيرا أو صغيرة أو مجنونا كبيرا أو مجنونا كبيرة، سواء كانت الصغيرة بكرا أو ثيبا. فلا تثبت هذه الولاية على البالغ العاقل¹.

مما تقدم تثبت صحة رأى الشيخ فيما ذهب إليه من إجماع الأحناف على جواز تزويج المرأة البالغة العاقلة نفسها. . وقد جانب الصواب المؤلف فيما ذهب إليه من عدم وجود إجماع على ذلك بين الأحناف. وبذلك يكون الشيخ قد نقل رأى الأحناف. أى أنه رجح رأيا في مسألة فقهية وهذا متاح للجميع وليس موقفا على الشيخ. المهم أنه لم يبتدع رأيا في هذه المسألة.

الحديث الرابع: حديث أم حميد لفظه (صلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك... إلخ)² يقول الشيخ عن هذا الحديث: ثم شاع حديث آخر يأبى على النساء حضور الجماعات كلها، بل طلب من المرأة إذا أرادت الصلاة في بيتها أن تختار المكان الموحش المعزول فصلاتها في السرداب أفضل من صلاتها في الغرفة، وصلاتها في الظلمة أفضل من صلاتها في الضوء، وراوى هذا الحديث يطوح وراء ظهره بالسنة العملية المتواترة عن صاحب الرسالة.

ويتفق المؤلف مع الشيخ فيقول: الواقع أن ما رجحه الشيخ: من أن خروج النساء إلى العيد مستحب ومشروع في رأيه أنه هو الراجح لأن الحديث صريح في

¹ أبو بكر الكاساني بدائع الصنائع ج ٢ ص ٣٦١ طر دار الفكر ١٩٩٦ م .

² أخرجه ابن خزيمة. وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب التشديد فسبى ذلك (خروج النساء إلى المساجد) ج 1 ص 3 ط دار الريان للتراث.

ذلك، لكن أن تخرج المرأة بعيدة عن التجميل والتطيب والإثارة فهذا أمر لابد منه والأحاديث صريحة في ذلك.

والقيود التي يضعها المؤلف على خروج المرأة طلبها الشيخ نفسه وقد قدمنا ذلك في باب المرأة. ولكن المؤلف يتفق مع الشيخ تماما وهذا هو المهم. وإن كان قد حاول الدفاع عن ابن خزيمة وقال: إنه لم يطوح بالسنة العملية. والدفاع عن كل العلماء وإجلالهم أمر مطلوب ومرغوب.

الحديث الخامس: حديث خباب في البناء ينقل المؤلف عن الشيخ قوله: استغربت مما رواه الشيخان عن خباب بن الأرت قال: (إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا لم تنقصهم الدنيا وأنا أصبنا ما لا نجد له موصعا إلا التراب). ثم يقول خباب: "إن المسلم يؤجر في كل شيء أين فقهه إلا في شيء يجعله في هذا التراب". يقول الشيخ وكلام خباب رضى الله عنه مسحة تشاؤم غلبت عليه لمرضه الذي اكتوى منه ولا يجوز أن نعد البناء رذيلة فقد يكون فريضة.

ولم ينكر المؤلف على الشيخ فهمه لهذا الحديث ولكنه اعترض على قوله عن مرض خباب رضى الله عنه: أن هذا القول عليه مساحة تشاؤم لمرضه الذي اكتوى منه... ويقول المؤلف يتطلب الأدب مع هذا الجيل س. جيل الصحابة – أن لا يرمى مثل خباب بمثل هذا.¹

والمؤلف يبني موقفه هذا على ظن منه أن الشيخ يسخر من خباب بن الأرت وحاشاه أن يفعل ذلك، ولو قصد ذلك لكان مخطئا لا محالة، والذي يبرى ساحة الشيخ هو رواية الحديث بتمامه: (عن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على خباب نعوذه وقد اكتوى سبع كيات فقال رضى الله عنه: (إن أصحابنا الذين سلفوا ومضوا. مضوا ولم تنقصهم الدنيا وأنا أصبنا ما لا نجد له موصعا إلا التراب ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به)² يتضح من هذا الحديث تصريح الراوى بمرض خباب رضى الله تعالى عنه ويتضح كذلك الحالة النفسية لمريضهم أن يدعو على نفسه بالموت لقسوة المرض ولكنه امتنع تلبية لأمر حبيبه ﷺ. إذن فالشيخ كان يحكى واقعا يبرز به معنى معين من غير أن بيتشافى أو يسخر كما ظن المؤلف وإن كان المؤلف سليم القصد في ظنه فهي غير

¹ حوار هادئ ص 106 و ما بعد ها.

² الحديث أخرجه الترمذى في كتاب الجنائز باب ما جاء فى النهى عن التمنى للموت ج ٢ ص ٢٩٠ قال أبو عيسى حديث خباب حسن صحيح.

محمودة على سيرة أعلام الهدى من الصحابة الكرام الأطهار. حتى لو كان الشيخ بريئاً في الوقت نفسه وهذا ما نعتقده ولا تسمح معانى الكلمات إلا به. المعارضة الرابعة:

المعارضة الرابعة جاءت تحت عنوان- القول الكريم الغالى فى الدفاع عن الداعية الغزالي- ومن يقرأ العنوان يتصور أنها موافقة وليست معارضة إلا أن من يقرأ الكتاب يشعر أنها معارضة ولكنها تميل إلى التهذيب فى العرض والتناول أكثر من المعارضات السابقة، وربما تأثر صاحبها ببركية المكان الذى يعمل فيه فهو مدرس واعظ بالمسجد النبوى الشريف ولذلك يبدأ كتابه بقوله عن الشيخ: إنه أحد دعاة الإسلام فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين خاطب وحاضر وحاور وكتب وألف وراسل دعوة إلى الإسلام ونصرة له ولأهله، ما أصبح به علماً من أعلام الإسلام، فى ديار الإسلام وخارجها، إنه المصرى مولداً ومنشأً وتعلماً وتخرجاً ، جاب أقطار العالم شرقاً وغرباً أقام ردحا من الزمن بغرب جزيرة العرب وبشرقها. وبالجزائر ردحا آخر وأحسبه الآن بديار أهله، ومربع صباه، ومسرح دعوته ودعواه أحسن عاقبته وعاقبتى معه- أمين.¹

ثم يقول المؤلف أن ما أخذ على الداعية الغزالي مما جاء فى كتابه الأخير (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث). كان معذوراً فيه، ولذا رفعت القلم لأدافع عنه ما هو معذور فيه. لا يؤاخذ بين أهل العلم به. نسيده السلفيون اليوم إلى الجبر وهم براء منه براعته هو منسيه أو أشد .

وبعد أن يتحدث المؤلف عن الجبر، معناه ويدلل بالقران الكريم والسنة الشريفة يبدأ فى تناول موضوعات كتاب (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) موضوعاً موضوعاً، وسنعرض هنا لبعض الموضوعات خشية التكرار مع

¹ هو الشيخ جابر أبو بكر الجزائري . ولد بالجزائر عام 1921 م فى أسرة صالحة. نشأ يتيماً فى بيئة صحراوية يغلب عليها الجد ثم أقبل على طلب العلم وله من المؤلفات : منهاج المسلم، والدولة فى الإسلام، وعقيدة المؤمن، ونصيحتي إلى كل أخ شيعي وغيرها كثير. انظر ترجمته فى: رجال ومفكرون للشيخ محمد المجذوب ص 27 ط دار الاعتصام . (6) أبو بكر الجزائري الدفاع عن الداعية الغزالي خمس ٢ ط مكتبة أم القرى 1410هـ

المعارضات السابقة ولكنه سيتضح أسلوب المؤلف ومنهاجه من خلال هذا العرض بإذن الله تعالى.

1- تلبس الجنى بالأنسى:

يقول المؤلف: لقد أنكر الشيخ الغزالي تلبس الجنى الجنسى بالإنسى تحت عنوان (المس الشيطاني حقيقته وعلاجه). وهو معذور في إنكاره إلا أن ما استشهد به على إنكاره يتعلق بالشيطان الرجيم الذي هو إبليس وذريته إن إبليس وذريته لاسلطان لهم على الإنسان بحيث يلزمونه بارتكاب المعاصي قهرا أو جبرا، دون إرادته واختياره.

وخلاصة القول أن الشيخ الغزالي لم يذكر شاهدا واحدا على عدم دخول الجنى في جسم الآدمي، وإنما تكلم على عدم تأثير الشيطان على الإنسان لانعدام سلطانه على الإنسان وهو حق إذ لا يملك الشيطان إلا التزيين للقبائح، والوسوسة لحمل الإنسان باختياره عليها... هذا ولكي تتضح الحقيقة ويعلم المسلمون خطأ من ينكر تلبس الجنى بالأنسى نذكر مبيينين: أن العوالم أربعة، وهى عالم الملائكة عليهم السلام، وعالم الشياطين وهم إبليس وذريته، وعالم الجن وعالم الإنس...

ويحكم أن الأنسى لا يرى الجنى، فإن الأنسى لا يوذى الجنى إلا بطريق الخطأ كان يبول عليه ماء حارا، أو يرمى عليه نجاسة، أو يجلس عليه، أو استدل المؤلف على قوله هذا بأن الأنسى لا يرى الجنى بقوله تعالى: (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)¹. وهذه الآية لاتعنى الجن بمفهوم المؤلف، بل تعنى إبليس وذريته. ويقول المؤلف... أو يصب عليه مساء حارا والماء الحار لا يضر الجنى لأنه مخلوق من نار أصلا.

والمؤلف يفرق بين إبليس وذريته وبين الجان وهو محق في ذلك إلا أنه يرى أن الشياطين مخلوقة من مادة إبليس وهى كمادة مستقلة تشكل عالما قبل المعصية أو أصبحت كذلك بعد المعصية وهو رأى غريب لم أقف له على سابقة.

ويصل المؤلف إلى نتيجة وهى أن الشياطين توسوس وأن الجان- خاصة العصاة منهم- يؤذون الإنسان ويقول: إن من المكابرة أو العناد أن تقول بخلاف ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة بعد ثبوت ذلك بالسنة الصحيحة ومشاهدة وإقرار أئمة الأمة وصلحائها وأفاضلها في كل زمان ومكان من عهد نزول الوحي إلى

¹ سورة الأعراف 27

اليوم... ومن قرأ سورتهم فى القرآن (سورة الجن) فإنه لا يتردد فى أنهم يؤذون ويظلمون شأنهم شأن الإنس.

يقول المؤلف: هل أنكر الغزالي مس الجنى للإنسى؟ نعم أنكره فى رسائله ومنها كتابه الأخير "السنة النبوية" وهو معذور فى إنكاره، وهذا بيان عذره:

1 - وجود مشعوذين ودجالين يدعون أنهم يخرجون الجن ويتحكمون فيهم و هم لا يقدرّون على شئ.

2- اختلاط الشيخ بالعلمانيين وهم يرفضون ذلك.

إن إنكار الشيخ الأمر مجمع عليه... لا يصح الالتفات إليه بحال من الأحوال والغزالي معذور وقد قدمنا بيان عذر¹.

وقد وصل المؤلف إلى هذه النتيجة بعد أن ساق كثيرا من الأدلة الصحيحة وأنا متفق معه فى أن الجنى- الفاسق- يؤذى الإنسى وهذا ثابت بالسنة، أما مسألة خلق الشياطين من مادة إبليس وخلق الجن من النار فلا أتفق معه فيها، والأقرب إلى الصواب أن إبليس (كان من الجن ففسق عن أمر وأصبح هو وذريته عصاه يوسوسون للإنسان بالشر والمعصية. وأما باقى أفراد الجن فهم على طبيعتهم التى خلقوا عليها- بعيدا عن إبليس وذريته- منهم المطيع ومنهم العاصى، منهم المسلم ومنهم الفاسق.

المعارضة الخامسة:

تنهج المعارضة الخامسة نهج النقد لكتاب "السنة النبوية" للشيخ إلا أن أسلوبها يتسم بالهجوم من أول سطر، وليست كالمعارضة السابقة التى كتبها الشيخ أبوبكر الجزائري، ولذلك سأقتصر منها على جانب فنى يتعلق بخبر الأحاد يقول المؤلف عن الشيخ: نصب الشباك وجميع الجند، وأغار على علماء المسلمين باسم الدفاع عن الدين، وكل ذلك لاستقصاء خبر الأحاد من دين رب العالمين... والعجيب أنه خالفه فى كتابه فى عشرات المواضع... ورده لمحض الهوى، وليوافق عادات وتقاليد أهل الكفر والعصيان شرقا وغربا.

هل نعمل بخبر الأحاد أم لا؟

قال تعالى: (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملا يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين)² فى هذه الآية قبل موسى خبر الناصح ، وزكى الله هذا العمل من موسى عليه السلام ، فلو لم يكن خبر الواحد

¹ المرجع السابق صى ٢١ وما بعدها

² سورة القصص 20

يجوز العمل به ما زكى الله هذا العمل. قال تعالى: (فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا.....)¹ فى هذه الآية قبل موسى عليه السلام خبر المرأة.

وهناك من السنة المطهرة أدلة لا يحصيها إلا البارى عز وجل: عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: (بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم أت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة)². وهنا صحابة رسول الله ﷺ قبلوا خبرا عظيما من واحد، واستداروا إلى الكعبة ما قالوا له: لا بد أن تأتينا بكافة حتى نصدقك. كلا بل قالوا بلسان الحال: سمعنا وأطعنا.

أرسل رسول الله ﷺ معاذا إلى الجند وجهات مسن اليمن وأبا موسى إلى زبيد ، وأبا بكر على الموسم، وأبا عبيدة إلى

نجران ، وعليا إلى اليمن ... وما قال أهل هذه البلدان أذهبوا فسأتوا بكافة لنصدقكم فيما تنقلونه عن الرسول ﷺ.³

وبهذا تنتهى مناقشة المؤلف لخبر الواحد، أو دفاعه عن حديث الأحاد فى مواجهة الشيخ.

غاب عن المؤلف أو تعدد ذلك، أن يذكر للقارى أن العلماء فى الماضى والحاضر اختلفوا فى حديث الأحاد- خاصة- إذا تعلق بالعقائد فمنهم من يرى أنه لا يعمل به فى مجال العقيدة، ومن يرى وجوب العمل به، والمسألة خلافية، وإذا انحاز الشيخ لرأى بعض العلماء فليس معنى ذلك أنه يناصب السنة المطهرة العداء، وقد قدمنا فى الفصل الأول من هذا الباب أنه- أى الشيخ- عاشق للسنة الشريفة وظل فى خدمتها والدفاع عنها حتى لقى ربه سبحانه وتعالى .

المعارضة السادسة:

تأتى المعارضة السادسة مركزة على نقطة واحدة فى موضوع عام وهو تحريم الات الطرب، وصاحب هذه المعارضة هو العلامة محمد ناصر الدين الألبانى وقد كان صديقا للشيخ الغزالى، وخرج له أحاديث كتاب فقه السيرة ولم ير فى منهجه خطأ يجعله يعتذر عن تخريج هذه الأحاديث فى هذا الكتاب إلا أنه

¹ سورة القصص 25

² الحديث متفق عليه .

³ مصطفى سلامة براعة أهل الفقه وأهل الحديث من أوهم من الغزالى ص. 1 هـ ، ٢ هـ ط مكتبة ابن حجر هـ 1410 هـ.

كغيره- بعد صدور كتاب السنة النبوية- هب للهجوم على الشيخ. وزعم أنه لا يحترم علماء الحديث، وقال في كتابه تحريم آلات الطرب: داعية إسلامي لا يدرى ما الحديث وما الفقه ، ولا يدرى أصولهما ولا المصادر التي يجب الرجوع إليها، أو يدرى ولا يتمكن من ذلك لسبب أو الآخر كما قيل:

وإذا لم تر القمر بازغا فسلم لأناس رؤه بالأبصار

فلا أنت منهم ولا أنت سلمت لهم، بل نصبت نفسك للرد عليهم مع الاستهزاء بأقوالهم، والسخرية منهم، كأنك لم تعلم، أو علمت ولم تؤمن بمثل قوله ﷺ (الكبر بطر الحق وغمطي الناس)¹. فأخشى ما أخشى عليه رسول الله ﷺ وإلا كنت من الهالكين ... هذه نصيحة أوجهها لك- والدين النصيحة- وأنت على حافة قبرك مثلي.²

من كلمات العلامة الألباني يتضح أن مشكلة الشيخ الحقيقة هي مشكلة نقد علماء الحديث وتوجيه اللوم لهم. أما مشكلة الأحاديث التي نقدها الشيخ فقد سبقه غيرها إليها. غير أن نقده لعلماء الحديث وتهكمه عليهم هو الذي أغضبهم عليه، لدرجة أن صديقا كريما له مثل الشيخ الألباني- والذي تعاون معه في تخريج أحاديث كتاب (فقه السيرة) ناصبه العداوة وحاول أن ينتقم للجميع منه، لأنه شعر أن الشيخ قد أهان علماء الحديث جميعا، واتهمه بتضعيف بعض الأحاديث لعلل في متنها أو سندها، وهذا أمر مسلم به لدى علماء الحديث والشيخ الألباني نفسه ضعف أحاديث كثيرة وكون من ذلك سلسلة كبيرة سماها "الضعيفة"، وصحح بعض الأحاديث وجمعها في سلسلة سماها "الصحيحة" ولم يقل أحد أنه- أي الألباني- ضد السنة، أو أنه يعمل على هدم الدين، بل احتفظ له الجميع بالتقدير الواجب، والحب الزائد. لكن مشكلة الشيخ أنه تناول علماء الحديث بما لا يليق بهم فالبهم عليه فكرهوه، وتواصلوا به، وجعل بعضهم من قذفه وسببه علما ومنهجا، ولو كان- يرحمه الله تعالى- قد رضا أفكاره في الحديث مجردة عن الهجوم على علماء الحديث لمكان في ذلك خيرا له ولتراثه الدعوى في آن واحد.

في الفصل الأول في كتاب الشيخ الألباني- في ذكر الأحاديث الصحيحة في تحريم الغناء وآلات الطرب- يقول: أعلم- أخى المسلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا، فقد جاوز عددها العشرة، عند ابن حزم وابن القيم، فهي من

¹ الألباني الصحيحة 134، 1626 ط مكتبة المعارف الرياضى .

² الألباني تحريم آلات الطرب ص. ٣١ ط مكتبة الدليل ١٩٩٧ ط ٢ .

الكثرة أن مجموعها يدل الواقع عليها على أن مضمونها الذى اتفقت عليه متونها- وهو التحريم- ثابت عنه ﷺ يقينا، حتى ولو فرض أن إسناد كل فرد منها معلول كما زعم ابن حزم، وذلك بحكم القاعدة المتفق عليها عند المحدثين والعلماء: أن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة الطرق، كما هو مفصل فى علم مصطلح الحديث... وإذا نظر المنصف إلى مجموع هذه الطرق علم أن للحديث أصلا، وأنه ليس مما يطرح، وقد حسنوا أحاديث كثيرة باعتبار طرق لها دون هذه¹.

فى هذه الفقرة يعترف الشيخ الألبانى بصحة ما ذهب إليه ابن حزم، ومتابعة الشيخ الغزالى له فى ضعف الأحاديث الدالة على تحريم الغناء، يقول الشيخ الألبانى: حتى لو فرض أن إسناد كل فرد منها معلول كما زعم ابن حزم- وهو يسلم ضمنا بعله أفراد هذه الأحاديث، ثم بعد ذلك يطرح تصورا: أن كثرة الطرق تقوى الحديث الضعيف، ونحن لا نستطيع الاعتراض على ذلك، لأن الألبانى من علماء الحديث الثقات، ولكن بوسعنا أن نسأل سؤالا: إذا كانت كثرة الطرق تقوى الحديث الضعيف، فهل تجعله صحيحا؟ إذا كانت الإجابة عند أهل علم الحديث بنعم يكون ابن حزم والغزالى مخطئين، وإذا كانت الإجابة: أنها تحسنه فقط فعندها يعذر ابن حزم ومن تبعه على رأيه فى إباحة الغناء، والأمر متروك لعلماء الحديث لحسم هذا الأمر.

فى الصفحات السابقة من هذا الكتاب (تحريم آلات الطرب) يحرم المؤلف الغناء والطرب، ثم يعود فى الفصل السابع من الكتاب نفسه فيقول: ما حكم الغناء بدون آلة؟ الجواب عليه أقول: لا يصح إطلاقا القول بتحريمه، لأنه لا دليل على هذا الإطلاق، كما لا يصح إطلاقا القول بإباحته، كما يفعل بعض الصوفيين وغيرهم من أهل الأهواء قديما وحديثا، لأن الغناء يكون عادة بالشعر، وليس هو بالمحرم إطلاقا كيف، والنبى ﷺ يقول: "إن من الشعر لحكمة"². بل إنه كان يتنمّل شيئا منه أحيانا كمثل شعر عبد الله بن رواحه رضى الله عنه: (ويأتيك بالأخبار من لم تزود). والشعر تلام: "حسنه حسن وقبيحه قبيح"³.

¹ تحريم آلات الطرب ص: 36

الحديث رواه البخارى فى كتاب الادب مايجوز من الشعر ط ١٠ ص ٥٥٣ .

³ تحريم آلات الطرب ص ١٢٧ .

هذا هو رأى الإمام الألبانى فى الغناء مع ابن حسيزم وابن القيم، والشيخ محمد الغزالى، ولا أدرى لماذا أخذ منهم هذا الموقف الشديد فى بداية الكتاب، ووصفهم بأوصاف لا يستحقونها، ولا تليق به هو، وفى النهاية يتفق معهم تماما فى إباحة الغناء، وعدم تحريمه، وكان شرطه الوحيد أن يكون الغناء بدون آلات، وهم أيضا لا يشترطون أن يكون الغناء بالآلات، بل خيم تكلموا عن الغناء كغناء يدور حكمه بين الحل والحرمة.

المعارضة السابعة :

والمعارضة السابعة أقرب إلى الموافقة. ولكن هناك بعض النقد لبعض كلمات الشيخ ولذلك أثبتها ضمن المعارضات، وهى لعالم جليل عم علمه أقطار العالم الإسلامى وهو الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى وجاءت المعارضة فى كتابه: "الشيخ الغزالى كما عرفته".

فى المبحث السابع وتحت عنوان "الغزالى والسنة النبوية" يقول المؤلف: القرآن الكريم هو المصدر الأول لفكر الشيخ الغزالى الدعوى والإصلاحى، والسنة هى المصدر الثانى، فهو يعتبر السنة ضرورة لفهم القرآن، فهى الشرح النظرى، والتطبيق العملى له، وهو يحتفل احتفالا خاصة بالسيرة، باعتبارها الجانب العملى من السنة....

ولهذا وجدنا فى كتبه حشدا كبيرا من الأحاديث الشريفة يسوقها مع آيات القرآن العزيز لتكون نورا على نور، فيبين بها حقائق الإسلام، ويسرد بها على أباطيل خصومه، ويصور بها عدله ورحمته..

ومن تأمل فى كتابه " فقه السيرة " ووقفاته العميقة مع الأحداث النبوية طوال الدعوة والمصابرة ، ومرحلة الجهاد والمواجهة ... وجد فيه عقل الباحث المدقق ، يتعانق مع قلب المؤمن المحب ، وروح الداعية المطلق الذى يحيا فى السيرة بل تحيا فيه السيرة ..

أما كتابة الآخر "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" الذى أهاج عليه خصومات الكثيرين واستثار أقلاما عدة لترد عليه بقسوة وحدة، فمنطلق فيه الدفاع عن السنة أمام فريق "العقلانيين". ولو أدى ذلك إلى رد بعض الأحاديث الثابتة فى الصحاح، إذا ناقضت منطق العقل، أو منطق العلم، أو منطق الدين نفسه حسبما يراه، وهذا المبدأ فقرر لدى علماء

الحديث أنفسهم، ولكن الخلاف فى التطبيق، وربما أسرف الشيخ فى رد بعض الأحاديث الثابتة، وكان يمكن تأويلها، وحملها على معنى مقبول. وربما قسا كذلك على بعض الفئات، ووصفهم ببعض العبارات الخشنة والمثير. وربما

استعجل الحكم فى بعض مسائل كانت تحتاج إلى بحث أدق وإلى تحقيق أوفى .. ولكن الكتاب ليس كما تصوره الحملة عليه، كأنه كتاب ضد السنة، ولا كما تصور مؤلفه وكأنه ينكر السنة المشرف، وهاجم خصومها بعنف.

وإنكار حديث أو حديثين أو ثلاثة، وإن ثبتت فى الصحاح، لايعنى بحال إنكار السنة بوصفها أصلاً ثابتاً، ومصدراً تالياً للقرآن، ولو صح ذلك لأخرجنا أئمة كبارا مثل أبى حنيفة ومالك من زمرة أهل السنة، لردهما أحاديث صحاحا فى العبارات أو المعاملات لم تثبت عندهما، بل لو صح ذلك لا تهما أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لأنها ردت على بعض الصحابة أحاديث رويها وسمعوها بأذانهم من رسول الله ﷺ لأنها- فى رأيها- مخالفة لما جاء فى القرآن فاتهمت بأنهم لم يحسنوا أن يسمعوا، أو يحسنوا أن يحفظوا. وقد خالف الصديقة بنت الصديق فى فهمها، وفى موقفها من تلك الأحاديث كما خالف مالكا وأبا حنيفة فى موقفهما كذلك، وقد نسرد بالحجة على ماذهبوا إليه.. ولكن مسلما ذا مسكة من عقل ودين، لا يستطيع أن يتهم عائشة، ولا أن يتهم أبا حنيفة أو مالكا بأنه ضد السنة أو مسارق من الدين . .

و هذا هو موقفنا من الغزالي، قد تخالفه فى بعض آرائه فى الكتاب، ما قل منها أو كثر، وقد تخطئه فيها، فليس هو بمعصوم، ولكننا لا نتهمه فى دينه، ولا فى علمه، ولا نهيل التراب على تاريخه الحافل، وكفاحه المتواصل فى نصرة الإسلام.

وعن السبب الذى أدى إلى هذه الخصومات بقول المؤلف: الواقع أن مثبتات فى مختلف كتبه، ضم شتاته فى هذا الكتاب، مع بعض أفكار جديدة وكلمات شديدة، ولهذا أثار ما أثار من ضجيج¹.

فى الفقرات السابقة أثبت المؤلف حب الشيخ للسنة وعشقه لها، وبين أن منهجه فى تناول الأحاديث قد سبقه إليه أئمة كبار، وأن أفكار الشيخ نفسها قد سبق وسبق وسجلها فى كتبه، ثم بين بعد ذلك أن سبب الثورة على الشيخ كانت بسبب الكلمات الشديدة التى وجهها لطماع الحديث، وهو ما أشرت إليه من قبل، حين قلت: إن هذه الخصومة مع الشيخ ليست بسبب أفكار الشيخ فى الأحاديث لأنه مسبوق فى معظمها وإنما بسبب هجومه على أهل الحديث الشريف. وعن المشكل الثانية التى أثارها خصوم الشيخ بالنسبة للسنة النبوية وهى مشكلة "حديث الأحاد" يقول المؤلف: وإذا تعرضنا لما أخذ على الشيخ

¹ د. يوسف القرضاوى الشيخ الغزالي كما عرفته صى ١٢٢، ١٢٣ ط دار الوفاء 1997م

فى جانب السنة نجده يتلخص فى أمرين أساسيين أولهما¹: أنه لا يعتمد أحاديث الأحاد فى إثبات العقائد .

و هذا كما بيناه فى بعضى كتبنا² مؤسس على أمرين :

1- أن العقائد لابد أن تبنى على اليقين لا على الظن .

وأن أحاديث الأحاد- وإن صحت- لا تفيد اليقين بل لا يفيد اليقين إلا المتواتر .
وأقوال جمهور علماء الأصول: أصول الدين وأصول الفقه، وعلماء الحديث أنفسهم توليد لله، واستثنوا ما احتفت به القرن كان يكون فى الصحيحين وتلقته الأمه بالقبول، وسلم من المعارض، ونازع فى ذلك بعض المحدثين والحنابلة .
وهذا التوجه فى التعامل مع أحاديث الأحاد فى العقائد هو الشائع لدى المدارس والجامعات الدينية الشهيرة فى العالم الإسلامى، التى تتبع منهج الأشاعرة والماتريدية فى أصول الدين، مثل الأزهر والزيتونة والقرويين وديوبند و ما تفرع منها ...

والقول بأن حديث الأحاد يفيد اليقين- كما يفيد المتواتر- ضرب من المجازفة المرفوضة عقلا ونقلا ..

وتحت عنوان محققو الحنابلة فى صف الغزالى يقول المؤلف: وقد وجدت الحنابلة مختلفين فى هذه القضية، نظرا لما روى عن الإمام أحمد بشأنها، وتبين لى أن معظم الأصوليين المحققين فى المذهب يميلون إلى أن حديث الأحاد أو خبر الواحد لا يفيد اليقين، وبتعبير آخر، لا يقتضى العلم ذكر ذلك القاضي أبو يعلى فى (العدة) وأبو الخطاب فى التمهيد، وابن قدامة فى الروضة" وابن تيمية فى (المسودة)³

وقد برأ المؤلف ساحة الشيخ من اتهامه بتعمد رفض أحاديث الأحاد، وبين أنها مقبولة عند الشيخ فى غير العقائد وهذا هو مذهب جمهور عريض من العلماء، ومدارس وجامعات إسلامية عريقة مثل الأزهر والزيتونة والقرويين وغيرهم وما تفرغ عنهم.

¹ الأمر الثانى هو رد بعض "الأحاديث الصحيحة وقد سبقت الإشارة إليه .

² مثل كتاب المرجعية العليا فى الإسلام للقرآن والسنة نشر مكتبة وهبة .

³ الشيخ الغزالى كما عرفته صى ١٢٣ وما بعدها .

- تعقيب أول :

تبين لنا من استعراض موقف الشيخ من السنة الشريفة، أن الشيخ محب وناصر للسنة الشريفة، بعكس ما يعتقد البعض، حتى في الأحاديث التي ردها، كان يفعل ذلك ليقول لأعداء السنة: إنكم تعترضون على حديثين أو ثلاثة، وهي أحاديث ضعيفة السند، أو في متنها علة قاذحة، وعشرات الآلاف من الأحاديث صحيحة ومباركة ومعبرة عن صاحب السنة عليه الصلاة والسلام، وعن الخط العام للإسلام.

وكما يقول د . يوسف القرضاوى: وإنكار حديث أو حديثين أو ثلاثة- وإن ثبتت في الصحاح- لا يعنى بحال إنكار السنة بوصفها أصلاً ثانياً، ومصدراً تالياً للقرآن، ولو صح ذلك لأخرجنا أئمة كباراً مثل أبى حنيفة ومالك من زمرة أهل السنة، لردهما أحاديث صحاحا فسى العبادات أو المعاملات لم تثبت عندهما، بل لو صح ذلك لاتهمنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، لأنها ردت على بعض الصحابة أحاديث رويها وسمعوها بأذانهم من النبي ﷺ لأنها- فى رأيها- مخالفة لما جاء فى القرآن فاتهمتهم بأنهم لم يحسنوا أن يسمعوها أو يحسنوا أن يحفظوا... ولكن مسلماً ذا مسكة من عقل أو دين لا يستطيع أن يتهم عائشة، ولا أن يتهم أباً حنيفة أو مالكا بأنه ضد السنة أو مارق من الدين¹.

ورد بعض الأحاديث الثابتة فى الصحاح إذا ناقضت منطق العقل أو منطق العلم، أو منطق الدين نفسه... مبدأ مقرر لدى علماء الحديث أنفسهم ولكن الخلاف فى التطبيق هكذا يقول د. القرضاوى، ولى بعض الملاحظات على منهج الشيخ الغزالى فى كتابه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث :

الملاحظة الأولى :

إن الشيخ لم يرد أحاديث كثيرة منفرداً بذلك، بل فعل ذلك تبعاً للصحابة والعلماء والأئمة الفقه، وإن كنت أتمنى أن يلجأ الشيخ إلى تأويل الحديث والتعرف فى معناه ولا يرده مادام قد ثبت فى الصحاح، لأن تأويل الحديث من الأمور التى جرى عليها العرف بين العلماء، وهو يعطى بذلك المعنى المطلوب إثباته، أو المطلوب نفيه عن الحديث، لأن كلمات الرسول ﷺ جامعة وهى تحمل على أوجه عديدة وخير مثال على ذلك ما فعله ابن حجر والنووى وغيرهم من شراح الحديث الشريف. وهم يذكرون فى شرحهم مفاهيم عديدة واختلافات كثيرة ثم

¹ دز يوسف القرضاوى الشيخ الغزالى كما عرفته صى ١٢٣ .

يختارون ما تطمئن إليه نفوسهم. وكان الشيخ يستطيع أن يفعل ذلك، ولا يرد أى حديث طالما أنه ثبت فى كتب الصحاح .

الملاحظة الثانية

إننى أرى رأيا خاصا أطالب به كل الدعاة وهو عدم رد الأحاديث الصحيحة، وتأول ما تعسر فهمه منها، لأن رد الأحاديث الصحيحة يحدث بلبلة وتخبطا فى فكر متوسطى الثقافة الإسلامية، ويترك أثرا سيئا فى نفوس الجماهير التى لا تعلم شيئا عن العلة القادحة فى متن الحديث، وقد تلقت الأمة بالقبول صحى البخارى ومسلم، فلا داعى لإثارة المشاكل حول هذين الصحيحين، والأحاديث الواردة

فيهما، وعموما فالوقت ليس وقت خلاف، بل وقت تجمع ومعاودة، لأن الأمة كلها تمر بظروف صعبة، يتربص بها أعداء يملكون القسوة فى شتى مناحى الحياة ولم يبق للأمة إلا دينها وأخلاقها، وعسى أن يكونا سبيلا- مع العمل العمرانى المتقن- إلى التفوق مرة أخرى فى الحياة ، والوقت لا يسمح بالخلاف قليلا كان أو كثيرا.

الملاحظة الثالثة:

أن الشيخ أسرف فى لوم علماء الحديث، واتهمهم بالحفظ فقط وتناول ذلك بعبارات شديدة، أثارت عليه عددا غير قليل منهم، وحاول البعض الرد على الشيخ ، وجاء الرد عبارة عن رد فعسل متجاوز - لم يلتزم بالمنهج العلمى- لفعل شديد. وفى الحقيقة فاتهم علماء الحديث بالحفظ ليس منقصة فى حقهم لأن حفظ حديث رسول الله ﷺ شرف وسعادة، والذين يحفظون الحديث يستضيئون بنو ما حفظوه، وهم مباركون أينما حلوا أو ارتحلوا، وهم لا يحفظون فقط- حتى لو تعمدوا ذلك- بل ينساح نور الحديث الشويف على إفهامهم فينورها ويجليها، ولو تغاضى الشيخ عن الهجوم على علماء الحديث، لمر كتابه بسلام، ولأصبح مرضيا عنه من الجميع. ولو افترضنا أن بعض علماء الحديث يحفظونه ولا يجيدون فهمه، فإن حكم هذا البعض لا يندرج على الكل ، لأن هناك من علماء الحديث من هم بحور علم، أثروا بعلمهم، بعلمهم ، وبفهمهم لحديث رسول الله ﷺ، فى سير حركة الأمة وهى تنساح فى أيامها الخالدة .

الملاحظة الرابعة:

إن كبار علماء الحديث- باستثناء الشيخ الألبانى- لم يسردوا على الشيخ وحسنا فعلوا، لأنهم يعرفون أن الذى كتبه الشيخ قد سبقه إليه غيره، ولأنهم لا يريدون تعميق الخلاف داخل الصف الإسلامى فى هذه الظروف.

تعقيب ثان:

برغم المعارضة التي حدثت للشيخ بسبب كتاب (السنة النبوية) إلا أن ذلك لا ينقص من قدره، ولا يجعلنا نغض الطرف عن جهاده فسى سبيل الدعوة لأكثر من خمسين عاماً، حمل فيها- بحق- لواء الدعوة والثقافة الإسلامية، كتب ونشر، وحاضر وخطب، في ظروف قاسية، لا يستطيع أن يفعل ذلك أحد الذين عارضوه.

لقد كتب عن مقاومة الاستعمار، والاستعمار جاثم على أرض الوطن، وتعرض لكثير من المشاكل، بسبب آرائه، حتى دخل السجن، وعذب فيه عذاباً شديداً وخرج من السجن أقوى مما كان، وعاد يناضل ويجاهد فى سبيل الله تعالى. ولما رأى الاستعمارى غير طريقته من الاستعمار العسكرى الى الاستعمار الفكرى جرد سيفه- قلمه- وبدأ يشرح للناس ألعيب الاستعمار وخطر الانسياق وراء عباراته الخادعة المراوغة وألف فى ذلك كثيراً.

ولما أدرك الشيخ- وكان ذلك من بداياته- أن الدين لكى ينتشر نورا بين الأمم، لابد له من قو تحميه وترعاه، ولا بد له من رجال مخلصين يقومون بأمره، كتب الشيخ ونوه عن ذلك فى معظم كتبه، وهو الذى جعل العمل فى الحق، وفى المصنع وفى الجيش، وفى كل مهنة نافعة عبادة كالصلاة وسائر عبادات الإسلام، وبين للناس أن المسلم القوى هو الذى ينجح فى دنياه وفى أخراه على السواء. ولا بد من القيام بالعبادات على أحسن ما يكون، وإتقان العمل العمرانى كذلك حتى تتكون هوية للأمة الإسلامية عمادها القوة المادية والأخلاق الربانية.

وسواء اتفقنا مع الشيخ الغزالى أو عارضناه فسيبقى إمام الدعاة المخلصين، ونبراساً يضيى طريقهم فى كل مكان من أرض الإسلام.

لقد عبر الشيخ- بحق- عن الفكر الإسلامى الصحيح المسأخوذ من القرآن والسنة الشريفة، فوجد قبولاً لفكره فى كل بقاع العالم الإسلامى، وسيبقى كذلك حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

إن الذين عارضوا الشيخ الغزالى والذين وافقوه وأحبوه مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل مجموعة من الرجال صعدوا جبلاً عالياً شاهقاً، فمنهم من أحب الجب لعلوه ورسوه، ومنهم من خائنه عافيته فكره الجبل الأشم لعلوه ولصعوبة الوصول إلى قمته، ومكثوا- المحب والكاره- فترة ثم انصرفوا وبقي الجبل الأشم مناطحاً قمم السحاب، منافحاً كل عيب، هادياً لكل مسافر- يبحث عن الحقيقة- فى ظلمات الليل وفى وسط المحيطات والبحار، بين شديد الرياح وعتو الأمواج.

ويصدق على المحبين للشيخ والمعترضين عليه قول الشاعر:
وكم من جبال قد علا شرفاتها رجال فبادوا والجبال جبال
هذا: ويكفي بالله وليا وكفى بالله نصيرا

أقيم المراجع

- القرآن الكريم .

- الأحاديث النبوية الشريفة (صحيح البخاري- صحيح مسلم).

[1] أثر الاحتلال البريطاني- د / جرجس سلام- ط مكتبة الأنجلو سنة 1966

م [2] إحياء علوم الدين- الإمام الغزالي- ط دار الشعب 1970 م .

- [3] إخراج الأمة الإسلامية وعوامل صحتها وضعفها- د / ماجد عرسان الكيلاني- ط أخبار اليوم ١٩٩١ م .
- [4] أزمة العرب و مستقبلهم- محمد حسنين هيكل- دار الشروق ١٩٩٩ م .
- [5] أسد الغابة .
- [6] الاتجاهات الوطنية- د/ محمد محمد حسين- ط دار الفكر العربي .
- [7] الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية- د / زكريا سليمان بيومي ط مكتبة وهبة.
- [8] الاستعمار أحقاد وأطماع- محمد الغزالي- ط دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣ م.
- [9] الأسرة- د / أحمد حمد- ط دار الكتب الجامعية ١٩٨٦ م .
- [10] الإسلام المفترى عليه بين الشيوعية والرأسمالية – الشيخ محمد الغزالي ط مكتبة وهبة.
- [11] الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة- د / محمد البهاى - ط مكتبة وهبة ١٩٧٨ م .
- [12] الإسلام في وجه الزحف الأحمر- الشيخ الغزالي- ط مكتبة وهبة ٩٩٠ م .
- [13] الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية- محمد البهي- ط دار الكتاب العربى 1951م.
- [14] الإسلام والاستيراد السياسى- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الكتب الإسلامية 1984م.
- [15] الإسلام والأوضاع الاقتصادية- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الصنحوه ١٩٨٧ م .
- [16] الإسلام والطاقات المعطلة- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الكتب الإسلامية 1987م.
- [17] الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة – يوسف كمال – ط دار الوفاق ١٩٨٨ م .
- [18] الإسلام والمناهج الاشتراكية- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الكتاب العربى بمصر
- [19] الاشتراكية العربية والاشتراكية العالمية – محمد طلعت عيسى - ط مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦5 م .
- [20] الإمام السرهندي حياته وأعماله- أبو الحسن الندوي- ط دار القلم ١٩٨٣ م.

- [21] البداية والنهاية – الإمام ابن كثير – ط دار المعرفة بيروت 1998م.
- [22] التاريخ الأدبي للعصرين العثماني والحديث- د/ علي محمد حسن- ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ٩٩٨ م.
- [23] التاريخ الإسلامي – الشيخ محمود شاكر - ط المكتب الإسلامي
- [24] التبشير والاستشراق - المستشار محمد عزدب اسماعيل الطهطاوي – ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية 1977م.
- [25] التربية السياسية عند جماعة الإخوان المسلمين- أ. عثمان رسلان.
- [26] التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام – محمد الغزالي – ط دار نهضة مصر ١٩٩٧ م .
- [27] التوراة العبرانية "سفر التكوين"- ط دار الكتاب المقدس.
- [28] الجامع الصحيح للإمام مسلم.
- [29] الجامع لأحكام القرآن- الإمام القرطبي- ط دار إحياء التراث العربي ١٩٦٤ م .
- [30] الجانب العاطفي من الإسلام – الشيخ محمد الغزالي – ط دار الدعوة ، ١٩٩0 م .
- [31] الحركة السياسية في مصر - أ. طارق البشري ط دار الشروق
- [32] الحق المر – الشيخ محمد الغزالي – ط دار نهضة مصر 1996م.
- [33] الحل الإسلامي فريضة وضرورة- د/ يوسف القرضاوي- ط دار الصحوة الإسلامية .
- [34] الحلول المستوردة وكيف جنست على أمتنا . د / يوسف القرضاوي 1988م.
- [35] الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر – الشيخ محمد الغزالي
- [36] الدعوة والداعية- أ.د/ عبد الرحمن العدوي- الإمام محمد الغزالي- ط نهضة مصر ١٩٩٧ م .
- [37] الدفاع عن الداعية- الغزالي- أبو بكر الجزائري- ط مكتبة ام القريب ١4١٠ هـ
- [38] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث- محمد الغزالي- ط دار الشروق ١٩٨٩ .
- [39] الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي – أنور الجندي .

[40] الشيخ الغزالي كما عرفته - د/ يوسف القرضاوي - ط دار الوفاق ١٩٩٧ م .

[41] الشيخان للبلاذري .

[42] سلسلة الأحاديث الصحيحة- الألباني- مكتبة المعارف- الرياض

[43] الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية- أبو الحسن الندوي- ط دار القلم - الكويت ١٩٨٥ م .

[44] الطريق من هنا- الشيخ محمد الغزالي- ط دار البشير 1985م.

[45] العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر- د/ مصطفى محمد رمضان- ط مكتبة الجامعة ١٩٨٣ م .

[46] الغارة على العالم الإسلامي - محب الدين الخطيب - ط المطبعة السلفية 1398 هـ .

[47] الغزو الثقافي يمتد في فراغنا- محمد الغزالي- ط دار الشروق ١٩٨٥ م .

[48] الفقه على المذاهب الأربعة- عبد الرحمن الجزيري- ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

[49] الفقه على المذاهب الأربعة- عبد الوهاب خلاف- ط دار الشعب.

[50] الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي- د/ محمد البهي - ط مكتبة وهبة 1975م.

[51] الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكانى .

[52] الكشف للزمخشري .

[53] اللمع- السراج الطوسى- ط دار الكتب الحديثة 1960م.

[54] المحاور الخمسة للقرآن الكريم- محمد القواس- ط دار الصحوة ١٩٨٩ م .

[55] المسلمون والأقباط- أ. طارق البشري - ط دار الشروق 1988

[56] المعجم الوسيط- ط دار المعارف.

[57] المغني - ابن قدامة المقدسي - ط عالم الكتب .

[58] الوزير " أوزمس غو " في رسالة لرئيس الحكومة البريطانية في 1938/1/19.

[59] إمتاع الأسماع- المقرئزي.

[6٠] اوراق فى الله من حضارتنا - د/ عبدالحليم عويسى- ط دار الوفاء .

- [61] بحوث و فتاوى- الشيخ جاد الحق على جاد الحق- ط دار التعاون 1992م.
- [62] بدائع الصنائع- الكاساني الحنفي- ط دار الفكر ١٩٩٩ م .
- [6٣] بداية المجتهد و نهاية المقتصد - ابن رشد - ط الحلبي ١٩٨١ م
- [64] براءة أهل الفقه وأهل الحديث من أوهام محمد الغزالي - مصطفى سلامة - ط مكتبة ابن حجر 1410هـ
- [65] تاريخ المسألة المصرية- مستر بلنت- ترجمة العبارى و بدران .
- [66] تأملات في الدين والحياة- محمد الغزالي- ط دار الدعوة 1990م.
- [6٧] تحريم آلات الطراب- الالبانى- ط مكتبة الدليل ١٩٩٧ م .
- [68] تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل- محمد الغزالي- ط دار الشروقى ١٩٩٢ م .
- [69] تحذير من دعاة التنصير- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الصحوة ١٩٩١ .
- [70] تطور الحركة الوطنية في مصر - د. عبد العظيم رمضان ط دار الوطن العربي. بيروت .
- [71] تفسير ابن جرير الطبري - ط دار الفكر 1995م.
- [٧٢] تفسير ابن كثير .
- [73] تفسير أبى السعود .
- [74] تفسير القرآن العظيم- الإمام ابن كثير- ط دار المعرفة بيروت 1969م.
- [75] تهذيب الآثار- مسند عمر بن الخطاب
- [76] تهذيب السنة - ابن القيم
- [77] ثورة ١٩١٩ - عبد الرحمن الرافعى - ط دار المعارف.
- [78] جناية الشيخ محمد الشيخ على الحديث وأهله - أشرف عبد الرحيم - ط مكتبة الإمام البخاري 1989م
- [79] جهاد الدعوة- محمد الغزالي- ط دار الصنحوه ١٩٨٧م.
- [80] حصاد الغرور- محمد الغزالي- ط مكتبة وهبة ١٩٨٧ م .
- [81] حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة - محمد الغزالي - دار الدعوة 1993م.

- [82] حوار هادى مع محمد الغزالي- سلمان بن فهد العودة- ط نور الإسلام 1413هـ
- [83] خطب الشيخ محمد الغزالي- محمد الغزالي- ط دار الاعتصام 1985م.
- [84] خطب في شئون الدين والحياء- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الاعتصام ١٩٨٨ م .
- [85] خلق المسلم- الشيخ الغزالي- ط دار الكتاب العربي 1953م.
- [86] دراسة عن العمل العمراني في القرآن الكريم- د محمد أبو زيد
- [87] دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية- د عبد الحليم عويس- ط دار الصحوة 1990م.
- [88] دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين- محمد الغزالي- ط دار الشروق ١٩٩٧م.
- [89] دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطامع المستشرقين- محمد الغزالي- ط دار الكتب الإسلامية 1988م.
- [90] دور القصر في الحياة السياسية في مصر – سامي أبو النور – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م .
- [91] سر تأخر العرب والمسلمين- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الريان ١٩٨٧ م
- [92] سيرة ابن هشام – ط دار التوفيق.
- [93] صليبيين للأبد- عبد الفتاح عبد المقصود- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م
- [94] صيحة تحذير من دعاة التقصير- محمد الغزالي- ط دار ثابت 1984م.
- [95] ظلال القرآن - ط دار الشروقي.
- [96] عرس الشهداء- علي الطنطاوي- ط دار المنارة الأولى.
- [97] علل وأدوية- محمد الغزالي- ط دار الدعوة ١٩٩١م .
- [98] غرائب القرآن- النيسابوري- ط دار الصفوة ١٩٩٥م .
- [99] فتاوى معاصرة- د . يوسف القرضاوي- ط دار القلم- الكويت ١٩٩6م .
- [100] فتح الباري- ابن حجر العسقلاني- ط دار الريان للتراث 1407هـ.
- [101] فقه السيرة- محمد الغزالي- ط دار الريان 1987م
- [١0٢] فى ظلال القرآن - آ. سيد قطب - ط دار الشروقي ١٩٨٧

[١٠٣] فى مواكب الدعوة – الشيخ محمد الغزالي- ط دار الكتب الحديثة 1965م

[104] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة – محمد الغزالي – ط دار الشروق 1990م.

[105] كبار ملاك الأراضي- عاصم الدسوقي- ط دار الثقافة الجديدة 1975م

[106] كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها – د. ربيع بن هادي المدخلي – ط مكتبة ابن القيم 1410 هـ .

[107] كفاح دين- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الكتب الإسلامية 1982م.

[108] كيف تتعامل مع القرآن – محمد الغزالي – ط دار الوفاء 1992م.

[109] كتاب الأنبياء .

[110] كيف نفهم الإسلام- الشيخ محمد الغزالي- ط دار الدعوة ١٩٩١ م .

[111] ملفات السويس- د. محمد حسين هيكل- ط مؤسسة الأهرام 1986م.

[112] من الذكر والدعاء - الشيخ الغزالي - ط دار الاعتصام ١٩٨٠ م

[113] من هنا نعلم- محمد الغزالي- ط دار الكتب الحديثة.

[114] موسوعة التاريخ الإسلامي – د. أحمد شلبي – ط النهضة المصرية .

[115] موسوعة التاريخ الإسلامى- د.أحمد شلبي- ط النهضة المصرية.

[116] موسوعة تاريخ مصر – أحمد حسين – ط دار الشعب.

[117] نظرات في القرآن – محمد الغزالي – ط دار الكتب الإسلامية 1985م.

[118] نظرة على واقعنا الإسلامى- د. أحمد شلبي- ط دار النهضة المصرية.

[119] هذا ديننا - الشيخ الغزالي - ط دار الشروقى ١٩٨٧ م .

[120] هموم داعية – محمد الغزالي – ط دار الاعتصام ١٩٨٣ م .

[121] واقعنا المعاصر - آ . محمد قطب - ط دار الشروقى ١٩٨٨ م .

[121] ليس من الإسلام – محمد الغزالي – ط دار الكتب الإسلامية، 1983م.

[122] مائة سؤال عن الإسلام – الغزالي – ط دار ثابت 1984م .

[123] ماهية الحروب الصليبية – د. قاسم عبده قاسم - ط المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت، 1990م .

[124] مجموعة الرسائل – الشهيد حسن البنا – ط دار الدعوة .

- [125] محاضرات في إصلاح الفرد والمجتمع- قطلب عبد الحميد قطب- ط دار البشير ١٩٨٩ م .
- [126] مذكرات في السياسة المصرية- محمد حسين هيكل- ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١ م .
- [127] مستقبل الإسلام خارج أرضه- محمد الغزالي- ط دار الشروق 1997م.
- [128] مشكلات في طريق الحياة الإسلامية – الغزالي - ط دار البشير 1989م.
- [129] مصر والسودان- للرافعى- ط دار المعارف.
- [130] معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث- محمد الغزالي .
- [131] معركة المصحف في العالم الإسلامي : الغزالي – ط دار الكتب الحديثة ١٩٧١ م .

الصفحة	الموضوع
	المقدمة
1	الباب الأول : قضية الاستعمار في بلاد المسلمين
3	الفصل الأول : ماهية الاستعمار
5	طبيعة الغدر و الفتك
6	الطبيعة الوحشية الداخلية
8	الهجوم على الإسلام
9	الأهداف الحاقدة اليهودية تستفيد من عدااء الصليبية والمادية للإسلام
9	الصليبية والإسلام في العصر الحاضر
11	مصادر الحقد على الإسلام
13	تنوع أدوات الحرب ضد الإسلام
14	تنوع عناوين الحروب ضد الإسلام
15	حرب الإبادة
16	علاقة التدين بمقاومة الاستعمار
17	الشر المتربص
18	الحقد والقتل
19	الصليبية خطر على الروحانية في العالم
20	الصليبية تتربص بالإسلام
21	لا قانون لعلاقات الصليبية بالعالم
23	تحذير من اليهود
38-23	متابعة
51-38	الفصل الثاني : التبشير والاستشراق
52	متابعة : 1 – مستقبل الإسلام في
55	٢- استغلال حاجة المسلمين الفقراء في الكوارث والنكبات
57	3- خطط الاستعمار في إفساد الحياة الإسلامية

الصفحة	الموضوع
61	4- خطة تمويت الإسلام
63	المودة وبعدها النهاية
65	6- المشروعات التبشيرية واستقطاب الشخصيات العامة
69	التنبيه إلى نجاح المبشرين
71	الباب الثاني : قضية الاقتصاد في العالم الإسلامي
71	الفصل الأول : أشكال الاقتصاد المختلفة
89	متابعة
90	1- الاستعمار وإنشاء المجتمع الطبقي في بلاد المسلمين
93	2- الجو الطبقي يقضي على المهارات الفردية
94	3- الاقتصاد السيى يخلق الرذائل
98	4- تبذير الحكام وضياع أموال المسلمين
102	5- تقييد الملكيات الخاصة
107	6- محاربة الناجحين
109	الفصل الثاني : الفكر الاقتصادي
111	1 موقف الدين من العجز في شؤون الحياة
115	٢- العوامل التي أفسدت الفكر الاقتصادي عند المسلمين
129	الإسلام لا يحذب القعود
167-142	متابعة
	3- الدعوة للفقير والزهد بين الفقراء توطيد للظلم
174	الباب الثالث : قضية المرأة
174	الفصل الأول : الوضع العام
182	حق المرأة في التعليم
191	حق المرأة في العمل
الصفحة	الموضوع
198	حق المرأة في الخروج من البيت للعبادة

211	عمل الزوجة خارج المنزل
212	الإجماع على خروج النساء للمساجد
215	الفصل الثاني : حق المرأة في المساواة بالرجل
227	شهادة المرأة
230	تقليل ضعف شهادة المرأة
232	أهمية تولي المرأة القضاء إذا كان ذلك في صالح الإسلام
236	قضاء المرأة
237	صوت المرأة
243	وجه المرأة
245	النقاب : ستر الوجه
260	المرأة في الإسلام
261	وظائف المرأة في الإسلام
265	مصادر الشيخ في كشف الوجه
268	الفصل الثالث : المتابعة
268	أولاً : آراء بعض المفسرين
272	ثانياً : الآراء الفقهية
285	ثالثاً : الأحاديث النبوية الشريفة
291	الباب الرابع : قضية السنة النبوية الشريفة
291	الفصل الأول : عاشق السنة
312	الفصل الثاني : رحلته مع السنة النبوية الشريفة
319	مفهوم الشيخ للسنة التي يجب أن تسود بين المسلمين
349	منهج الشيخ
352	أحاديث الفتن

الصفحة	الموضوع
357	الفصل الثالث : المتابعة

372	سمات المدرسة العقلية
-----	----------------------